



جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أمّ درمان الإسلاميّة
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة
قسم علم اللغة

القراءات الشاذة في تفسير البحر المحيط

دراسة صوتية ودلالية

بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في علم اللغة

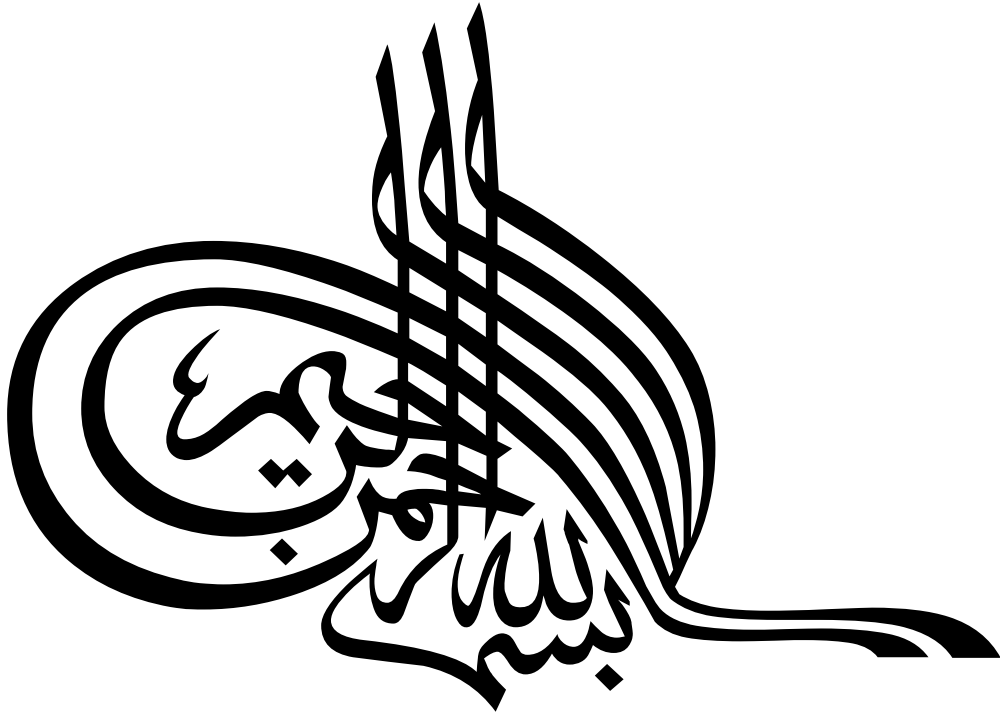
إشراف: الدكتور:

إبراهيم آدم إسحق

إعداد: الطالب:

إبراهيم حمداو سيلا

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



استطال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

البقرة: ٢٨٦

إهداء

إلى والدي ووالدي الكريمين ، ثم إلى كل ذي بصيرة نافذة، ولُبِّ واعٍ، يلتمس الحقائق، ويسعى جاهدا للوصول إليها، خدمة لكتاب الله، ومحافضة عليه، أهدي عملي هذا المتواضع، آملاً أن يكون نبتةً صالحةً في حقل الدراسات القرآنية، وبخاصةٍ القراءات الشاذة التي مازالت خصبةً.

الباحث / إبراهيم سيلا

شكر و عرفان

الحمد لله الذي منّ علي بنعمة الهداية، والصحة، والعافية إلى أن أكملت هذا البحث، وهو أهل للحمد، والثناء، وأصلي وأسلم على معلم البشرية الخير، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أولاً: - أشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر لي جمع معلومات هذا البحث المتواضع بهذا الشكل.

ثانياً: - أقدم شكري للدكتور/إبراهيم آدم إسحق، الذي أشرف علي في كتابة هذه الرسالة، وقد وفر لي وقته، وبذل لي وقتاً وجهداً من المتابعة والتوجيه، فقد كان في الحقيقة مشرفاً مخلصاً في إشرافه، أحسبه كذا والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، وقد كان أستاذاً بمثابة أب مرب شفيق رقيق، فأسأل الله أن يبارك له في بقية عمره، وأن يرزقه حسن الخاتمة، وأوجه شكري أيضاً إلى كلية اللغة العربية، أساتذة، وعمالا، وطلبة-خاصة-طلبة اللغة العربية، وكذا هيئة جامعة أم درمان الإسلامية قاطبة.

وأخيراً أقدم الشكر لكل من ساعدني في إكمال هذا البحث علمته أم لم أعلمه، فالله يتولى جزاءهم أجمعين.

المقرسة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد /

فإن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين، فحفظ العربية، وصانها، وأبقاها، وخلدها على مدى الدهور، والقرون، متينة الدعائم، قوية الشواهد، فهو أحق مصدر لدراسة الدارسين، وبحث الباحثين، منه تستمد العربية علومها، وتستخرج شواهدها في الدراسة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبلاغية. والقراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي ﷺ بقراءة القرآن بها قصد التيسير، التي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية.

أساسيات البحث:

(١) المقدمة

(٢) الموضوع

القراءات الشاذة وتوجيهها في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي دراسة صوتية ودلالية.

(٣) أسباب اختيار الموضوع:

مجموعة الحوافز التي دفعتني لاختيار القراءات الشاذة في هذا التفسير، هي:

١. خدمة كتاب الله ﷻ، حيث إنه موضوع وثيق الصلة بكتاب الله، وكل موضوع يتصل بكتاب الله فهو أولى بالبحث، وأجدر بالدراسة من غيره.
٢. إن الدراسة العلمية التي أقيمت حول شذوذ القراءات جد نادرة، فهي بالرغم من غناء مادتها، لا تروي ظمآن، ولا تهدي حائراً، ذلك أن شذوذ القراءات طريق وعر، وأمر شائك، وجد خطير، ولعل ذلك كان سببا في عزوف كثير من باحثي اللغة العربية عن الخوض فيه، والتعميق في دراسته.
- فاستعنت بالله الذي شاءت مشيئته، ونعم ما شاء، أن أحظى بشرف البحث والتنقيب في أغوار ما خلفه القدامى، بغية الوقوف على معرفة المراد بالشاذ، والأسباب التي أدت إليه مع دراسته دراسة صوتية ودلالية.
٣. إن القراءات الشاذة وثيقة الصلة بالدرس الصوتي والدلالي، فهي منبع ثري، ومعين غني، ومصدر مهم للتعرف على لهجات العربية القديمة.

٤. إن القراءات الشواذ بحاجة ماسة إلى من ينفذ عنها غبار الزمن، لا سيما وأنها شعاع من الماضي، تضيء الحاضر والمستقبل، فهي تمثل تراثاً فكرياً، صوتياً ودلالياً، نحويًا وصرفياً.

● أما أسباب اختيار تفسير البحر المحيط ليكون محور الدراسة فلعدة أمور:

- ١- أنه كتاب جامع لكثرة كاتره من القراءات الشاذة.
- ٢- مكانة مؤلفه العلمية، فأبو حيان أحد العلماء المبرزين، والأئمة الكبار المشهورين في التفسير، وفي اللغة العربية.
- ٣- أن تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي كتاب زاخر بالإفادة من علماء اللغة، وعلماء القراءات الأفاضل، أمثال: الفراء، والزجاج، وأبي حاتم، وابن جني، ومكي، والداني...

(٤) أهمية البحث:

١. تعلقه بقراءة القرآن الكريم، بقراءاته الشاذة التي لا تخضع للقواعد اللغوية، ولا للقواعد النحوية، أو الصرفية، وإنما القواعد هي التي تخضع للقرآن الكريم بقراءاته المختلفة.
٢. هذا البحث يتعلق بأهم مصدر لدراسة الدارسين، وبحث الباحثين، وهو القرآن الكريم من جهة قراءاته المختلفة، القرآن الذي منه تستمد العربية علومها، وتستخرج شواهدا في الدراسات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.
٣. القرآن الكريم بقراءاته المتنوعة لا يخضع لقواعد اللغة، ولا لقواعد النحو، أو الصرف، وإنما القواعد سواء أكانت قواعد لغوية، أم قواعد نحوية وصرفية، هي التي تخضع للقرآن الكريم، لأن القواعد محكومة لا حاكمة، والقرآن بتنوع قراءاته حاكم لا محكوم.
٤. ما تضمنه هذا الكتاب " تفسير البحر المحيط " من القراءات الشاذة، وتفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي، وأشعار العرب، وأمثالها.

(٥) أهداف البحث:

- ١- إبراز هذا الموضوع المهم "القراءات الشاذة" من تفسير البحر المحيط، ومعرفة مدى علم هذا الرجل، وسعة اطلاعه، حيث جمع بين علم القراءات، وعلم اللغة العربية، وتفسيره خير شاهد على ذلك.
- ٢- تبيين الطلبة، وبخاصة دارسي اللغة العربية، بأنهم لا غنى لهم عن القرآن الكريم، وقراءاته المتنوعة في استنباط القواعد اللغوية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.
- ٣- تشويق الطلبة إلى قراءة القرآن، وإلى قراءاته المتعددة، لما للقراءات من علاقة متينة باللغة العربية، وبخاصة علم القواعد النحوية.

(٦) حدود البحث:

القراءات الشاذة الواردة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

(٧) مشكلة البحث:

تتضح مشكلة هذا البحث في أنه موضوع متفرق يحتاج إلى الجمع، والتهذيب، وتتبع أقوال أئمة هذه العلوم "علم القراءات الشاذة، وعلم الأصوات، وعلم الدلالة" كما أن أي باحث يحتاج إلى الصبر وسعة الاطلاع، ولا يمكن الوصول إلى جميع المصادر، ولكن الباحث بحث على حسب إمكانه، والمراجع المتوفرة لديه، ويحتاج هذا الموضوع إلى التأني، والدقة، وتوثيق المعلومات، لأنه يتعلق بأهم مصدر من مصادر العلوم، خاصة العلوم العربية، والعلوم الشرعية.

(٨) خطة البحث:

الباب الأول: مدخل الدراسة

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

فأما التمهيد، ففيه تعريف القراءات، وأركانها، وأنواعها، وفوائدها.

*الفصل الأول: لمحة تاريخية عن القراءات الشاذة.

*الفصل الثاني: صلة القراءات الشاذة بالدرس الصوتي والدلالي.

*الفصل الثالث: أبو حيان الأندلسي وكتابه "تفسير البحر المحيط".

وفيه مبحثان:

*المبحث الأول: أبو حيان الأندلسي حياته وآثاره.

*المبحث الثاني: التعريف بتفسير أبي حيان الأندلسي.

الباب الثاني: المستوى الصوتي

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الصوامت في شواذ القراءات

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الهمز بين التحقيق والتخفيف.

المبحث الثاني: الإبدال بين الصوامت.

المبحث الثالث: المماثلة الصوتية بين الصوامت.

المبحث الرابع: الفك والإدغام.

الفصل الثاني: الصوائت في شواذ القراءات

ويشتمل على أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: فتح الأصوات الحلقية وتسكينها.

المبحث الثاني: كسر أحرف المضارعة.

المبحث الثالث: المماثلة بين الصوائت.

المبحث الرابع: الإبدال الحركي.

المبحث الخامس: الإشباع أو مطل الحركة

المبحث السادس: تقصير الحركة.

المبحث السابع: حذف الصائت.

المبحث الثامن: الإمالة.

المبحث التاسع: الوقف.

المبحث العاشر: المعاقبة.

المبحث الحادي عشر: التقاء الساكنين.

ط

الباب الثالث: المستوى الدلالي

وجاء مشتملا على تمهيد، وخمسة فصول.

أما التمهيد ففيه ذكر تعريف الدلالة في اللغة، وفي الاصطلاح.

الفصل الأول: الترادف في القراءات الشاذة.

الفصل الثاني: التضاد في القراءات الشاذة.

الفصل الثالث: الفروق الدلالية في القراءات الشاذة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف المادة.

المبحث الثاني: الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف الحركة.

الفصل الرابع: أثر تبادل أحرف المضارعة في تنوع المعنى.

الفصل الخامس: قراءات شاذة لها صلة بالمعنى.

مستخلص البحث:

هذه الرسالة الموسومة ب(القراءات الشاذة في تفسير البحر المحيط دراسة صوتية ودلالية) تتكون من مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وقائمة بالفهارس. ففي الباب الأول مدخل الدراسة، واشتمل على تمهيد، وثلاثة فصول. ففي التمهيد تحدثت عن تعريف القراءات لغة واصطلاحاً، وعن أركان القراءات الصحيحة، وعن أنواع القراءات من حيث تواتر السند أو عدمه، ومن حيث قبول القراءة أو عدمه، وكذلك تحدثت عن الفرق بين القراءة، والرواية، والطريق، والوجه، وتحدثت فيه كذلك عن فوائد تعدد القراءات.

وكان الفصل الأول عن لمحة تاريخية عن القراءات الشاذة، وفيه تحدثت عن تعريف القراءة الشاذة لغة واصطلاحاً، وتناولت فيه أنواع الشاذ، وجاء فيه بدء تشييد القراءات وتاريخه، وأوردت فيه طريقة الكشف عن القراءة الشاذة، وانتهى هذا الفصل بترجمة مختصرة عن رواة القراءات الأربع التي بعد العشرة.

وأما الفصل الثاني تحدثت فيه عن صلة القراءات الشاذة بالدرس الصوتي والدلالي، وجاء فيه بعض اللهجات العربية، كالاستنطاء، المنسوبة إلى سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، وإلى العرب العاربة، وإلى بني تميم، وأهل اليمن، والفحفة، المنسوبة إلى هذيل، والكشكشة، المنسوبة إلى أسد.

وأما الفصل الثالث فقد جاء في مبحثين: المبحث الأول: تناول الحديث عن حياة أبي حيان الأندلسي وعن آثاره، تحدثت فيه عن نسبه ومولده، وعن نشأته وصفاته، وعن رحلاته، وعن شيوخه وتلاميذه، وعن مؤلفاته المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة، وختمت هذا المبحث بوفاة أبي حيان الأندلسي -رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وفي المبحث الثاني عرض لتفسير أبي حيان الأندلسي، واشتمل حديثي فيه على: زمن تأليف تفسير أبي حيان ومكان تأليفه، وعلى منهجه في تفسيره، وعلى مادته العلمية، وعلى مصادره،

..وعلى طبعاته ومخطوطاته

:وأما الباب الثاني (المستوى الصوتي)، واشتمل على فصلين

.الفصل الأول: الصوامت في شواذ القراءات

.وأما الفصل الثاني: الصوائت في شواذ القراءات

.وأما الباب الثالث: المستوى الدلالي

وفي نهاية البحث خاتمة تحدثت فيها عن أهم نتائج هذه الرسالة التي توصلت إليها من خلال البحث، وفيها توصيات، وختمت هذه الرسالة بذكر فهارس الآيات، والأحاديث، والأشعار، والأعلام، والأماكن والبلدان، والقبائل، وذكر المصادر والمراجع، وفي نهاية الرسالة محتويات البحث.

Research abstract

This thesis entitled (the odd recitations in the tafseer of Al Bahar al muheet, phonetic and indicational study) consists of an introduction, three sections, a conclusion and a list of indexes.

Section one, consists of an introduction, which consists of a prelude and three chapters.

In the prelude, I spoke about the linguistic and the conventional definition of the recitations, the pillars of the authentic recitations, types of the recitations, based on the multiple and non-multiple chain of narration, (assanad). As well as the accepted and non-accepted recitations. I also spoke about the Riwaya, Attareeq and Al wajah, (all of these are names indicating the special ways of reciting the Quran). And I as well, spoke about the benefits of the multiple recitations.

So, chapter one, is a brief historical presentation about the odd recitations, where I presented a linguistic and conventional definition of the odd recitations, in which I presented the beginning and the history of the odd recitations. I also presented the method of detecting the odd recitation, and the chapter was ended with a brief biography

of the reciters of the four recitations which are known after
the ten known recitations.

And in chapter two, I spoke about the link of the odd recitations to the phonetic and indicational lesson, where there are some Arab dialects, such as Al istintaa, attributed to Saad ibn Bakr, Hozeil, Azd, Quais, Ansar, the Arab Al areeba, Banni Tameem, the people of Yemen, Al Fahafaha, attributed to Hozeil, and Al Kashcasha, attributed to Assad. And for chapter three, there are two sub-chapters: the first one, is presenting the life of Abi Hayan Al andalussi as well as his works. I also spoke about his lineage, his birth, where he grew up, his qualities, his trips, his teachers, his students, his printed books, written books, as well as his lost books. And I concluded this sub-chapter with the death of Abi Hayan Al Andalussi, may Alla have mercy on him.

And the second sub-chapter, is an exposition of the tafseer of Abi Hayan Al Andalussi, including the era of writing the tafseer of Abi Hayan, the place of writing, his method in his tafseer, his scientific material, his references, as well as his editions and manuscripts.

For section two,(the phonetic level) , it consists of two chapters:

Chapter one: the silents in the odd recitations.

Chapter two: the voiceds in the odd recitations.

And for section three, it is about (the indicational level).

Finally, in the end of the research, is a conclusion, where I spoke about the most significant outcomes which were found through this thesis, including the recommendations.

And I ended this thesis by mentioning the indexes of the verses, the al ahadith, poems, famous, places and countries, tribes, as well as sources and references. And I concluded the thesis with the contents of the research.

تمهيد:

*تعريف القراءات لغةً واصطلاحاً:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، والقراءة في اللغة : مشتقة من مادة (ق ر أ) وهي مصدر للفعل قرأ، يقال، قرأ يقرأ قرآناً، وقراءةً، فكل منهما مصدر للفعل، وهو على وزن (فعلالة)، تقول (قرأ) الكتاب قراءةً، وقرآناً: تتبع كلماته نظراً، ونطق بها، وتتبع كلماته، ولم ينطق بها، وسميت (حديثاً) بالقراءة الصامتة، والآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر، أو عن حفظ، فهو قارئ، (ج) قراء. وقرأ عليه السلام قراءة: أبلغه إياه. والشيء قرأ، وقرآناً، جمعه وضم بعضه إلى بعض. (أقرأت) المرأة: حاضت وطهرت (ضد)، فهي مقرئ. والرجل: تنسك. والنجوم: دنت من الطلوع أو الغروب. والرياح: هبت لأوائها. وفلانا: جعله يقرأ. وهو مقرئ. ويقال: أقرأه القرآن. والمعلوم : أبلغه إياه.

(قارأه) مقارأة، وقراءة : شاركه القراءة. (قرأ) المرأة : حبسها للاستبراء لتتقضي عدتها. فهي مقرأة. (اقرأ) القرآن، والكتاب : قرأه. (تقرأ) : تنسك، وتفقه. (استقرأه) : طلب إليه أن يقرأ. (الاستقراء) : تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية. (أقرأ) : اسم تفضيل من قرأ : أي أجود قراءة. (القارئ) : المتنسك. و(القرآن) : كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف. والقراءة، ومنه. في التنزيل العزيز: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتِغِ قُرْآنَهُ﴾^١ : قراءة. (القرء) الحيض. و-الطهر منه. والقافية. (ج) أقرأ، و قروء، و أقرؤ. و أقرأ الشعر : قوافيه. وطرقه وبحوره. (القراء) : الناسك المتعبد. (القراء): الحسن القراءة. (المقرأة): مكان في مسجد أو ضريح يجتمع فيه حفاظ القرآن ليقروه تبركاً به، (مو)، (ج) مقارئ^٢.

(١) الآية: ١٨ من سورة القيامة.

(٢) المعجم الوسيط: مادة(قرأ)، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤.

وهذا اللفظ يستعمل للمعاني الآتية :

❖ الجمع، والضم، أي جمع وضم الشيء بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: "وما قرأت الناقة جنينا" أي لم تضم رحمها على ولد، أو ما جمعت أو ضمت في رحمها جنينا. وقولهم "ما قرأت هذه الناقة سلى قط" وأنشد:

هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرآن بالسور^١

فإنه أراد لا يقرآن السور، فزاد الباء، كقراءة من قرأ: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾^٢، وقراءة من قرأ: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ ﴾^٣ أي تنبت الدهن ويذهب الأبصار، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إليه.

❖ التلاوة: وهي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم: "قرأت الكتاب" أي تلوته،

وسميت التلاوة قراءة لأنها ضم لأصوات الحروف في الدهن لتكوين الكلمات

التي ينطق بها.

القراءات في الاصطلاح : لعلماء القراءات تعريفات متعددة أذكر منها ما يأتي:

أ. تعريف الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) قال: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتثقل، وغيرها"^٥.

(١) ديوان الراعي النمري. جمع وشرح وتحقيق د/محمد نبيل طريقي. دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م/١٥٠.

(٢) الآية: ٢٠ من سورة المؤمنون.

(٣) الآية: ٤٣ من سورة النور.

(٤) لسان العرب: ابن منظور(٦٣٠- ٧١١هـ ١٢٣٢-١٣١١م) محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، مادة (ق ر أ) /٣٥٦٣. دار المعارف، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين.

(٥) البرهان في علوم القرآن: الزركشي(٧٩٤-١٣٤٤هـ ١٣٩٢م) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفق الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة له مصنفات كثيرة ج ١/ ٣١٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

ب. تعريف محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ) : "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع إتقان الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها".

ج. تعريف الإمام وحجة المقرئين شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ): "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"^٢.

*أركان القراءات الصحيحة:

للقراءة الصحيحة أركان ثلاثة لا بد من توفرها فيها، وهي متمثلة فيما يأتي^٣:

الأول: تواتر القراءة عن النبي-صلى الله عليه وسلم- والمراد بالتواتر في اللغة: التتابع، ويعني به هنا: " ما رواه جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، من البداءة إلى المنتهى، من غير تعيين عدد^٥. هذا هو الصحيح"^٦.

الثاني: موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، لأنه "الأصل المعتمد عليه، وهو المرجع، وهو صورة صادقة للمكتوب في عصر النبي-صلى الله عليه وسلم- فيكون بالتزامه القرآن متواترة قراءة وكتابة، والله سبحانه وتعالى هو الحافظ له إلى يوم الدين"^٧.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) محمد عبد العظيم الزرقاني : من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بما مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة ومن مؤلفاته. تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ج ١ / ٣٣٦.

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، يكنى أبا الخير. ولد فيما حقق من لفظ والده في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان/٩.

(٣) الإبانة/٥١، والنشرح/٩٨، وإتحاف فضلاء الشرح/٧٠.

(٤) الصحاح للجوهري ج١/٦٧٦-٦٧٧، ولسان العرب لابن منظور ج٥/٢٧٥م(وتر).

(٥) وقيل بالتعيين: ستة، أو اثنا عشر، أو عشرون، أو أربعون، أو سبعون، أقوال. لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني/٦٩.

(٦) المرجع السابق/نفس الصفحة.

(٧) المعجزة الكبرى للقرآن للإمام محمد أبو زهرة/٤٧، ط دار الفكر بالعربي.

الثالث: موافقة وجه من وجوه اللغة العربية سواء أكان "أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه"^١.

وليس المراد من ذلك أن تكون اللغة وأقوال اللغويين حكماً على القرآن بالصحة، إنما العكس هو الصحيح، فالقرآن هو الحاكم على اللغة، و على أقوال اللغويين، وهو أقوى حجج اللغويين " في إثبات ما يثبتون ونفي ما ينفون"^٢.

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١/١٩
(٢) المعجزة الكبرى القرآن للإمام محمد أبو زهرة/٤٧.

أنواع القراءات:

ذكر العلماء أنواعاً عديدةً للقراءات القرآنية بوجوه مختلفة، فمنها تقسيمهم إياها بحسب تواتر السند أو عدمه، ومنها تقسيمهم بحسب القبول أو عدمه، وفيما يأتي عرضها وبيانها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أنواع القراءات من حيث تواتر السند وعدمه ستة أقسام:

١- القراءة المتواترة: وهي كل قراءة نقلها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهى السند الذي ثبتت به القراءة عن رسول الله ﷺ^١. مثالها: ما اتفقت الطرق على نقله عن السبعة.

٢- القراءات المشهورة: وهي كل قراءة صح سندها بأن رواها العدل الضابط عن مثله، وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان عن الأئمة السبعة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة التواتر^٢.
ومثالها: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض^٣.

٣- قراءة الآحاد: وهي كل قراءة صح سندها، ونسبت إلى الرسول ﷺ، أو إلى آحاد الصحابة، ولم تشتهر بين الأئمة^٤. مثالها: ما رواه ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^٥.

(١) الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٩١١-٨٤٩هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحضيري السيوطي. من كتبه (المزهر في علوم العربية وأنواعها) و (الأحاديث المنفية-خ) تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط، تعليق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م/١٦٦٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١/٣٨٦-٣٨٧.

(٣) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٤) الإتيان للسيوطي ١٠٢، ومناهل العرفان للزرقاني ج ١/٣٨٦-٣٨٧.

(٥) في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ من الآية رقم ١٢٨ من سورة التوبة.

- ٤- القراءة الشاذة: وهي كل قراءة لم يتواتر سندها، سواء رويت بإسناد ضعيف أو بإسناد صحيح منقطع^١.
- مثالها: قراءة ابن السميع^٢، "فاليوم ننحيك بدنك" بالحاء "لتكون لمن خلفك آية" بفتح اللام من كلمة ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾^٣.
- ٥- القراءة الموضوعية: وهي كل قراءة لا سند لها أصلاً، وإنما قرأ بها بعضهم عن طريق القياس، مثالها: القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي^٤، ونسبها إلى أبي حنيفة، كقراءة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٥ برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء^٦.
- ٦- القراءات التفسيرية أو (المدرجة)^٧: ويعنى بها كل ما زيد في القراءات على وجه التفسير ثم غلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن^٨. ومثالها: قراءة سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ (من أم)^٩.

(١) المراد بانقطاع السند أنها لم تُرو اعتماداً على أنها نسخت في العرصة الأخيرة، ولم تثبت في رسم المصحف الإمام.
(٢) وهو محمد بن عبد الرحمن بن السميع بفتح السين أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه. قرأ على نافع وقرأ أيضاً على طاوس بن كيسان عن ابن عباس، وقرأ عليه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ٢/١٤٣.

(٣) الآية رقم ٩٢ من سورة يونس، وهي كذلك قراءة ابن مسعود. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتني-القاهرة.

(٤) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٠١-١٠٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/٣٨٦-٣٨٧.

(٥) الإتيان للسيوطي ١/١٠١.

(٦) النشر لابن الجزري ج ١/٣٤-٣٥.

(٧) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٨) الإدراج معناه في اللغة: الإدخال والتضمين، ويراد به في علم مصطلح الحديث: "إدخال الراوي في سياق الحديث كلاماً من عنده، وهذا ما يسمى الإدراج في المتن...أ.هـ. مفاتيح علوم الحديث وطرق تحريجه لمحمد عثمان الخشت ط مكتبة القرآن بالقاهرة من دون تاريخ/٨٢.

(٩) مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة، أ.د. عبد الفتاح البركاوي/٢٥.

(١٠) النشر لابن الجزري ١/٥٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره الأستاذ الدكتور سامي عبد الفتاح هلال من أن هذا التقسيم واضح فيه التأثير " بمصطلح الحديث، وهذه الاصطلاحات في القراءات للمتأخرين لم يعرفها سلف الأمة، وإنما الذي أدى إلى ذلك بحث الفقهاء وعلماء الأصول فيما يعد قرآنا وما لا يعد"^١.

ثانيا: أنواع القراءات من حيث القبول والرد:

ذكر مكّي بن أبي طالب القيسي أن جميع ما روي من القراءات من حيث قبولها وعدم قبولها على ثلاثة أقسام:

الأول: المقبول الذي يقرأ به وهو ما اجتمعت فيه أركان القراءة الصحيحة الثلاثة، وهي: " أن ينقل عن الثقات إلى النبي -ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً. ويكون موافقاً لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده"^٢.

الثاني: المقبول الذي لا يقرأ به: وهو " ما صح نقله في الأحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به"^٣.

الثالث: " هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف"^٤.

(١) القراءات الشاذة دراسة لنشأتها ومعاييرها، أ.د/سامي عبد الفتاح هلال. ط١/٨٥.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكّي: العلامة المقرئ، أبو محمد، مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم القرطبي (٤٣٧-٣٥٥هـ) صاحب التصانيف. قال الذهبي: " ارتحل مرتين، الأولى في سنة ست وسبعين. وقال: " وله ثمانون مصنفاً"، دار نضرة مصر للطبع والنشر/٥١.

(٣) المرجع السابق/٥١-٥٢.

(٤) المرجع السابق/٥٢.

وبناء على ما سبق يتضح أنه على كل التقاسيم سواء على المتواتر والآحاد، أو المتواتر والآحاد والشاذ، حتى على التقسيم الذي يؤثر فيه بمصطلح الحديث" فالشاذ قسيم المتواتر، لأنه يندرج تحته الموضوع والمدرج"^١.

القراءة والرواية والطريق والوجه:

القراءة: هي كل ما ينسب لإمام من الأئمة مما أجمع عليه الرواة وصاحبها(إمام)^٢.

والرواية: هي كل ما ينسب للآخذين عن الإمام ولو بواسطة، وصاحبها(راو)^٣ ومثال ذلك: " ما انفرد به حفص عن عاصم، يقال عنه: رواية حفص عن عاصم، وما انفرد به شعبة، يقال عنه: رواية شعبة عن عاصم، وما اجتمع عليه الراويان(شعبة وحفص)، وانفرد به عاصم دون باقي الأئمة، يقال عنه: قراءة عاصم"^٤.

والطريق: هو ما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل^٥.

وقد ذكر الصفاقسي مثلاً للفرق بين القراءة والرواية والطريق، فقال:

"إثبات البسمة قراءة المكّي^٦، ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني عن ورش"^٧.

(١) القراءات الشاذة، أ.د/سامي عبد الفتاح هلال/٨٥.

(٢) غيث النفع في القراءات السبع لأبي الحسن علي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي(ت١١١٨هـ)، دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية(الدكتوراه)، إعداد الطالب/سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني/٢٨٨.

(٣) المرجع السابق/الموضع نفسه، ومع القراءات القرآنية أ.د/عبد الحميد محمد أبو سكين/١٧ ط دار البشري للطباعة والنشر-القاهرة.

(٤) القراءات القرآنية وصلتها باللهاجات العربية د/رشاد محمد سالم/١٧٢ ط دار المنار سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

(٥) غيث النفع للصفاقسي/٢٨٨، وأشهر المصطلحات/١٠٢، ومع القراءات القرآنية/١٧.

(٦) هو: عبد الله بن كثير، الإمام العلم مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة(١٢٠-٤٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣١٨/٥-٣٢٢.

(٧) غيث النفع للصفاقسي/٢٨٨، وأشهر المصطلحات/١٠٢.

والوجه: هو صورة من الصور المختلفة التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزام بصورة معينة^١.

مثال ذلك: "الوقف العارض للسكون على نحو ((العالمين))"^٢، ففيه أوجه ثلاثة عند كل القراء: القصر، والتوسط، والمد مع الإسكان المجرد من الروم والإشمام، فللقارئ أن يقرأ بأي وجه من هذه الأوجه الثلاثة، ولا يقال عنه حينئذ: إنه قصر في الرواية بترك الوجهين الآخرين، وهذه الأوجه الثلاثة، ونحوها لا يقال عنها قراءات ولا روايات ولا طرق، ولكن يقال عنها: أوجه فقط"^٣.

وبناء على هذا، فإن الخلاف "إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم، واتفقت الروايات والطرق عنه، فهو قراءة، وإن كان للراوي عنه فهو رواية، أو من بعده فنازلاً فطريق، وما كان على غير هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه فوجه"^٤.

فوائد تعدد القراءات:

للقرآيات القرآنية فوائد كثيرة، منها:

١. التسهيل والتخفيف على الأمة، ورفع الحرج عنها^٥.
٢. إنها دليل قاطع، وبرهان ساطع على أنها إعجاز من الله - تعالى - لجميع البشر^٦.
٣. الاحتفاظ بلهجات القبائل العربية من همز وتسهيل، وفتح وإمالة، وإظهار وإدغام، وغير ذلك^٧.

(١) القراءات القرآنية وصلتها باللهاجات العربية/١٧٣.

(٢) غيث النفع/٢٨٨-٢٨٩.

(٣) القراءات القرآنية وصلتها باللهاجات العربية/١٧٣.

(٤) مدخل إلى دراسة القراءات القرآنية/٢٦.

(٥) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب/٨١.

(٦) المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد. د/عبد الفتاح إسماعيل شبلي/١٧.

(٧) المرجع السابق/الموضع ذاته.

٤. المحافظة على العربية الفصحى كتابةً ونطقاً، فقد نقلت القراءات القرآنية إلينا نقلاً دقيقاً متواتراً كتابةً ونطقاً، بخلاف المصادر اللغوية الأخرى، فقد وردت " مكتوبة لا منطوقة، وكثيراً ما أوقعت طريقة الكتابة العربية في التصحيف والتحريف"^١.

٥. الاحتجاج بها " لقول بعض أهل العربية"^٢، كما في قراءة حمزة ((والأرحام))، بكسر الميم^٣، فقد احتج بها الكوفيون لجواز العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض^٤.

٦. الجمع بين حكمين مختلفين^٥، كما في قراءة (يَطْهَرْنَ، و يَطَهَّرْنَ) بالتخفيف والتشديد^٦، "فهاتان القراءتان ينبغي الجمع بينهما، وذلك لأن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها، وتطهر بالاغتسال"^٧.

(١) القراءات القرآنية ورؤية لغوية معاصرة، مقال للدكتور/أحمد مختار عمر في مجلة دراسات عربية وإسلامية/١٢، العدد ٤٤، سنة ١٩٨٥م.

(٢) المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد/١٧.

(٣) التذكرة في القراءات: الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩هـ): تحقيق/ د. سعيد صالح زعيمة. دار ابن خلدون، الإسكندرية. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ٢٣٣/، وجامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو الداني/٤٧١، وغيث النفع/٥٠٧، وهي كذلك قراءة النخعي وقتادة والأعمش/معجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب ج ٥/٢.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات ابن الأنباري النحوي (٥٧٧-٥١٣هـ) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله مصغر بن أبي سعيد كمال الدين، تحقيق ودراسة جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١/٣٧١، وآراء النحاة في بعض قراءات القرآن الكريم للدكتور/حسن سيد أحمد الناطق/٢٤.

(٥) القراءات القرآنية د/عبد الحليم قابة/٧٠.

(٦) في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ من الآية رقم ٢٢٢ من سورة البقرة، وقراءة (يَطْهَرْنَ) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم من رواية حفص وغيرهم. السبعة في القراءات لابن مجاهد/١٨٢، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٢/١٧٨. وأما قراءة (يَطَهَّرْنَ) فقرأ بها عاصم من رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي. السبعة في القراءات لابن مجاهد/١٨٢، والبحر ج ٢/١٧٨.

(٧) المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد/١٦.

٧. الدلالة على حكمين شرعيين^١، مثال ذلك: قراءة الخفض والنصب في لفظ (وأرجلكم)^٢، فنسق الآية يشير إلى أن "الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبيَّنَهُمَا النبي ﷺ، فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره"^٣.

(١) المرجع السابق/الموضع ذاته، والنشر لابن الجزري ج ١/٣٤-٣٥.

(٢) في قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) الآية رقم ٦ من سورة المائدة. والقراءتان متواترتان. السبعة/٢٤٢، والتيسير/٨٢، والنشر ج ٢/١٤٩.

(٣) النشر لابن الجزري ج ١/٣٤-٣٥

الفصل الأول:

لمحة تاريخية عن القراءات الشاذة

الشذوذ في اللغة: مصدر شذَّ يشذُّ شذًّا وشذوذًا، أي انفرد وندر عن الجمهور فهو شاذٌّ^١. يقول ابن فارس: "الشين والذال يدل على الانفراد والمفارقة، شذَّ الشيء يشذُّ شذوذًا، وشذَّذ الناس: الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم ولا منازلهم، وشذَّذان^٢ الحصى: المتفرق منه. قال امرؤ القيس:^٣

تُطَايِرُ شُدَّانَ الحصى بِمَنَاسِمِ صلابِ العُجى ملثومها غيرُ أمعرا^٤.

ويقول ابن سيده: "شذَّ الشيء يشذُّ، ويشذُّ شذًّا، وشذوذًا: ندر عن جمهوره"^٥.

(١) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي أبو الطاهر مجد الدين (٧٢٩-٨١٧هـ)، ج١/٣٥١، وتاج العروس للزبيدي ج٩/٤٢٣، ولسان العرب لابن منظور، م٢٨/٥ (مادة شذذ).

(٢) قال عبد السلام محمد هارون محقق معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "شذَّان، بالضم: جمع شاذ، كشاب وشبان. وبالفتح: صفة على فعلان".

(٣) هذا البيت منسوب إلى امرئ القيس، وفي ديوانه (ظُرَّان) بدلًا من (شذَّان) والظُرَّان: بالكسر، واحدها ظُرَّر بالضم: حجر له حد. والعجى: واحدها عجاية: وهي قدر مضعة تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركة البعير إلى الفرس، والأمر: الذي ذهب شعره. وإذا كان هذا البيت على رواية (ظُرَّان) لا شاهد فيه في توضيح معنى الشذوذ، فإن امرؤ القيس قد ذكر بعده بيتا اشتمل عليه، وهو قوله:

كأن صليل المرو حين تشدّه * صليل زيوف ينقدن بعقرا.

والمرو: الحجارة التي تقدح النار. وتشده: تنحيه. الزيوف: الدراهم القسية، وهي الصلبة. ينقدن: يضرين بالأصابع. بعقر: موضع باليمن. ديوان امرئ القيس، اعتناء وشرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعارف، بيروت-لبنان، ط٢ سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م/٩٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٣٩٥-٣٢٩هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. من تصانيفه: (المجمل-خ) و(الصاحبي-ط) ج٣/١٨٠.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده (٤٥٨-٣٩٨هـ) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. تحقيق/عبد الستار أحمد فراج، ط١، سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م/٧/٤٢١.

وبناء على ما سبق يتضح أن مادة(ش ذ ذ) يدور معناها حول الانفراد، والمفارقة، والتفرق، والندرة، يقول ابن جني: "وأما مواضع(ش ذ ذ)في كلامهم فهو التفرق والتفرد"^١، ثم يذكر بعد ذلك أن أهل علم العرب "جعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذاً"^٢. وهذا المعنى اللغوي له أثر في المعنى الاصطلاحي؛ لأن القراءة الشاذة هي "التي انفردت وخرجت عما عليه الجمهور"^٣، أشار إلى ذلك السخاوي، حيث قال: "كفى بهذه التسمية، -أي الشاذة- تنبيها على انفراد الشاذ وخروجه عما عليه الجمهور"^٤.

تعريف القراءة الشاذة في الاصطلاح:

اختلف أهل العلم في تحديد معنى القراءة الشاذة، وذلك على النحو الآتي:

١- ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الشاذ هو: ما فقد تواتره عن رسول الله ﷺ، من هؤلاء الإمام السخاوي، حيث قال: "وإذا كان القرآن هو المتواتر، فالشاذ ليس بقرآن، لأنه لم يتواتر"^٥.

وبنى -أعني السخاوي- تعريفه هذا على أن الشاذ قد خرج "عن إجماع المسلمين، عن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كان موافقا للعربية، وخط المصحف، لأنه جاء من طريق الآحاد، وإن كانت نقلته ثقات، فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن"^٦.

ويتوافق مع هذا التعريف ما ذكره شيخ الشافعية الحافظ أبو عمرو بن الصلاح(ت٦٤٣هـ) حيث ذكر عنه ذلك أبو شامة، ثم قال-أي أبو عمرو: "والقراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة، متلقاة بالقبول من الأمة"^١.

(١) الخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الادب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عاما، تحقيق/محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج١/٩٧.

(٢) المرجع السابق/الموضع ذاته.

(٣) القراءات الشاذة دراسة لنشأتها ومعاييرها، أ.د.سامي عبد الفتاح هلال/٨٦.

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي الشافعي(٦٤٣-٥٥٨هـ)، تحقيق وشرح وتعليق/مروان العطية، دار المأمون للتراث، ط ١ سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م/٣٢٢.

(٥) جمال القراء للسخاوي/٣٢٥.

(٦) جمال القراء للسخاوي/٣٣١، والمرشد الوجيز لأبي شامة/٣٨١.

وكذلك ما ذكره ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) حيث قال: "وهو -أي الشاذ- ما نقل آحاداً"^٢.
 وإلى هذا ذهب ابن دقيق العيد^٣، حيث قال: "وهذه الشواذ نقلت نقل آحاد"^٤.
 ويذكر الصفاقسي أن الشاذ: "ما ليس بمتواتر، وكل ما زاد الآن على القراءات العشرة فهو
 غير متواتر"^٥.

ويعرف السيوطي الشاذ بقوله: "الشاذ وهو ما لم يصح سنده"^٦.
 ويلاحظ من التعريفات المذكورة، اتفاقها جميعاً على أن الشاذ ما ليس بمتواتر، سواء نقله ثقة
 أو غير ثقة، إلا أن تعريف السيوطي يتعارض مع ما ورد عن الصحابة^٧ من قراءات شاذة
 صحيحة الإسناد، كالذي روي عن عمر بن الخطاب^٨: ((الشيخ والشيخة إذا زنيا
 فارجموهما البتة))^٩. لذا، فالقول بأن الشاذ ما ليس بمتواتراً أدق تعبيراً مما لم يصح سنده، حتى لا
 يعارضه ما صحَّ سنده عن الصحابة^{١٠} ومع ذلك حكم بشذوذه، لكونه شذَّ عن رسم
 المصحف الذي تواتر ما فيه عن رسول الله^{١١}.

٢- ما ذكره مكِّي بن أبي طالب ومن وافقه من أن الشاذ^{١٢}: "هو ما خالف الرسم أو العربية،
 ونقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية"^{١٣}.

(١) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي
 شامة (٦٦٥-٥٩٩هـ)، تحقيق ودراسة د/وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي
 ، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م/٤٠٣.

(٢) بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب) لشمس الدين أبي الثناء محمود بن جمال الدين، أبي القاسم عبد الرحمن
 بن مجد الدين أحمد بن أبي بكر بن علي الأصفهاني (٧٤٩-٦٧٤هـ)، تحقيق د/محمد مظهر بقا،
 ط ١، سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ج ١/٤٧٣.

(٣) وهو محمد بن علي بن وهب بن مطيع (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده
 بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد.

(٤) منجد المقرئين لابن الجزري/٢٢.

(٥) غيث النفع للصفاسي/٢٧٠.

(٦) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي/١٦٧.

(٧) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤-١٥٧هـ)، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء
 تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق-بيروت/٣١٩. وفيه أيضاً رواية هذه القراءة عن أبي بن كعب، وغيره.

(٨) الإبانة عن معاني القراءات لمكي/٥٢.

ويلاحظ من تعريف مكّي أنه أراد بما خالف الرسم، ما صحّ سنده عن الصحابة-رضي الله عنهم- وخالف رسم المصحف الإمام المجمع عليه، فهذا وإن كان صحيح الإسناد مشتهراً إلا أنه شاذّ، لكونه شدّد عن رسم المصحف، يقول ابن الجزري مشيراً إلى ذلك: "والقسم الثاني من القراءة الصحيحة ما وافق العربية وصحّ سنده وخالف الرسم كما ورد في الصحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك: ما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءات تسمى اليوم شاذة، لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً"^٢.

وأما ما ذكره من شذوذ ما لا وجه له في العربية وإن نقله ثقة، فأغلب الظن أن مراده من ذلك ما ورد آحاداً غير موافق للفصح أو الأوضح من وجوه العربية، ولا يتصور العقل أن يكون مراده كونها متواترة ومخالفة للعربية، لأنه لا يمكن أبداً أن تتواتر قراءة عن النبي ﷺ وتكون مخالفة للغة العرب، وما ورد منها ظاهره المخالفة، ك((الأرحام)) بالخفض^٣، فإنما أريد منها تصحيح العربية بالقرآن وقراءاته، لأنها كلام الله المعجز ببيانه، وأسلوبه، ومنزّل على أفصح العرب رسول الله ﷺ.

٣- عرف الجرجاني الشاذ بأنه: "الشاذ: ما يكون مخالفاً للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته"^٤.

٤- ذهب كثير من علماء القراءات إلى أن القراءة الشاذة هي: "كل قراءة فقدت ركناً أو أكثر من أركان القراءة الصحيحة، وهي (التواتر)، ورسم المصحف العثماني ولو احتمالاً"،

(١) القول الجاد لمن قرأ بالشاذ للنويري محمد بن محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النويري (٨٠١ - ٨٥٧ هـ): فقيه مالكي عالم بالقراءات. ولد في الميمون (من قرى الصعيد بمصر) وتعلم بالقاهرة، وحج مرارا، وأقام بغزة/٦٥.

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري/١٩، ولطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني/٧٢.

(٣) التذكرة في القراءات لابن غلبون/٢٣٣، وجامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو الداني/٤٧١، وغيث النفع/٥٠٧، وهي كذلك قراءة النخعي وقتادة والأعمش/معجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب ج٢/٥٠.

(٤) كتاب التعريفات للسيد شريف الجرجاني: علي بن محمد الحسيني(٨١٦-٧٤٠هـ)، متكلم بارز ومتصوف مشهور. مولده في جرجان ووفاته بشيراز، مكتبة لبنان/١٢٩.

وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية))^١ ، أشار إلى ذلك أبو شامة، حيث ذكر أن كل "قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلت هذه الأركان الثلاثة، أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة، أشار إلى ذلك كلام الأئمة المتقدمين"^٢.

ويقول النووي: "متى اختل ركن من هذه الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أو من أكثر منهم"^٣.

وقد نظم ابن الجزري ذلك في طيبته فقال:

فكل	ما	وافق	وجه	نحو	وكان	للرسم	احتمالاً	يحيوي
وصحّ	إسناداً	هو	القرآن	فهذه	الثلاثة	الأركان		
وحيثما	يختل	ركن	أثبت	شذوذه	لو	أنه	في	السبعة ^٤

وبناء على هذا، أجمع أهل العلم على تواتر القراءات العشرة، وشذوذ ما عداها^٥.

• أنواع الشاذ:

- (١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي/٥٦، والمرشد الوجيز لأبي شامة/٣٨١-٣٨٢.
- (٢) المرشد الوجيز لأبي شامة/٣٨١-٣٨٢.
- (٣) شرح طيبة النشر للنووي ج ١/١١٢.
- (٤) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق محمد تميم الزعبي، ط٢، مكتبة دار الهدى/٣٤.
- (٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني/٧٥، وغيث النفع/٢٧٠.

يتضح مما ذكر آنفاً أن الشاذ أنواع، يمكن ذكرها فيما يأتي^١:

الأول: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين:

إحداها: أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أُجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يُقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جرده، وبئس ما صنع إذ جرده^٢.

وقد ذكر ابن الجزري أن هذه القراءة "تسمى اليوم (شاذة)، لكونها شذت عن رسم المصحف (المجمع عليه) وإن كان إسنادها صحيحاً، فلا تجوز القراءة بها"^٣.

ومثّل ابن الجزري لهذا النوع بقراءة ابن مسعود وأبي الدرداء^٤: ((والذکر والأنثى))^٥ ، وقراءة ابن عباس^٦: ((وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً))^٧.

النوع الثاني: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف^٨.

ومثّل ابن الجزري لما نقله غير ثقة، بقراءة ابن السميع^١، وأبي السَّمَال^٢، وغيرهما: ((ننجيك ببدنك)) بالمهملة في ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾^٣، ((لتكون لمن خلفك)) بفتح اللام^٤ من

(١) الإبانة لمكي/٥١-٥٢، والنشر لابن الجزري ج ١/٢٣-٢٥.

(٢) الإبانة لمكي/٥١-٥٢.

(٣) منجد المقرئين/١٩، ولطائف الإشارات/٧٢.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى النبي ﷺ وابن مسعود. مختصر شواذ القرآن/١٧٧، والمحتسب ج ٢/٣٦٤، وإلى علي، وأبي الدرداء، وابن عباس. المحتسب ج ٢/٣٦٤.

(٥) في الآية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ رقم آية ٣ من سورة الليل.

(٦) في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ رقم آية ٧٩ من سورة الكهف.

(٧) النشر في القراءات العشر ج ١/٢٣.

(٨) الإبانة لمكي/٥٢.

((خلفك)) في ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾^٥، وذكر ابن الجزري أن ذلك النوع كثير^٦.

وذكر ابن الجزري أيضاً أن ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية من النوع الذي لا يصدر" إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون، وهو قليل جداً، بل لا يكاد يوجد، وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة^٧ عن نافع(معائش)^٨ بالهمز^٩.

النوع الثالث: ما وافق الرسم والعربية، ولم ينقل البتة، وقد ذكر ابن الجزري أن هذا النوع" رده أحق ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر، وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) وهو: قعنب بن أبي قعنب أبو السمال بفتح السين وتشديد الميم وباللام العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس. غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢/٢٦. ومما تجدر ملاحظته أن المراد بعدم الثقة هنا، عدم الثقة في الرواية، وإن كانوا ثقات عدولاً في أمور أخرى، فهما وإن كان لهما اختيار في القراءة إلا أن اختيارهما شذواً فيه عن الجمهور، لذا قال ابن الجزري يصف اختيار ابن السميع: "له اختيار في القراءة ينسب إليه شذوً فيه".أ.ه. غاية النهاية ج ٢/١٤٣، وقال في وصف اختيار أبي السمال: "له اختيار في القراءة شاذ عن العامة".أ.ه. الغاية ج ٢/٢٦.

(٣) من الآية رقم ٩٢ من سورة يونس.

(٤) وهي كذلك قراءة ابن مسعود. مختصر ابن خالويه/٦٣.

(٥) الآية رقم ٩٢ من سورة يونس.

(٦) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١/٢٤.

(٧) وهو: خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبي السرخسي، أخذ القراءة عن نافع، و أبي عمرو، وله شذوذ كثير عنهما لم يتابع عليه وروى أيضاً عن حمزة حروفاً، روى القراءة عنه العباس بن الفضل، و أبو معاذ النحوي ومغيث بن بديل، توفي سنة ١٦٨ هـ. غاية النهاية ج ١/٢٤٣.

(٨) هذه قراءة شاذة، والمتواتر(معائش) واللفظة القرآنية من الآية رقم ١٠ من سورة الأعراف. و(معائش) قراءة منسوبة إلى خارجة عن نافع. السبعة لابن مجاهد/٢٧٨، ومختصر ابن خالويه/٤٨، واتحاف فضلاء البشر ج ٢/٤٤، وإلى أبي جعفر. معجم القراءات ج ٣/٩.

(٩) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١/٢٤-٢٥.

محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي (١) ... وقد عُقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه، وأوقف للضرب فتاب ورجع، وكتب عليه بذلك محضر^٢.
ومما تجدر ملاحظته هنا أن ما فُعل بابن مقسم فيه دلالة واضحة وقوية على إجماع الأمة على عدم جواز القراءة بما لم يرد متواتراً عن رسول الله ﷺ، وإن ورد من العربية على أفصح اللغات، وكان كذلك موافقاً لرسم المصحف، إذ العبرة بتواتر السند عن رسول الله ﷺ واستفاضته، وتلقيه بالقبول من سواد الأمة.

ولو كانت القراءة مباحة بما هو فصيح لغة، وموافقاً لسواد المصحف، لما عُقد لابن مقسم الذي كان يجيز ذلك مجلس يحضره الفقهاء والقراء، وإجماعهم على منعه من ذلك، وضرب حتى تاب ورجع، بل لتأكيد خطورة هذا الأمر، والحث على تركه، وعدم التمثل به كتب عليه بذلك محضر.

بدء تشييد القراءات وتاريخه:

أخذت القراءات القرآنية نصيباً وافراً، وحيزاً كبيراً من اهتمام العلماء، سواء من ناحية الدقة في الضبط، أو الرواية، أو التلقين، أو التوجيه، وعُنوا بها عناية فائقة منذ العصور الأولى في الإسلام، وبخاصة عصر النبوة، فقد كان النبي ﷺ يعرض على جبريل القرآن، ويعرضه عليه جبريل، وقد عرضه عليه في العام الذي توفي فيه ﷺ مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ (مرحبا بابنتي) . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن، فسألته عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ، فسألته فقالت: أسر إلي (إن

(١) وهو: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان بن داوود بن عبيد الله بن مقسم، أبو بكر البغدادي العطار الإمام المقرئ النحوي، (٢٦٥ - ٣٥٤هـ) أخذ القراءة عرضاً عن إدريس بن عبد الكريم، وغيره، روى القراءة عنه عرضاً ابنه أحمد، وغيره. غاية النهاية لابن الجزري ج٢/١١٠.

(٢) النشر في القراءات العشر لا بن الجزري ج١/٢٥.

جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي" (١)، وفي كل مرة كان يُعلم جبريلُ رسول الله ﷺ "بما نسخ من القرآن، وكُتِّب الوحي يكتبون ذلك عن الرسول ﷺ" (٢).

وتعد العرصة الأخيرة هي البداية الحقيقية لتشديد القراءات (٣).

وكان النبي ﷺ يسمع الصحابة القرآن من خلال القراءة بهم في الصلاة، أو في مجالس العلم والتلقين، وكان أيضا يجب أن يسمعه من الصحابة، فالنبي ﷺ يقول لعبد الله بن مسعود "اقرأ عليّ، يقول ابن مسعود: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه من سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، فقال: حسبك الآن، فإذا عيناه تذرّفان.

وقد وعى الصحابة ﷺ قيمة ما تركه لهم رسول الله ﷺ، وهو القرآن وقراءاته، فكانوا شديدي الحرص على المحافظة عليه وعلى قراءاته رواية وتلقينا، و يدل على دقة الصحابة في المحافظة على كتاب الله ﷻ ما ذكره ابن عطية-رحمه الله-من أنه "رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان

(١) ينظر: صحيح البخاري ج ٤/٢٠٤، وورد أيضا من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري ج ٦/١٨٦، وورد ذلك أيضا من حديث عائشة في صحيح مسلم ج ٧/١٤٢-١٤٣.

(٢) القراءات الشاذة نشأتها ومعاييرها. أ.د/سامي عبد الفتاح هلال/٨٢-٨٣.

(٣) مال إلى القول بذلك الأستاذ الدكتور/ سامي عبد الفتاح هلال في كتابه القراءات الشاذة/١١٩، في حين ذهب د/غانم قدوري الحمد في كتابه رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية/٦٥٦ إلى أن بداية الشذوذ كانت من الرسم العثماني، ومال إلى هذا الرأي د/توفيق أحمد العبقري في كتابه الرسم القرآني ضابطا من ضوابط القراءة الصحيحة/١١٩، وذهب د/ محمد أحمد الصغير في كتابه القراءة الشاذة وتوجيهها النحوي/٣٣ إلى أن بداية الشذوذ من الجمع البكري-أي من جمع أبي بكر الصديق القرآن- ولعل ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور سامي عبد الفتاح هلال أرجح الأقوال وأقربها إلى الصواب، والله أعلم.

يجمع في يوم الجمعة شبابا من القراءة^١، فيهم ابن عباس^٢، والحر بن قيس^٣، وغيرهما، فيقرؤون بين يديه ومعه^٤.

ومن هنا تميز بعض الصحابة في قراءتهم، ونسبت إليهم قراءات نسبة اختيار لا ابتداء وابتكار، فقليل مثلاً "قراءة ابن مسعود، وقراءة أبيّ، أو قراءة زيد، وهكذا، وظهر لكل واحد منهم تلاميذ ينقلون منه، وكل ذلك في ظلال الأحرف السبعة"^٥.

ثم ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الجمع الأول للقرآن بسبب موت كثير من القراء في حرب اليمامة، ويُعدُّ الجمع الأول للقرآن هو المرحلة الثانية من مراحل تشييد القراءات، حيث إن كل ما خرج على المنهج الذي التزم به زيد بن ثابت رضي الله عنه ومن معه عُدَّ شاذًا، ويتلخص منهج زيد بن ثابت في الآتي^٦:

الأول: أن لا يجمع إلا ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) جمع قارئ، يقال رجل قارئ من قوم قراء وقراءة وقارئين، لسان العرب/٣٥٦٤.
(٢) وهو: عبد الله بن عباس البحر حبر الامة، وفقه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله (ت سنة ٦٧ أو ٦٨هـ) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الامير رضي الله عنه. مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين.

سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣/٣٣١-٣٣٢-٣٥٩.

(٣) وهو: الحرُّ بن قيس بن حصين بن بدر بن حذيفة الفزاري، وهو ابن أخي عيينة بن حصن. كان أحد الوفد الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ج ١/١١٠٦، وأسد الغابة لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ج ١/٤٧١.

(٤) الحرر الوجيز لابن عطية (٤٨١ - ٥٤٦ هـ) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين. وتوفي بلورقة.

تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م بيروت-لبنان ج ١/٢٨٢.

(٥) القراءات الشاذة نشأتها ومعاييرها، أ.د/سامي عبد الفتاح هلال/٨٣.

(٦) دراسات في علوم القرآن تأليف أ.د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط ١٤، سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م/٨٧.

الثاني: أن لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ، فقد قال سيدنا أبو بكر لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"^١، أو أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي ﷺ عام وفاته"^٢.

الثالث: ألا يجمع إلا ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

الرابع: ألا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه سمعاً من فم الرسول ﷺ، فقد نادى عمر رضي الله عنه في الناس قائلاً: "من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به"^٣.

ومما يؤكد على أن هذا الجمع هو المرحلة الثانية من مراحل الحكم على بعض القراءات بالشذوذ هو ما فعله زيد بن ثابت رضي الله عنه من عدم قبول قراءة آية الرجم التي جاء بها عمر بن الخطاب، وهي قوله تعالى: ((لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم، الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبة نكالا من الله والله عزيز حكيم))^٤، لأنها جاءت بخبر الواحد، قال السيوطي: "وإن عمر أتى بأية الرجم فلم يكتبها أي زيد، لأنه كان وحده"^٥.

وهكذا تبدو أهمية جمع أبي بكر رضي الله عنه، حيث إنه "مرحلة أساسية في توحيد الجهود للحفاظ على النص القرآني، وإخراج ما نسخ في حياة الرسول ﷺ"^٦.

(١) كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي السجستاني المعروف ب(ابن أبي داؤد)(٣١٦-٢٣٠هـ)، دراسة وتحقيق ونقد د/محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط١، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م/٨٧.

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي/١٣١.

(٣) كتاب المصاحف لابن أبي داؤد/١٧١.

(٤) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر بن علي(ت٤١٠هـ) أبي القاسم: مفسر، ضرير، من أهل بغداد. و بها وفاته كانت له حلقة في جامع المنصور. مكتبة المتنبّي، القاهرة/٥. وهذه الآية منسوخة الخط فقط، أما حكمها فباق، وعدم قبول زيد لها لأنها جاءت بخبر الواحد، وهو عمر-رضي الله عنه-، فلعله لم يكن يعلم بنسخها في العرضة الأخيرة، فعدم قبولها إذاً، لكونها منسوخة، ولأنها خبر الواحد، وليس معنى هذا أيضاً أن كل خبر ورد من طريق الأحاد يرد.

(٥) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي/١٣١.

(٦) القراءات الشاذة نشأتها ومعاييرها، أ.د/سامي عبد الفتاح هلال/٨٣.

ويعد الجمع الثاني للقرآن الذي تمّ بأمرٍ من سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه خشية تفرق المسلمين بعد اختلافهم الشديد على كتاب الله^١ في فتح أذربيجان^٢ وأرمينية^٣، هو المرحلة الثالثة لتشديد القراءات، فما خالف مقاييس الجمع التي التزم بها زيد بن ثابت ورفاقه رضي الله عنهم عدّ شاذاً لا تجوز الصلاة به، وقد أشار ابن عطية إلى المقاييس التي التزم بها في الجمع الثاني، فقال: "استناب (أي سيدنا عثمان) الكُفأة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفصح اللغات"^٤.

ومن خلال هذا النص نلاحظ أن الجمع العثماني تم على أساس مراعاة ثلاثة شروط متمثلة في الآتي:

١- الأخذ بأشهر الروايات.

٢- الاعتماد على أفصح اللغات.

٣- كتابة المصحف برسم معين.

هذا، وقد خرج عن هذه الشروط قراءات كثيرة من ذلك: أنهم اختلفوا في ((التابوت والتابوه، فقال نفر القرشيون التابوت، وقال زيد التابوه، فرجع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي/٦٢، والعواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم للقاضي أبي بكر ابن العربي (٤٦٨ - ٤٥٣ هـ) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الادب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. تعليق/محب أكبر بن الخطيب/٥٧.

(٢) وقد فتح قوم الذال، وسكنوا الرءاء، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك. وحد أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والظرم، وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدائنها تبريز وهي اليوم قصبته وأكبر مدنها، وكانت قصبته قديماً المراغة، ومن مدنها خوي، وسلماص، وأرمية، وأردبيل، ومرند، وغير ذلك، وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، وأهلها صباح الوجوه حمرها رفاق البشرية، ولهم لغة يقال لها الأذرية لا يفهمها غيرهم، وفي أهلها لين وحسن معاملة إلا أن البخل يغلب على طباعهم، وهي بلاد فتنة وحروب ما خلت قط منها، فلذلك أكثر مدنها خراب وقرها يباب. معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١/١٢٨.

(٣) إرمينية بكسر أوله ويفتح وسكون ثانيه وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال. قال أهل السير سميت أرمينية بأرمينا بن لنطا بن أوامر بن يافث بن نوح عليه السلام. معجم البلدان لياقوت ج ١/١٥٩-١٦٠.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٤٧-٤٨.

التابوت فإنه بلسان قريش^١، لأنها الأفصح، قال الدكتور/محمود أحمد الصغير: "بقي خارج حدود عثمان عدد من الحروف التي تتميز عما في نسخه، بالزيادة كقراءة ابن مسعود: ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم إني لكم نذير مبين))^٢ بزيادة (فقال يا قوم)^٣، أو بالنقصان كترك (على) في قراءة ابن عباس: ((يا حسرة العباد))^٤، أو باختلاف لفظة، كقراءة ابن مسعود^٥ (ولا تنقصوه) بدل (ولا تضرونه)^٦، أو أكثر من لفظة كقراءة أنس بن مالك (ولا تقربوا النساء في الحيض واعتزلوهن حتى يتطهرن)، وهي في نسخ عثمان (فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)^٧. وقد يكون الاختلاف طفيفاً لا يتجاوز حرفاً واحداً، كقراءة أبي (فشربوا منه إلا قليلاً)^٨ برفع (قليل) وتنوينها، وهي في نسخ عثمان (إلا قليلاً)^٩.

لقد جاء معظم هذه الحروف في مصحف ابن مسعود، لعدم شهوده العرضة الأخيرة، وفي مصحف أبي بن كعب الذي لم يشأ^{١٠}، كما تذكر المصادر، أن يتخلى عما سمعه بنفسه من النبي ﷺ، كما جاء بعضها في مصاحف الصحابة الآخرين الذين عنوا أحياناً بتفسير بعض الألفاظ أو الأحكام وأثبتوا ذلك كتابة^{١١}.

(١) كتاب المصاحف لابن أبي داود/٢١٩-٢٢٠، والمحرر الوجيز لابن عطية ج١/٤٩.

(٢) القراءة المتواترة بدون زياد (فقال يا قوم) الآية رقم ٢٥ من سورة هود.

(٣) كتاب المصاحف لابن أبي داود/٣١٩.

(٤) القراءة المتواترة بزيادة لفظ (على) من الآية رقم ٣٠ من سورة يس.

(٥) كتاب المصاحف لابن أبي داود/٣١٩.

(٦) من الآية رقم ٥٧ من سورة هود.

(٧) الآية رقم ٢٢٢ من سورة البقرة.

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه/٢٢.

(٩) الآية رقم ٢٤٩ من سورة البقرة.

(١٠) قلت: في إيراد ذلك عن أبي نظر.

(١١) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي للدكتور/محمود أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان،

ط١، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م/٣٤-٣٥.

وعلى الرغم مما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه من توحيد المصاحف على رسم واحد يحتمل كل القراءات التي ثبت تواترها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره بإحراق ما عدا تلك المصاحف، فإن طائفة من الناس ظلوا متمسكين بما خالف فعل سيدنا عثمان مقتنعين "تماماً بأن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن تجاهله"^١، قال مكّي بن أبي طالب: "تمادى بعض الناس على القراءة بما يخالف خط المصحف مما ثبت نقله، وليس ذلك بجيد، ولا بصواب، لأن فيه مخالفة الجماعة، وفيه أخذ القرآن بأخبار الآحاد، وذلك غير جائز عند أحد من الناس"^٢.

ولأجل ذلك فإن كثيراً من العلماء شتموا عن ساعد الجد محققين ومؤلفين كتباً قيمة تبرز في وضوح تام المقاييس الثلاثة التي تمت مراعاتها في الجمع الثاني للقرآن الكريم، التي بها يتم معرفة صحيح القراءات من شاذّها، فقد عُني المسلمون الأوائل برسم المصحف عناية فائقة، يقول الدكتور/غانم قدّوري الحمد: "توفرت روايات رسوم مصاحف الأمصار لدى العلماء في وقت مبكر"^٣ وخرجت في سبيل ذلك مؤلفات قيمة على رأسها كتاب ((اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق))^٤، وكتاب ((مقطع القرآن و موصوله))^٥ لصاحبهما إمام الشام عبد الله ابن عامر^٦ و ((هجاء السنة))^٧ للغازي بن قيس و ((المصاحف)) لابن أبي داؤد، وغير ذلك.

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، د/محمود أحمد الصغير/٣٧.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكّي/٤٢.

(٣) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/غانم قدّوري الحمد، ط١، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م /١٦٧.

(٤) الفهرست لابن النديم (ت ٤٣٨ هـ) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، وهو بغدادي، يظن أنه كان وراقاً يبيع الكتب. وله كتاب آخر سماه (التشبيهاً)، تحقيق/رضا-تجدد/٣٩.

(٥) المرجع السابق/الموضع ذاته.

(٦) وهو: عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة (١١٨-٢١١هـ) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران على الأصح ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان أحد حمير، وحمير من قحطان وبعضهم يتكلم في نسبه والصحيح أنه صريح النسب، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان، وقيل عرض على عثمان نفسه رضي الله عنه، وروى عنه القراءة عرضاً يحيى الذماري. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١/١٨٦-١٩٧.

(٧) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو الداني (٤٤٤-٣٧١هـ). أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي، القرطبي ثم الداني، تحقيق/محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة/٣٠.

كما عني المسلمون الأوائل أيضاً بأمر تواتر القراءة عن رسول الله ﷺ فقد ألف يحيى بن يعمر^١ ((كتاباً في القراءات، جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمناً طويلاً إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات^٢ .

وألف هارون بن موسى الأعور^٣ في أواخر المائة الثانية كتاباً في وجوه القراءات وتتبع الشاذة منها، قال أبو حاتم السجستاني^٤: "أول من تتبع بالبصرة وجوه القراءات وألفها، وتتبع الشاذ منها، فبحث عن إسناده، هارون بن موسى الأعور^٥ .

وعُني المسلمون الأوائل أيضاً ببيان موافقة القراءات للغة العرب، سواء من الناحية الإعرابية أو غيرها، يقول الأستاذ/مصطفى صادق الرافعي: " فلما كانت أواخر عهد التابعين في المائة الأولى، تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، لِمَا رَأَوْا من المساس إلى ذلك بعد اضطراب السلايق، وجعلوها علماً، كما فعلوا يومئذ بالحديث والتفسير^٦ ، وقد اشتملت كتب كثير من اللغويين والمفسرين الأوائل على توجيه القراءات توجيهاً لغوياً.

(١) وهو: يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) العدواني الوشقي الفقيه، البصري، العلامة، المقرئ، العدواني، أبو سليمان، ويكنى أبا عدي أيضاً: أول من نقط المصاحف. قاضي مرو، قرأ القرآن على أبي الأسود الدثلي. وكان ذا لسان وفصاحة، أخذ ذلك عن أبي الأسود. سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤/٤١-٤٤٢، والأعلام للزركلي ج ٨/١٧٧.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٤٠.

(٣) وهو: هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكي البصري الأزدي مولاهم علامة صدوق نبيل له قراءة معروفة، روى القراءة عن عاصم الجحدري وغيره، روى القراءة عنه علي بن نصر وغيره. كان أول م سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده هارون بن موسى الأعور وكان من القراء، مات هارون فيما أحسب قبل المائتين. غاية النهاية لابن الجزري ج ٢/٣٠٣.

(٤) وهو: أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) الإمام العلامة، أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان، السجستاني ثم البصري، المقرئ النحوي اللغوي، صاحب التصانيف. أخذ عن: يزيد بن هارون، وغيره، وقرأ على يعقوب الحضرمي القرآن، وتصدر للإقراء والحديث والعربية. السير للذهبي ج ١٢/٢٦٨-٢٧٠.

(٥) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي/٣٢٤.

(٦) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ=٢٠٠٠ م ج ٢/٤١.

ومع هذه الجهود المضنية التي قام بها المسلمون الأوائل خدمةً لكتاب الله تعالى، فقد وُجد من كان يرى جواز القراءة بالشاذ الذي يخالف رسم المصحف، كابن شنبوذ^١ الذي عُقد له مجلس بحضرة الوزير أبي علي بن مقله^٢، وبحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة، وكتب عليه به محضراً نَسَخِهِ: "سئل محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ عما حكى عنه أنه يقرؤه، وهو: فامضوا إلى ذكر الله^٣، فاعترف به، وعن: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون^٤، وكل سفينة صالحة غصبا^٥، وكالصوف المنفوش^٦، وفاليوم ننحيك ببدنك^٧، وتبت يدا أبي لهب وقد تب^٨، و(فلما خر تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين)^٩، والذكر والأنتى^{١٠}، فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما^{١١}، وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون^{١٢}، وفساد عريض^{١٣}، فاعترف بذلك^{١٤}، واستتيب منه قائلاً: "قد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان المجمع

(١) وهو: أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن أيوب بن شنبوذ البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق، قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار، منهم قنبل وإسحق الخزازي، وغيرها توفي ابن شنبوذ (٣٢٨هـ) معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١/٣٤٣-٣٤٧، وغاية النهاية لابن الجزري ج ٢/٤٩-٥٢.

(٢) وهو: محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله، أبو علي، المعروف بابن مقله، ت ٣٢٨هـ. وفيات الأعيان ج ٥/١١٣-١١٨، والأعلام ج ٦/٢٧٣.

(٣) بدلا من ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية رقم ٩ من سورة الجمعة.

(٤) بدلا من ﴿ رَزَقَكُمْ ﴾ الآية رقم ٨٢ من سورة الواقعة.

(٥) بزيادة ((صالحة)) و((أمامهم)) بدلا من ((وراءهم)) الآية رقم ٧٩ من سورة الكهف.

(٦) بدلا من ((كالهمن المنفوش)) الآية رقم ٥ من سورة القارعة.

(٧) بدلا من ((ننحيك)) الآية رقم ٩٢ من سورة يونس.

(٨) بزيادة ((قد)) الآية رقم ١ من سورة المسد.

(٩) الآية: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ رقم ٤ من سورة سبأ.

(١٠) الآية: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ رقم ٣ من سورة الليل.

(١١) بدلا من ((فقد كذبتهم)) الآية رقم ٧٧ من سورة الفرقان.

(١٢) بزيادة ((ويستعينون الله على ما أصابهم)) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران.

(١٣) بدلا من: ((كبير)) الآية رقم ٧٣ من سورة الأنفال.

(١٤) معرفة القراء الكبار للذهبي ج ١/٣٤٣-٣٤٧، وغاية النهاية لابن الجزري ج ٢/٤٩-٥٢.

عليه والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته، ثم بان لي أن ذلك خطأ، وأنا منه تائب، وعنه مقلع، وإلى الله جل اسمه منه بريء، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره"^١، وقد كان ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاثة وعشرين وثلاثمائة^٢.

والذي يبدو أن موقف ابن شنبوذ هنا لعله "راجع إما لعدم التفاته إلى أن اشتراط موافقة الرسم، إنما كان لأن المصاحف العثمانية قد كتبت على اللفظ الذي استقر في العرضة الأخيرة...أو لعدم اقتناعه بخطة التشديد التي سار عليها ابن مجاهد"^٣، مع كثرة تبحره في العلم، فقد سئل أبو طاهر بن أبي هاشم "أي الرجلين أفضل ابن مجاهد أو أبو الحسن بن شنبوذ؟ فقال...أبو بكر بن مجاهد عقله فوق علمه، وأبو الحسن علمه فوق عقله"^٤.

وإذا كان ابن شنبوذ قد رأى جواز القراءة بما خالف رسم المصحف، فإن ابن مقسم رأى جواز القراءة بما يخالف النقل قائلًا: "إن كل قراءة وافقت المصحف ووجهها في العربية، فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند"^٥، وقد نوظر على قراءته "فلم يكن عنده حجة"^٦، فاستتيب، فرجع عن اختياره بعد أن وُقِّف للضرب، وسأل ابن مجاهد أن يدرأ عنه ذلك، فدرأ عنه، فكان يقول: ما لأحد علي منة كمنة ابن مجاهد، ثم رجع بعد موت ابن مجاهد إلى قوله، فكان ينسب إلى أن كل قراءة توافق خط المصحف، فالقراءة بها جائزة، وإن لم يكن لها مادة"^٧.

(١) الفهرست لابن النديم/٣٤-٣٥.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج٢/٥١.

(٣) مقدمة لدراسات القراءات القرآنية للأستاذ الدكتور/ المواهي الرباعي البيلي، ط١، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م/٢٠٣.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج٢/٥٢.

(٥) المرجع السابق ج٢/١١١.

(٦) أي حجة قوية وبالغة، لأنه يذكر بعد قليل ما كان يحتج به من حجج واهية.

(٧) أي سند وتواتر، معرفة القراء الكبار للذهبي ج٢/٥٩٧.

وقد كانت حجة ابن مقسم في جواز القراءة بما خالف النقل " أن خلف بن هشام^١، وأبا عبيد^٢، وابن سعدان^٣ كانت لهم اختيارات في القراءة، ومن حق من بعدهم أن يختاروا، مع أن اختيارات هؤلاء لم تخرج عن قراءات الأئمة، فالأمر يتعلق باختيار قراءة مما ثبت من القراءات، لا ابتداء قراءة ما أنزل الله بها من سلطان"^٤.

ولعل من دوافع تأليف ابن مجاهد كتابه ((السبعة في القراءات))، وآخر في القراءات الشاذة هو ما شاهده من تجرؤ كل من ابن شنبوذ وابن مقسم، من قراءة الأول بما خالف الرسم، وقراءة الآخر بما خالف النقل، قال ابن مجاهد: " ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه"^٥.

طريقة الكشف عن القراءة الشاذة:

يمكن لمن أراد الوقوف على مدى شذوذ القراءة من تواترها الرجوع إلى أحد الأمور الآتية:

- ١- مراجعة كتاب من الكتب الصحيحة المؤلفة في القراءات السبع أو العشر المتواترة، فإن ما سواها شاذ، كالتيسير للداني، والنشر لابن الجزري^٦.
- ٢- مراجعة كتاب من الكتب المتخصصة في القراءات الشاذة، كالمختص لابن جني، والمختصر لابن خالويه^٧.

(١) هو: خلف بن هشام البزار، أحد راويي حمزة، وعاشر القراء العشرة، توفي سنة ٢٢٩هـ. غاية النهاية ج ١/٢٤٦.
 (٢) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري، صاحب التصانيف في القراءات واللغة وغيرهما توفي سنة ٢٢٤هـ. غاية النهاية ج ٢/١٨.
 (٣) هو: محمد بن سعدان أبو جعفر الضرير الكوفي النحوي، قرأ على سليم وغيره، و قرأ عليه محمد بن أحمد بن واصل وهو أنبل أصحابه ثقة عدل، توفي سنة ٢٣١هـ. معرفة القراء الكبار ج ١/٤٣١.
 (٤) مقدمة لدراسة القراءات القرآنية للأستاذ/الموازي الرفاعي البيلي/١٠٢.
 (٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد/٨٧.
 (٦) القراءات أحكامها ومصادرها لدكتور/شعبان محمد إسماعيل، ط ٢، سنة ١٤١٤هـ/١٢٦.
 (٧) المرجع السابق/١٢٦-١٢٧.

٣- مراجعة كتاب من الكتب التي تُعنى بذكر القراءات كتفسير الطبري، وابن عطية،
والزحشري، وأبي حيان وغيرهم^١.

٤- الرجوع إلى أئمة القراءة والعلماء المتخصصين في مجال القراءات^٢.

قراء القراءة الشاذة ورواتهم:

كما أنه ليس من السهولة حصر كل القراءات الشاذة، كذلك لا يمكن حصر رواتها، فرواة
القراءة الشاذة كثيرون، يمكن تقسيمهم إلى قسمين^٣:

الأول: رواة القراءات الأربع التي بعد العشرة، وهم:

١-الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار السيد الإمام أبو سعيد، إمام زمانه
علماً وعملاً، قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي وغيره، وروى عنه أبو عمرو بن العلاء
وغيره، ت ١١٠هـ^٤.

٢-ابن مُحْيِصِن: هو محمد بن عبد الرحمن بن محيِصِن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل
مكة مع ابن كثير، ثقة، عرض على مجاهد بن جبر وغيره، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء،
ت ١٢٣هـ^٥.

(١) القراءات أحكامها ومصادرها لدكتور/شعبان محمد إسماعيل/١٢٧.

(٢) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق/١٢٨-١٣١.

(٤) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مؤرخ، علامة محقق.

تصنيفه كبيرة وكثيرة تقارب المئة، منها " دول الإسلام ، وتاريخ الإسلام الكبير ، وسير أعلام النبلاء، والكاشف في
تراجم رجال الحديث، وطبقات القراء، تحقيق د/طيار آلي قولاج، استانبول، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م، ج ١/١٦٨-
١٦٩.

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، دار الكتب العلمية، ج ٢/٤٨١.

٣-الأعمش: هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي وغيره، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حمزة الزيات، ت ١٤٨هـ^١.

٤-اليزيدي: هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري، نحويّ مقرر ثقة علامة كبير، أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ أيضاً عن حمزة، وروى القراءة عنه أولاده محمد، وعبد الله، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وابن ابنه أحمد بن محمد، وأبو عمر الدوري، وأبو شعيب السوسي، ت ٢٠٢هـ^٢.

هذا، وقد "أجمع العلماء على الحكم بالشذوذ على القراءات التي انفرد بنقلها أحد هؤلاء الأئمة الأربعة أو راو من رواهم، وذلك لعدم تواترها"^٣.

الثاني: ورود القراءات الشاذة عن بعض الصحابة في بعض ما نسب إليهم من قراءات كابن مسعود ت ٣٢هـ، وأبي موسى الأشعري ت ٥٢هـ، وابن الزبير ت ٧٣هـ، وغيرهم، ومن التابعين، كالضحاك بن مزاحم ت ١٠٥هـ، ومحمد بن سيرين ت ١١٠هـ، وغيرهما^٤.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الصحابة رضي الله عنهم في رواياتهم للشاذ لم يُدرُ بخلداهم قط أنه شاذ، وإنما روه تارة معتقدين قرآنيته بسبب عدم شهود بعضهم العرضة الأخيرة، وأخرى لتأويل ما بين اللوحين.

(١) المرجع السابق ج ١/٢٨٦.

(٢) المرجع السابق ج ٢/٢٢٧-٢٢٩.

(٣) صفحات في علوم القراءات/٧٣.

(٤) القراءات أحكامها ومصادرها د./شعبان محمد إسماعيل/١٢٩-١٣٠.

الفصل الثاني

صلة القراءات الشاذة بالدرس الصوتي والدلالي.

تمهيد:

من الأسرار الربانية المودعة في القرآن الكريم أنه معجز لجميع طوائف البشر والجن عن أن يأتوا بمثله أو بمثل آية من آياته، يقول الله تعالى:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^١ والله درُّ ابن عطية إذ يقول:

" وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"^٢.
ولما كان الأمر كذلك فقد اشتملت الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم، والتي من جملة القراءات الشاذة على لهجات^٣ عديدة من لهجات العرب، مخاطبة لهم بما تعودت عليه ألسنتهم، ولهجت به أفواههم، حتى يعظم أمر التحدي على العرب، ويستبين عجزهم.
ولما كانت طبائع العرب مختلفة لاختلاف الطبيعة والبيئة، وعوامل أخرى، فمنهم من يسكن البادية، ومنهم من يسكن الحضر، ولكل بيئة من البيئتين خصائصها التي تتميز بها، وتعرف عنها في الغالب ويصعب عليهم أن ينتقلوا منها، أو يتحولوا عنها، لا سيما وأن فيهم الصبي، والمرأة، والضعيف، والشيخ الفاني،" فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع"^٤،

(١) الآية رقم ٨٨ من سورة الإسراء.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٤٥.

(٣) اللهجات: جمع لهجة، وهي مأخوذة من لهج بالأمر لهجا: أولع به واعتاده، واللهج بالشيء: الولوع به.. والفصيل يلهج أمه إذا تناول ضرعها يمتصه، ولهج الفصيل بأمه يلهج: إذا اعتاد رضاعها" أ.هـ لسان العرب لابن منظور، م(لهج)، وينظر كذلك المصباح المنير، م(لهج)، وتاج العروس للزبيدي، م(لهج). ويراد بها في الاصطلاح((طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة))أ.هـ اللهجات العربية نشأة وتطوراً. د/عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م/٣٣.

(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١/٢٩.

من هنا جاءت القراءات القرآنية للتيسير عليهم، والتخفيف لهم، ولذا، ذهب كلٌّ من أبي عبيد، وثعلب، والزُّهري، وآخرين إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات^١.

وإذا كانت اللهجات العربية لها مصادر عديدة اهتمت بها، فإن القراءات القرآنية بنوعها: المتواتر منها والشاذ، تعد "أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية، لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، بل يختلف عن طريق نقل الحديث، وقد رأيت ما كان من رسول الله ﷺ من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل، وما كان من إقرائه الصحابة، وقراءتهم عليه"^٢.

وبناءً على هذا، فإن ثمة علاقة أكيدة ووثيقة بين القراءات واللهجات، فالقراءات الشاذة، بالإضافة إلى القراءات المتواترة، مرآة صادقة "تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام"^٣، وهي كذلك "توثيق لما جرى على اللسان العربي من صور نطقية أدائية"^٤.

وهذه الحقيقة أشار إليها ولفنسون، فقال: "والحقيقة الثابتة أن بعض هذه القراءات يطابق تماماً اللهجات التي كانت شائعة عند العرب في القرن الأول بعد الهجرة، فهي صيغ عربية كانت مألوفة عند العرب قبل تسرب النفوذ الأعجمي، وقبل أن يطرأ تغيير في اللغة العربية التي كانت منتشرة في شمال بلاد العرب في عصر ظهور الإسلام"^٥.

ومما يُبيّن وثيقة العلاقة بين القراءات الشاذة واللهجات العربية ويؤكد لها، وجود كثير من القراءات الشاذة زاخرة بالسلمات اللهجية الصوتية والدلالية، وغيرها، فقد اشتملت القراءات الشاذة على ظواهر لهجية لم تتناولها القراءات المتواترة، من ذلك:

(١) القراءات واللهجات د/عبد الوهاب حمودة/٢١.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/عبد الراجحي/٨٣-٨٤.

(٣) المرجع السابق/٨٣.

(٤) اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن/٩٠.

(٥) تاريخ اللغات السامية لولفنسون، ط ١، سنة ١٣٤٨هـ=١٩٢٩م/٢٠٨.

● الاستنطاء:

وهي إبدال العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء^١، كقراءة أنطيناك في قوله تعالى ﴿إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^٢، يقول أبو حيان: "وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني :
 أنطيناك بالنون"^٣، قال ابن عطية: "وهي لغة في أعطى"^٤.

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج ١/٢٢٢.

(٢) الآية رقم ١ من سورة الكوثر.

(٣) تفسير البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين أبو حيان
 الغرناطي (٧٤٥-٦٥٤هـ). دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. دار الكتب العلمية. بيروت-
 لبنان، ط ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ج ٨/٥٢٠.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٥/٥٢٩.

● الفحفة:

وهي لغة هذيل يجعلون الحاء عينا^١، كقراءة (عتي) في (حتي)، قال ابن عطية: "...وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ (عتي حين) بالعين، وهي لغة هذيل"^٢.

*الكشكشة:

وهي في أسد يجعلون كاف الخطاب في المؤنث شيئا^٣، فيقولون: (عليش) في (عليك) ومنها قراءة (قد جعل رُبش تحتش سريا)^٤ في قوله تعالى ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنُكَ سِرًّا﴾^٥. إلى غير ذلك.

وإذا كان هذا بالنسبة للجانب الصوتي، فقد احتفظت القراءات الشاذة أيضا بسمات لهجية متعلقة بالجانب الدلالي، كالترادف وغيره، من ذلك إطلاق العنب على الخمر، فقد قرئ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^٦، (أعصر عنباً)، يقول ابن عطية: "وقوله: (أعصر خمرًا) قيل: إنه سمي العنب خمرًا بالمآل، وقيل: هي لغة أزدعمان، يسمون العنب خمرًا، وقال الأصمعي: حدثني المعتمر قال: لقيت أعرابيا يحمل عنباً في وعاء، فقلت: ما تحمل؟ قال: خمرًا، أراد العنب، وفي قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود ((إني أراي أعصر عنباً))^٧.

(١) المزهر للسيوطي ج ١/٢٢٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣/٢٤٣.

(٣) الصحاحي في فقه اللغة - ابن فارس (٣٩٥-٣٢٩هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، علق عليه ووضع حواشيه/أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م/٢٩، والمزهر للسيوطي ج ١/٢٢٢.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش (٥٥٣ - ٦٤٣ هـ) يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش ويا بن الصانع: من كبار العلماء بالعربية. موصلية الأصل. مولده ووفاته في حلب. من كتبه (شرح المفصل ، وشرح التصريف الملوكي لابن جني) ج ٩/٤٩.

(٥) الآية رقم ٢٤ من سورة مريم.

(٦) الآية رقم ٣٦ من سورة يوسف.

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣/٢٤٣-٢٤٤.

وهكذا تبدو الصورة واضحة في أمر العلاقة بين القراءات الشاذة واللهجات العربية، فالقراءات الشاذة ((صورة نابضة بالحياة لكثير من لهجات القبائل العربية))^١. وتتضح لنا بدايةً الأهمية الكبرى التي انطوت عليها هذه القراءات الشاذة، التي أحاول من خلال دراستي لما أورده منها أبو حيان الأندلسي مشتملاً على الجانب الصوتي والدلالي للوقوف عليها، والكشف عنها، مع إبراز معطياتها في الدرس اللغوي. ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أنه ليس كل اختلاف وارد في القراءات الشاذة منشؤه تعدد اللهجات، فهناك قدر ليس بالقليل من اختلاف القراءات الشاذة لا يرجع إلى اختلاف اللهجات، "إنما هي أوجه تجري في الفصح من الكلام، واردة على سنة العرب من صرف عنايتها إلى المعاني، ونظرها إلى الألفاظ نظر الوسائل، فلا ترى بأساً من إيراد اللفظ على وجهين، أو وجوه، ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب باقياً في نظمه ومأخوذاً من جميع أطرافه"^٢.

فالقراءات الشاذة-على هذا-بحسب اللهجات نوعان^٣:

- الأول:** القراءات الشاذة التي سبيلها اختلاف في اللهجات وتعدد في اللغات.
ومثاله: تلك القراءات الشاذة المشتملة على الهمز والتخفيف، والفك والإدغام، وغير ذلك.
الثاني: القراءات الشاذة التي ليس مرجعها اختلاف اللهجات، وتعدد اللغات^٤.
ومثاله: تلك القراءات الشاذة المشتملة على الزيادة والإتمام، أو الالتفات، أو المعاني مما ليس مرجعه إلى اختلاف اللهجات، وغير ذلك.

(١) اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣، ج ١/١٠٨.

(٢) القراءات واللهجات د/عبد الوهاب حمودة/١٢١.

(٣) المرجع السابق/١٢١-١٢٢.

(٤) المرجع السابق/١٢٧/١٢٨.

المبحث الأول

أبو حيان الأندلسي حياته وآثاره

تمهيد

إن شخصية أبي حيان غنية عن التعريف^١، فهو العالم الذي طبقت شهرته الآفاق، وسارت بحديثه الركبان. قال عنه تلميذه السبكي^٢: "شيخ النحاة، العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقا صده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سمعٍ لديه الإصغاء، وكعبة علم تُحجُّ ولا تُحجُّ، ويقصد من كل فج، تضرب إليه الإبل آباطها، وتفد عليه كُُلُّ طائفة سفيراً لا يفرق إلا نمارق البئد بساطها"^٣.

(١) ينظر لترجمته: طبقات الشافعية الكبرى ٢٧٦/٩-٣٠٧، والوافي بالوفيات ٢٦٧/٥-٢٨٣، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ٧٢٣/٢، وغاية النهاية في طبقات القراء ٢٨٥/٢، والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤، وشذرات الذهب ١٤٥/٦-١٤٧، وبغية الوعاة ٢٨٠/١-٢٨٥، والأعلام ١٥٢/٧، ومعجم المؤلفين ١٣٠/١٢-١٣١.

(٢) -ممشئة الله- ستأتي ترجمته في تلاميذ أبي حيان.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٩/٢٧٦.

نسبه ومولده

هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي^(١) الجياني^(٢) الأندلسي. وقد انتقلت عائلته من جيان إلى ((مُطَحَّشَارَشْ))، وهي من حواضر غرناطة^(٣)، وبها ولد في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، كما حدث بذلك عن نفسه في إجازته التي بعث بها إلى تلميذه الصفدي^(٤) إجابة له لما طلبها منه مستدعياً منه إجازته بمروياته وشيوخه وتصانيفه^(٥).

وقد ذكر لسان الدين الخطيب^(٦) أن أبا حيان ولد سنة ٦٥٢هـ، والصواب أنه ولد سنة ٦٥٤هـ، لأن أبا حيان أخبر بذلك عن نفسه، والرجل أعلم بحاله من غيره من البشر.

-
- (١) نسبة إلى نفزة: وهي قبيلة من قبائل البربر بالمغرب، ينظر الدرر الكامنة ج٤/٣٠٧، وبغية الوعاة ج١/٢٨٠.
- (٢) نسبة إلى جيان: وهي مدينة لها كور واسعة بالأندلس تقع شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، ينظر معجم البلدان ج٢/١٩٥.
- (٣) من أقدم بلاد الأندلس، ومعناها بلسان عجم الأندلس رمانة، من أجمل بلاد الأندلس وأحسنها وأحصنها، ينظر معجم البلدان ج٤/١٩٥.
- (٤) - بمشيئة الله - ستأتي ترجمته في تلاميذ أبي حيان.
- (٥) الواقي بالوفيات ج٥/١٧٥-١٨٥، ونقلها المقرئ في نفع الطيب ج٢/٥٤٩-٥٥٣.
- (٦) الإحاطة في أخبار غرناطة ج٣/٥٩، ولسان الدين هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، ذو الوزارتين، ولد سنة ٧١٣هـ، ونشأ بغرناطة، وقتل خنقاً في فاس عام ٧٧٦هـ. له الإحاطة في أخبار غرناطة، وطرفة العصر في دولة بني نصر، والتعريف بالحب الشريف وغيرها. ينظر لترجمته: الدرر الكامنة ج٣/٤٦٩-٤٧٤، وشذرات الذهب ج٨/٤٢٢-٤٢٦، والبدر الطالع ج٢/١٩١-١٩٤.

نشأته وصفاته

نشأ أبو حيان في غرناطة التي كانت من أكبر مدن الأندلس، وقد قامت فيها مملكة غرناطة في أواسط القرن السابع الهجري التي جددت النشاط في الحياة الفكرية والعلمية، فكانت موئل العلماء كافة في جميع العلوم والفنون.

فتلقى علومه الأولى فيها على شيوخ عصره، فقرأ بها القراءات والنحو واللغة، "وكانت أول قراءته سنة ٦٧٠هـ، حيث قرأ السبع ببلده على عبد الحق بن علي الأنصاري، وأحمد بن علي بن الطباع، والأستاذ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير"^١.

ثم تنقل في مدن الأندلس، ثم بلاد المغرب، ثم شمال إفريقية، حتى حط رحاله في المشرق، كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في ((رحلاته)).

قال عنه تلميذه الصفدي^٢: " واجتهد وطلب وحصل وكتب وقيد، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه، لأني لم أره إلا يُسمع، أو يشتغل، أو يكتب، ولم أره على غير ذلك، وله إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم، ونظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، ولم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، خصوصاً المغاربة، وتقيد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة وترخيم وترقيق وتفخيم، لأنهم مجاورو بلاد الفرنج، وأسمائهم قريبة (من لغاتهم)^٣، وألقابهم كذلك، كل ذلك قد جوده وقيده وحرره"^٤.

وقال بعض من كتب عنه: " وهو شيخ فاضل، ما رأيت مثله، كثير الضحك والانبساط، بعيد عن الانقباض، جيد الكلام، حسن اللقاء، جميل المؤانسة، فصيح الكلام، طلق اللسان، ذو

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج٥/١٧٥، وفوات الوفيات ج٤/٧٢، وغاية النهاية في طبقات القراء ج٢/٢٤٩، والإحاطة ج٣/٤٣-٤٤، وطبقات الشافعية الكبرى ج٩/٢٧٧.

(٢) - بمشيئة الله - ستأتي ترجمته في تلاميذ أبي حيان.

(٣) هذه الزيادة في نفع الطيب فقط ج٢/٥٤١.

(٤) الوافي بالوفيات ج٥/١٧٥.

لمة وافرة، وهمة فاخرة، وله وجه مستدير، وقامته معتدلة التقدير، ليس بالطويل ولا بالقصير"^١.

وكان عفيف النفس أيباً، لا يطمع في شيء غير تلاوة القرآن والأعمال الصالحة، وإلى ذلك يشير بقوله:

أريد من الدنيا ثلاثاً، وإنما لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة وإكثار أعمال عليها أواظب^٢

وكان كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن. وهو سليم في العقيدة من البدع الفلسفية، والاعتزال، والتجسيم^٣، وكان في أول أمره مالكيًا ثم تذهب بالظاهرية وهو في الأندلس، حيث كان هذا المذهب منتشرًا آنذاك، وكان يقول: "محال أن يرجع عن مذهب الظاهرية من علق بذهنه"^٤. وعند ما جاء إلى مصر تذهب للشافعي الذي كان مذهبه مشهوراً في تلك البلاد وغيرها.

وإذا كان الناس يفخرون بالكرم فإن أبا حيان-رحمه الله- كان يفخر بالبخل والحزم، يقول رحمه الله: "إذا قرأت أشعار العشق أميل إليها، وكذلك أشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما، إلا أشعار الكرم ما تؤثر في"^٥.

(١) نفع الطيب ج ٢/٥٦٥.

(٢) المرجع السابق ج ٢/٥٦٤.

(٣) الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٦-٣٠٧، والبدر الطالع ج ٢/٢٩١.

(٤) الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٤، وبغية الوعاة ج ١/٢٨١.

(٥) نفع الطيب ج ٢/٥٤٣.

وقد دافع عنه المقري ملتمساً له العذر في ذلك بقوله: "والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب، وورد البلاد ولا شيء معه، وتعب حتى وصل المناصب تعباً كثيراً، وكان قد جرب الناس، وحلب أشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل الحزم"^٢.

وكان يزهّد الناس في جميع المال والحرص عليه، فيقول:

وزهدني في جمعي المال أنه إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوماً أراح من العنا ولم يكتسب حمداً ولم يدخر أجراً^٣

لم يكن أبو حيان مبرزاً في العربية وآدابها فحسب، بل كان ملماً بلغات أخرى مما ساعده على الاتساع في المعرفة، فقد كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية، كما أتقن الحبشية، وليس أدل على إتقانه هذه اللغات من أنه ألف كتاباً في نحو اللغتين الفارسية والتركية، الأول ((منطق الخرس بلسان الفرس))، والثاني بعنوان ((كتاب الإدراك في لسان الأتراك))، وأما رسالته في الحبشية فهي ((نور الغيش في لسان الحبش)) فلم يتمها^٤.

(١) هو: أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني، مؤرخ أديب، (١٠٤١-٩٩٢هـ)، مولده بتلمسان، ووفاته بالقاهرة، له تصانيف كثيرة، منها: (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وأزهار الرياض في أخبار عياض، وروض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس). ينظر لترجمته: فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات/٥٧٤-٥٧٦، ومعجم المؤلفين ج ١/٢٤٨-٢٤٩.

(٢) نفع الطيب ج ٢/٥٤٣.

(٣) المرجع السابق/الموضع ذاته.

(٤) ينظر: مقدمة محقق تذكرة النحاة/١٢.

وكان لأبي حيان شعر ونظم كثير، وله مشاركات عديدة في الموشحات الأدبية، ويدل على ذلك قول أبي الفداء^١ فيه " وله نظم ليس على قدر فضيلته"^٢، وقول ابن تغري بردي^٣ فيه: " قلت: ومذهبي في أبي حيان أنه عالم، لاشاعر"^٤.

ومع هذا فإن لأبي حيان مقطوعات وأبياتاً شعريةً جيدة قالها في موضوعات وأغراض مختلفة. فمن حكمه:

عُداتي لهم فضل عليّ ومِنَّة فلا أذهب الرحمن عني الأعدايا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبت المعاليا^٥

وقال في قصيدته التي عارض بها (بانت سعاد):

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول العقل مختبل والقلب متبول^٦
هزت له أسمراً من خوط قامتها فما انثنى الصب إلا وهو مقتول
جميلة فصّل الحسن البديع بها فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة والثغر جوهرة والريق معسول

(١) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤-٧٧٠هـ)، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية. من تصانيفه (تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، والباعث الحثيث، وجامع المسانيد، وغيرها. ينظر لترجمته: الدرر الكامنة ج١/٣٧٣-٣٧٤، وشذرات الذهب ج٨/٣٩٧-٣٩٩.

(٢) المختصر في أخبار البشر ج٤/١٤٢، وتاريخ ابن الوردي ج٢/٣٣٩.

(٣) ابن تغري بردي هو يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكي الحنفي (٨٧٤-٨١٣هـ)، كان أبوه من ممالك الظاهر بقوق، ومن أمراء جيشه، أخذ عن علماء عصره كابن العديم والبلقيني والمقرئزي وغيرهم. من تصانيفه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. ينظر لترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج١٠/٣٠٥-٣٠٨، والبدر الطالع ج٢/٣٥١-٣٥٢.

(٤) النجوم الزاهرة ج١٠/١١٥.

(٥) الواوي بالوفيات ج٥/١٨٠، والإحاطة في أخبار غرناطة ج٣/٥٩.

(٦) من التبل، وهو السقم، القاموس "تبل" ج٣/٣٣٩.

إلى آخر القصيدة. وله شعر في فضل النحو^١.

رحلاته

تنقل أبو حيان في بلاد الأندلس طلباً للعلم والتلقي عن الشيوخ، ثم لم يطل المقام به في الأندلس فغادرها سنة ٦٧٧هـ، أو ٦٨٧هـ، أو ٦٧٩هـ^٢.

نقل تلميذه الرعيني عنه أنه قال: "سمعت بغرناطة، ومالقة^٣، وبلش^٤، والمرية^٥، وبجاية^٦، وتونس، والإسكندرية، والقاهرة، ودمياط، والمحلة^٧، وطُهُرْمُس^٨، والجيزة^٩، ومنية بني خصيب^{١٠}، ودشنا^{١١}، وقنا... ومكة - شرفها الله - وجدة..."^{١٢} وله في كل بلد شيوخ حتى استقر به المقام في القاهرة، عاصمة الممالك البحرية آنذاك، وذلك سنة ٦٨٠هـ^{١٣}.

أما الأسباب التي فرضت على أبي حيان أن يترك بلاده ويتجه إلى المغرب العربي، ثم إلى المشرق، حتى ألقى عصا التسيار في القاهرة، فقد اختلف فيها بعض المؤرخين وأصحاب

-
- (١) الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٣/٤٧-٥٠.
- (٢) ينظر: نفع الطيب ج ٢/٥٦٣-٥٨٤، وذيل تذكرة الحفاظ/٢٣-٢٤.
- (٣) مدينة بالأندلس على شاطئ البحر بين الجزيرة والخضراء والمرية. ينظر: معجم البلدان ج ٥/٤٣.
- (٤) بلد بالأندلس ينسب إليها يوسف بن جبارة البلشي، ينظر: معجم البلدان ج ١/٤٨٤.
- (٥) من مدن الأندلس يعمل بها الوشي والديباج. ينظر: معجم البلدان ج ٥/١١٩.
- (٦) مدينة على البحر المتوسط، ينظر: معجم البلدان ج ١/٣٣٩.
- (٧) المحلة الموضوع الذي يجل، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية، وهي عدة مواضع، منها محلة دقلا، ومحلة أبي الهيشم، وغيرها. ينظر: معجم البلدان ج ٥/٦٣.
- (٨) قرية بمصر. ينظر: معجم البلدان ج ٤/٥٢.
- (٩) بلدية في غربي فسطاط مصر لها كورة كبيرة واسعة، وهي من أفضل كور مصر. معجم البلدان ج ٢/٢٠٠.
- (١٠) في معجم البلدان ((منية أبي الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة السكان على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى)) ج ٥/٢١٨.
- (١١) بلد بصعيد مصر بشرقى النيل، ذو بساتين ومعاصر للسكر. ينظر: معجم البلدان ج ٢/٤٥٦.
- (١٢) نفع الطيب ج ٢/٥٦٠.
- (١٣) ذيل تذكرة الحفاظ/٢٣-٢٤.

التراجم، فيذهب الكثير منهم^١ إلى أن السبب في ذلك " شر نشأ بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع^٢، فألف أبو حيان كتاباً سماه ((الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع))، فرجع ابن الطباع أمره للأمير^٣، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه، فنشأ شر عن ذلك.

وذكر السيوطي أنه رأى في كتاب أبي حيان ((النضار))^٤ الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته، أنه مما قوي عزمه على الرحلتين عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان: "إني قد كبرت، وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم لينفعوا السلطان من بعدي". قال أبو حيان: فأشير إلي أن أكون من أولئك، ويرتب لي راتب جيد، وكساء، وإحسان، فتمنعت، ورحلت مخافة أن أكره على ذلك"^٥.

وقد أفاد أبو حيان من هذه الرحلات، حيث تعددت شيوخه، ما كان لذلك الأثر الواضح في بناء شخصية العلمية، حتى حط رحاله في القاهرة، عاصمة المماليك البحرية آنذاك، سنة ٦٨٠هـ^٦، فنال عندهم وعند الناس منزلة عالية ومكانة مرموقة، ولم يكن أبو حيان نكرة يجهلها الناس، فله من العلم والذكاء والبحث والتحصيل ما جعله عالماً فذاً في زمانه، فأسندت إليه دراسة التفسير والحديث في المدرسة المنصورية، ودراسة الإقراء بالجامع الأحمر،

(١) نفع الطيب ج ٢/٥٨٣-٥٨٤، والدرر الكامنة ج ٤/٣٠٤.

(٢) بمشيئة الله - ستأتي ترجمته في شيوخه.

(٣) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر. ينظر: الوافي بالوفيات ج ١/١٦٦-١٦٧.

(٤) هذا الكتاب من أوائل ما كتبه أبو حيان، وعنوانه كاملاً ((النضار في المسلاة عن نضار))، ونضار ابنة أبي حيان، توفيت في حياته سنة ٧٣٠هـ، وكان يثني عليها كثيراً، فعمل والدها فيها هذا الكتاب. ينظر: نفع الطيب ج ٢/٥٥٩.

(٥) بغية الوعاة للسيوطي ج ١/٢٨١.

(٦) ذيل تذكرة الحفاظ/ ٢٤.

والجامع الحاكمي، وفي الوقت نفسه كان يحضر دروس ابن النحاس^١، شيخ العلماء في القاهرة، ولما توفي ابن النحاس خلفه أبو حيان فجلس مكانه وملاً فراغه^٢.

يقول لسان الدين ابن الخطيب في مدح أبي حيان: "ونالته نبوةً لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر، فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثّل وافر وحظوة"^٣.

شيوخه

إن الناظر في حياة أبي حيان رحمه الله يرى أنه أَمَامٌ كَبِيرٌ متعدد الجوانب العلمية، فهو عالم بالتفسير والحديث، إمام في اللغة والنحو والتصريف، وشاعر أديب.

وإن نظرة في شيوخ أبي حيان تعطينا مدى ما وصل إليه من معرفة وإطلاع واسع. قال رحمه الله عن نفسه: "وجملة الذين سمعت منهم من نحو أربعمئة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني، فعالم كثير جداً من أهل غرناطة، ومالقة، وسبتة^٤، وديار مصر، والحجاز، والعراق، والشام"^٥.

ويقول فيما كتبه لتلميذه أبي عبد الله محمد بن سعيد الرعيبي: "وجملة من سمعت منهم خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف"^٦. وقد ذكر أكثر شيوخه في إجازته التي كتبها لتلميذه الصفدي^٧.

(١) - بمشيئة الله - ستأتي ترجمته في شيوخه.

(٢) الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٦.

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٣/٤٣.

(٤) سبتة: بلدة من قواعد المغرب على البحر مقابل جزيرة بلاد الأندلس. ينظر: معجم البلدان ج ٣/١٨٢.

(٥) نفح الطيب ج ٢/٥٥٢، والدرر الكامنة ج ٤/٣٠٣.

(٦) نفح الطيب ج ٢/٥٦٠.

(٧) الوافي بالوفيات ج ٥/١٨٣-١٨٤، ونفح الطيب ج ٢/٥٥٠-٥٥٢.

وقد جمع شيوخه في كتابه ((البيان في شيوخ أبي حيان)) فبلغوا ألفاً وخمسمائة^١.

ولا يمكن في هذا البحث الموجز الإمام بشيوخ أبي حيان كلهم، لكن أشير إلى أشهرهم، ومنهم:

١- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي. كان عالماً فذاً، مشهوراً في علوم مختلفة، إلا أن شهرته في النحو غلبت عليه، قال عنه تلميذه أبو حيان: "كان محدثاً وناقداً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومفسراً ومؤرخاً، أقرأ القرآن والحديث بمالقة وقرنطة"، وقد صرح بتلمذته له في مواضع من تفسيره البحر المحيط^٢، ومن تصانيفه: صلة الصلة، وملاك التأويل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، وتعليقه على كتاب سيبويه، توفي سنة ٧٠٨هـ^٣.

٢- أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاري، عرف بالقزاز، مقرئ ضابط أديب، أقرأ القراءات بقرنطة، كان أعلم أهل زمانه بهجاء المصحف وضبطه، قال ابن الجزري: "قرأ عليه أبو حيان جمعا إلى سورة مريم، وروى عنه التيسير عرضا وسماعا، وهو أخبر شيوخه". توفي سنة ٦٧٥هـ^٤.

٣- أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد المالقي النحوي. له معرفة بالعلوم، وخاصة العربية، حتى اشتهر بها. قال لسان الدين بن الخطيب: "كان قيماً على العربية إذ كان جل بضاعته، يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين، وعروض الشعر، وفرائض العبادات

(١) الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٨.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط ج ١/٣٤٦، و٥١١، و٢/٢٥٠، و٣/٤٩٣. والمتأمل يجد أن أبا حيان أكثر النقل عن شيخه أبي جعفر جدا في تفسيره.

(٣) ينظر لترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء ج ١/٣٥، و١٨٢، والإحاطة في أخبار قرنطة ج ١/١٨٨-١٩٣، وبغية الوعاة ج ١/٢٩١-٢٩٢.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء ج ١/٥٥.

من فقه، وقرض الشعر"، أثنى عليه تلميذه أبو حيان بقوله: "كان عالماً في النحو". كما ذكره في إجازته لتلميذه الصفدي. له: رصف المباني في شرح حروف المعاني، وشرح الجزولية، وتقييد على الجمل، وغيرها. توفي سنة ٧٠٢هـ^١.

٤- أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن الطباع الرعيني الغرناطي، كان إماماً حاذقاً مشهوراً ثبتاً فيما ينقله من العلوم، وقد برز في حداثة سنه على أقرانه، شيخ القراء بقرناطة، وقد ذكره أبو حيان في البحر بقوله: "وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني، (عرف) بابن الطباع، بقرناطة"^٢، وقد وقعت بينه وبين تلميذه أبي حيان نبوة فرغ أمره إلى الأمير، فخشي أبو حيان عقوبته فلحق بالمشرق، توفي سنة ٦٨٠هـ^٣.

٥- أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللبلي النحوي، كان إماماً فاضلاً نحوياً لغوياً مقرئاً راوية، تتلمذ عليه أبو حيان، وعده من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم النحو، كما في إجازته للصفدي. له شرح غريب الفصيح، والبغية في اللغة، ووشي الحلل في شرح أبيات الجمل، وتقييد في النحو، وغيرها. توفي سنة ٦٩١هـ^٤.

٦- أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي، من أعالي شيوخ أبي حيان في القراءات. قال ابن الجزري: "قرأ على أبي الجود غياث بن فارس وعمر زمانا، وقرأ عليه أبو حيان". وقال أبو حيان^٥: "وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر- حرسها الله تعالى- على

(١) ينظر: الإحاطة في أخبار قرناطة ج ١/١٩٦-٢٠٢، وغاية النهاية في طبقات القراء ج ١/٧٤، وبغية الوعاة ج ١/٣٣١-٣٣٢.

(٢) البحر المحيط ج ١/١٠٩.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٧/١٥٨، وغاية النهاية ج ١/٨٢.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٨/١٩٢، وبغية الوعاة ج ١/٤٠٢-٤٠٣.

(٥) البحر المحيط ج ١/١٠٩.

الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي"، توفي سنة ٦٨١هـ^١.

٧- أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن الأنصاري القرطاجني، أديب كبير اشتهر بالبلاغة والأدب. قرأ على عدد من علماء عصره. قال أبو حيان: "روى عن جماعة يقربون ألفاً، وقرأت أنا وابن رشيد عليه". وقال أيضاً: "كان أوحد زمانه في النظم، والنثر، والنحو، واللغة، والعروض، وعلم البيان". ذكره في البحر المحيط^٢، وعدد من أشهر شيوخه في إجازته للصفدي، له منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وديوان شعر، وكتاب في القوافي، وغيرها، توفي سنة ٦٨٤هـ^٣.

٨- أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي، الأستاذ المجود المعروف بابن الناظر، قاضي المرية ومالقة، قال أبو حيان: "رحلت إليه قصداً من غرناطة: لأجل الإتقان والتجويد"، وعده من شيوخه في البحر المحيط، وفي إجازته للصفدي، له كتاب الترشيح في التجويد، توفي سنة ٦٨٠هـ^٤.

٩- أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الكوفي^٥ الأصل، شاعر كومي الأصل، من بلاد الروم، سكن دمشق، عده أبو حيان من أشهر شيوخه الذين كتب عنهم الأدب في

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٩/١٤٠-١٤١، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ج ٢/٦٦٣، وغاية النهاية ج ١/١٥٤.

(٢) البحر المحيط ج ١/١٠٧.

(٣) ينظر: أزهار الرياض في أخبار عياض ج ٣/١٧٢-١٨٤، وبغية الوعاة ج ١/٤٩١-٤٩٢.

(٤) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ج ١/٤٦٣-٤٦٥، وغاية النهاية في طبقات القراء ج ١/٢٢٠، وبغية الوعاة ج ١/٥٣٥-٥٣٦.

(٥) هكذا في فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبي (کوفي الأصل)؛ قال الزرکلي في الأعلام (٣/١٣٠ الحاشية رقم: ١) معلقاً: "وجاء فيه-أي في فوات الوفيات-أنه (کوفي الأصل) وهو من خطأ الطبع أو النسخ، صوابه (کومي)-بالميم-نسبة إلى (کومة) وهي قبيلة صغيرة منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان.

إجازته لتلميذه الصفدي، له ديوان شعر كبير، وشرح منازل السائرين للهروي. توفي سنة ٦٩٠هـ^١.

١٠- أبو محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري الغرناطي، كان خطيب جامع مطخشارش بغرناطة، وكان شيخ القراءات السبع فيها، وقد قرأ عليه أبو حيان، لأنه من سكان تلك الضاحية. يقول أبو حيان: "قرأت عليه السبع في نحو من عشرين ختمة أفراداً وجمعاً، وعليه تعلمت المهجاء، ولازمته نحواً من سبعة أعوام، وذلك في مدة آخرها سنة ٦٦٩هـ^٢، وقد ذكر أبو حيان قراءته عليه في تفسيره ((البحر المحيط))^٣، كما عده من عوالي شيوخه في القراءات، وذلك في إجازته التي كتبها لتلميذه الصفدي، ولم أر شيئاً يذكر من تاريخ وفاته في المصادر^٤.

١١- أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر الدمشقي المكي، كان صاحب عبادة، ألم بكثير من العلوم، وبخاصة الحديث، كان شيخ الحجاز في وقته، حيث انقطع لخدمة العلم في مكة أربعين سنة، تتلمذ له خلق كثير، منهم أبو حيان، له فضائل أم المؤمنين خديجة، وجزء في أحاديث السفر، وغيرها، توفي سنة ٦٨٦هـ^٥.

١٢- علم الدين عبد الكريم بن علي المعروف بابن بنت العراقي، أصله من وادي آشي بالأندلس، ولد سنة ٦٢٣هـ، مفسر فقيه، كف بصره في أواخر عمره، تتلمذ له خلق كثير،

(١) ينظر: فوات الوفيات ج ١/٧٢-٧٦، والبداية والنهاية ج ١٧/٦٤٥، وشذرات الذهب ج ٧/٧١٩-٧٢١.

(٢) غاية النهاية ج ١/٣٢٥.

(٣) البحر المحيط ج ١/١٠٩.

(٤) غاية النهاية ج ١/٣٢٥.

(٥) فوات الوفيات ج ٢/٣٢٨-٣٣٠، وشذرات الذهب ج ٧/٦٩٢.

منهم أبو حيان الذي صرح بذلك في البحر المحيط^١، له أصول الفقه، ومختصر في تفسير القرآن، وغيرها، توفي سنة ٧٠٤هـ^٢.

١٣- أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، بارع في علوم الشريعة واللغة العربية، كثير البحث، من أهل الشورى والفتيا، قرأ على شيوخ عصره ببجاية، ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ عن شيوخها، ولازم العز بن عبد السلام، تتلمذ له خلق كثير، منهم أبو حيان الذي قال عنه: "كان يشتغل ببجاية في النحو والفقه والأصول"، توفي سنة ٧٣١هـ^٣.

وهنا وقفنا مختصرتان مع عالمين جليلين كان لأبي حيان معهما علاقة مشهورة، أختم بهما الكلام عن شيوخ أبي حيان، هما: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن مالك الإمام النحوي المشهور.

أما ابن تيمية، فهو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، شيخ الإسلام، المتوفى سنة ٧٢٨هـ، كانت علاقة أبي حيان به علاقة حسنة وقوية في بداية أمرهما، وكانت له فيه مدائح كثيرة، فيروى أن أبا حيان جاء إلى ابن تيمية، والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالاً^٤:

مَا أَتَيْنَا تَقِيَّ الدِّينِ لَاحَ لَنَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فَرَدَّ مَا لَهُ وَزَرَ
عَلَى مَحْيَاهُ مِنْ سَيْمَاءِ الْأَلَى صَحَبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورَ دُونِهِ قَمَرَ
حَبْرٍ تَسْرِبِلٍ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَجْرٍ تَقَاذِفٍ مِنْ أَوَاجِهِ الدَّررِ
قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي نَصْرِ شَرَعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تَيْمٍ إِذْ عَصَتْ مَضْرُ
وَأَظْهَرَ الْحَقَّ إِذْ آثَرَهُ أَنْدَرَسْتُ وَأَخْمَدَ الشَّرَّ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرْرُ

(١) البحر المحيط ج ١/١٠٨، وج ٤/٢٣٤.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢/٣٩٩-٤٠٠، والأعلام للزركلي ج ٤/٥٣.

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج/٦٠٩-٦١٠، وبغية الوعاة ج ٢/٣٠١.

(٤) نفح الطيب ج ٢/٥٧٨، والدرر الكامنة ج ١/١٥٢.

ثم انحرف أبو حيان عنه، ومات على انحرافه، وقد اختلف في سبب ذلك، فقيل: إنه قال له يوماً "كذا قال سيويه" وكان أبو حيان ممن يجلب سيويه ويعظمه، فقال: يكذب سيويه، فانحرف عنه وعاد ذاماً له، وصير ذلك ذنباً لا يغتفر.

ويقال إن ابن تيمية قال له: ما كان سيويه نبي النحو، ولا معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً، أما تفهمها أنت؟ فكان ذلك سبب مقاطعته إياه.

ويقال: إن سبب ذلك ما جاء في كتاب العرش لابن تيمية، فإن أبا حيان لما أطلع عليه رماه بالتجسيم^١.

أما ابن مالك، فهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي النحوي المشهور المولود بحيان سنة ٦٠٠هـ، والمتوفى بدمشق سنة ٦٧٢هـ^٢، فيرى كثير من القدماء والمحدثين أن أبا حيان لم يأخذ عنه مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاماً، لتعصبه عليه بسبب الحسد الشخصي الذي مبعثه شهرة ابن مالك النحوية، ومنزلته بين الناس في ذلك العصر، فكان لحدة الشبيبة التي تستند إلى غرور النفس، وتقوم على هوى الشباب أثرها البالغ في عدم حضور أبي حيان مجلس ابن مالك، مع أنه جلس في حلقة تلميذه بهاء الدين ابن النحاس^٣.

والصواب-والله أعلم- أن سبب عدم أخذ أبي حيان عن ابن مالك مع معاصرته إياه هذه المدة، أنهما لم يلتقيا خلال هذه الأعوام، لأن ابن مالك رحل عن الأندلس بين سنتي ٦٢٥ و٦٣٠هـ، ولم يكن أبو حيان قد ولد بعد، وإنما ولد بعد رحيله بنحو أربع وعشرين سنة. ولما هاجر إلى المشرق كان ابن مالك قد مات رحمهما الله جميعاً، فلم يكن بينهما لقاء

(١) نفع الطيب ج ٢/٥٤٢، والدرر الكامنة ج ٤/٣٠٨، وبغية الوعاة ج ١/٢٨٢.

(٢) ينظر لترجمته: الوافي بالوفيات ج ٣/٢٨٥-٢٨٩، وطبقات الشافعية الكبرى ج ٨/٦٧-٦٨، ونفع الطيب ج ٢/٢٢٢-٢٣٣.

(٣) ينظر: نفع الطيب ج ٢/٢٢٩-٢٣١.

أصلاً حتى يتباغضا أو يتحاسدا، ويدل على ما قلت أن أبا حيان هو الذي نشر كتب ابن مالك وشرحها، وأشاد بها، ويدل على ذلك قول تلميذه الصفدي: "وهو-أي أبو حيان- الذي جسر الناس على مصنفات الشيخ جمال الدين بن مالك-رحمه الله- ورغبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لججها، وفتح لهم مقفلها"^١.

تلاميذ أبي حيان الأندلسي

كان لأبي حيان أثر عظيم في الحركة العلمية في عصره، فقد خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر في أقطار الأرض غيره^٢، فالتف حوله التلاميذ ينهلون من علمه، فسعد بهم في حياته، حيث قدم لعصره تلاميذ نجباء وطلبة أذكىاء دفعوا مسيرة التقدم العلمي إلى الأمام قدما بما ألفوا من كتب، وبما قاموا به من تعليم الناس. قال تلميذه تاج الدين السبكي: "وكان الشيخ أبو حيان إماماً منتفعاً به، اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته، وآباؤهم على النظر في مبسوطاته، وضربت الأمثال باسمه، مع صدق اللهجة وكثرة الإتقان والتحري"^٣.

وقال الحافظ ابن حجر^٤: "وأقرأ الناس قديماً وحديثاً حتى ألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وأشياخاً في حياته"^٥.

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٥.

(٢) الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩/٢٧٩.

(٤) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، وتوفي بها سنة ٨٥٢هـ، من المحدثين الفقهاء، تزيد مصنفاته على مائة وخمسين مصنفاً، منها فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وهو أعظمها وأجلها، حتى قيل فيه "لا هجرة بعد الفتح"، ومنها الإصابة في تمييز الصحابة، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وغيرها.

ينظر لترجمته: شذرات الذهب ج ٩/٣٩٥-٣٩٩، والبد الطالع بمحاسن من جاء بعد القرن السابع ج ١/٦١-٦٤.

(٥) الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٣.

وأرى أن إقبال الطلاب عليه له أسباب وهي:

أحدها: شهرته وذيوع صيته في عصره، وإلمامه بالعلوم والفنون، مع ما كان عليه من الجد والاجتهاد والطلب والتحصيل والكتابة والتقيد، ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله^١.

الثاني: أنه سلك منهجاً قوياً في التدريس، من سلكه كان عالماً جهبذاً يشار إليه بالبنان، ومنهجه ((أنه التزم أن لا يقرئ أحداً إلا إن كان في كتاب سيويوه، أو في التسهيل لابن مالك، أو في تصانيفه))^٢.

الثالث: عنايته بطلابه وإقباله عليهم وتقديرهم، يقول تلميذه الصفدي: "وله إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم"^٣، ولا شك أن هذا له أثره الفعال في نفوس طلابه، من حيث إقبالهم عليه، وحرصهم على الإلمام بعلومه.

ومن أشهر تلاميذه ما يأتي:

١- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقي المالكي النحوي، سمع ببجاية من شيخها ناصر الدين، ثم أخذ عن أبي حيان بالقاهرة بعد عودته من الحج، ثم قدم دمشق فسمع من المزي، وزينب بنت الكمال، وخلق، ومهر في الفضائل. له المجيد في إعراب القرآن المجيد. توفي سنة ٧٤٢ هـ^٤.

٢- أحمد بن عبد القادر بن مكتوم الحنفي النحوي، لازم أبا حيان زمناً طويلاً، فتقدم في النحو واللغة، وله علم بالفقه، له الدر اللقيط من البحر المحيط، وقد طبع بهامش البحر

(١) الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٥، ونفح الطيب ج ٢/٥٤١.

(٢) الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٥-١٧٦، ونفح الطيب ج ٢/٥٤١، والدر الكامنة ج ٤/٣٠٤.

(٣) الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٥، ونفح الطيب ج ٢/٥٤٠.

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ج ١/٢٧٩-٢٨٠، والدر الكامنة ج ١/٥٥-٥٦.

المحيط، والجمع بين العباب والمحكم في اللغة، وشرح كافية ابن الحاجب، وشرح شافيته. توفي سنة ٧٤٩هـ^١.

٣- بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، كان أديباً فاضلاً متعبداً كثير الصدقة والحج، أخذ العلم عن أبيه وأبي حيان وغيرهما، تولى القضاء والتدريس في عصره، وتصدى لشغل الناس بالعلم، فقصدته الطلبة، له عروس الأفراح، وتعليق على الحاوي. توفي سنة ٧٧٣هـ^٢.

٤- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي النحوي المعروف بالسمن، نزيل القاهرة، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، له الدر المصون، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية. توفي سنة ٧٥٦هـ^٣.

٥- أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيبي، رفيق محمد بن جابر الأعمى، كانا يسميان بالبصير والأعمى، لقياً أبا حيان في القاهرة، ثم دخلا دمشق فسمعا من المزري، وابن عبد الهادي، وجماعة، ثم قدما حلب فأقاما بها نحواً من ثلاثين سنة، ونزلا البيرة، وقد حدث أبو جعفر بحلب والبيرة، وسمع منه أبو المعالي بن عشائر وجماعة، توفي سنة ٧٧٩هـ^٤.

٦- جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي الشافعي، مهر في الفنون، لازم ابن دقيق العيد وأبا حيان، وحمل عنه كثيراً، كان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم. له الإمتاع في أحكام

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج٧/٤٨-٤٩، والدر الكامنة ج١/١٧٤-١٧٦، وبغية الوعاة ج١/٣٢٦-٣٣٠.

(٢) ينظر: الدر الكامنة ج١/٢١٠-٢١٦، وبغية الوعاة ج١/٣٤٢-٣٤٣.

(٣) ينظر: الدرر الكامنة ج١/٣٣٩-٣٤٠، وبغية الوعاة ج١/٤٠٢، وشذرات الذهب ج٨/٤٤٩-٤٥٠.

(٤) ينظر: الدرر الكامنة ج١/٣٤٠-٣٤١، وبغية الوعاة ج١/٤٠٣، وشذرات الذهب ج٨/٤٤٩-٤٥٠.

السماع، والطالع السعيد في تاريخ الصعيد، والبدر السافر في تحفة المسافر. توفي سنة ٧٤٨هـ^١.

٧- الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي، المعروف بابن أم قاسم، أخذ النحو عن جماعة آخرهم أبو حيان، صنف وتفنن، فأجاد وأفاد، كان تقياً صالحاً. له شرح على التسهيل، وشرح على المفصل، والمسالك شرح ألفية ابن مالك، والجنى الداني في حروف المعاني. توفي سنة ٧٤٩هـ^٢.

٨- جمال الدين الحسين بن علي بن عبد الكافي السبكي، قدم دمشق مع أبيه، وسمع بها الحديث، اشتغل في النحو والعروض، حفظ التنبيه والتسهيل وأسمعه أباه. وناب عن أبيه مدة في الحكم. أخذ عن أبي حيان، وأثنى عليه ابن كثير الدمشقي وابن رافع بالعفة في الحكم، والذهن الجيد. توفي سنة ٧٥٥هـ^٣.

٩- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ولد بصفد بفلسطين، وإليها ينسب، أديب مؤرخ، أخذ النحو عن أبي حيان، وله منه إجازة بمروياته وشيوخه وتصانيفه. تولى ديوان الإنشاء، وكتب أكثر من ستمائة مجلد تصنيفاً، منها الوافي بالوفيات، ونكت الهميان في نكت العميان، وأعيان العصر وأعوان النصر. توفي سنة ٧٦٤هـ^٤.

١٠- عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال الإسنوي، الفقيه الشافعي الأصولي النحوي، قرأ على أبي حيان وغيره، قال له أبو حيان: "لم أشيخ أحداً في سنك" انتهت إليه رئاسة الشافعية، وصار المشار إليه بالديار المصرية، درس وأفتى وازدحمت عليه الطلبة وانتفعوا به. له

(١) الدرر الكامنة ج ١/٥٣٥-٥٣٧، وشذرات الذهب ج ٨/٢٦٣-٢٦٤.
 (٢) ينظر: الدرر الكامنة ج ٢/٣٢-٣٣، وغاية النهاية ج ١/٢٠٧، وبغية الوعاة ج ١/٥١٧.
 (٣) ينظر: الدرر الكامنة ج ٢/٦١-٦٣، وطبقات الشافعية الكبرى ج ٩/٤١١-٤٢٥.
 (٤) طبقات الشافعية الكبرى ج ١٠/٥-٣٢، والدرر الكامنة ج ٢/٨٧-٨٨، والبدر الطالع ج ١/١٦٦-١٦٧.

المهمات على الروضة، وشرح الرافعي، والفروق، والجامع، والأشباه والنظائر، وغيرها. توفي سنة ٧٧٢هـ^١.

١١- عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي، نشأ في العلم ومحبة أهل الخير، حضر عند عمر بن القواس، وأبي الفضل بن عساكر، وتفقه على والده، والجمال الوجيزي، ودرس النحو على أبي حيان، وروى عنه كثيراً من أشعاره، أكثر من السماع والقراءة، فبلغ عدد شيوخه (١٣٠٠) شيخ، درس وأفتى وصنف تصانيف حسانا. له المناسك الكبرى، والصغرى، وتخرّج أحاديث الرافعي. توفي سنة ٧٦٧هـ^٢.

١٢- عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، الشافعي، قاضي القضاة، نحوي الديار المصرية، قرأ على علماء عصره وبرع في علوم كثيرة، لازم أبا حيان حتى صار من أجل تلامذته وممن يشهد له بالمهارة في العربية. قال فيه شيخه أبو حيان: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل". له المساعد على تسهيل الفوائد، وشرح الألفية، وغيرها. توفي سنة ٧٦٩هـ^٣.

١٣- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، النحوي المشهور، سمع من أبي حيان، وكان كثير المخالفة له شديد الانحراف عنه، تخرج به جماعة من أهل مصر، تصدر لنفع الطالبين. له تصانيف كثيرة، منها أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب، وشرح اللمحة البدرية، وغيرها. توفي سنة ٧٦١هـ^٤.

١٤- تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، حصل فنوناً من العلم، والفقه، والأصول، والحديث، والأدب، وبرع، وشارع في العربية. قرأ على أبي حيان، وفي ذلك

(١) الدرر الكامنة ج ٢/٣٥٤-٣٥٦، وبغية الوعاة ج ٢/٩٢-٩٣.

(٢) ينظر: الدرر الكامنة ج ٢/٣٧٨-٣٨٢، وطبقات الشافعية الكبرى ج ١٠/٧٩-٨١، ومعجم الشيوخ للذهبي ج ١/٤٠١-٤٠٢.

(٣) ينظر: الدرر الكامنة ج ٢/٢٦٦-٢٦٩، وغاية النهاية ج ١/٣٨٣-٣٨٤، وبغية الوعاة ج ٢/٤٧-٤٨.

(٤) ينظر: الدرر الكامنة ج ٢/٣٠٨-٣١٠، وبغية الوعاة ج ٢/٦٨-٧٠، وشذرات الذهب ج ٨/٣٢٩-٣٣١.

يقول: "ولما توجهنا من دمشق إلى القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة، ثم أمرنا السلطان بالعودة إلى الشام لانقضاء ما كنا توجهنا لأجله، استمهله الوالد أياما لأجلي فمكث حتى أكملت على أبي حيان ما كنت أقرؤه عليه، وقال لي: يا بني هو غنيمة، ولعلك لا تجده في سفرة أخرى، وكان كذلك"^١. له طبقات الشافعية الكبرى، وفيها ترجمة واسعة لأبي حيان، ومعيد النعم، وجمع الجوامع في الأصول، وغيرها. توفي سنة ٧٧١هـ^٢.

١٥- تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، الفقيه الشافعي المفسر الحافظ الأصولي النحوي اللغوي، أخذ النحو عن أبي حيان وغيره، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية والشامية والمسروية وغيرها. له رسائل في النحو. توفي سنة ٧٥٦هـ^٣.

مؤلفاته:

أسهم أبو حيان في الحركة العلمية التي كانت تسود عصره بكتب عديدة تنوعت موضوعاتها، وتعددت أغراضها، فصنف في التفسير، والقراءات، وفي الفقه، والحديث، وفي النحو، والصرف، وفي الأدب، واللغة، والتاريخ، بل كتب في اللغات الأخرى.

يقول تلميذه الصفدي: "وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما انتشرت، وقرئت ودريت، ونسخت وما فسخت، أخلت كتب الأقدمين، وأهلت المقيمين بمصر والقائمين^٤.

وتصانيفه- كما ذكر المقرئ تزييد على الخمسين ما بين طويل وقصير^٥.

وقد ذكر معظم مؤلفاته في إجازته التي كتبها لتلميذه الصفدي^٦.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٩/٢٧٨.

(٢) الدرر الكامنة ج ٢/٤٢٥-٤٢٨، وشذرات الذهب ج ٨/٣٧٨-٣٨٠.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ج ١٠/١٣٩-٢٣٨، والدرر الكامنة ج ٣/٦٣-٧١، وغاية النهاية ج ١/٤٧٨.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٥/١٧٥، ونفح الطيب ج ٢/٥٤١.

(٥) ينظر: نفح الطيب ج ٢/٥٦٣.

(٦) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٥/١٨٤-١٨٥، ونفح الطيب ج ٢/٥٥٢-٥٥٣.

ويمكن تقسيم كتبه كما يأتي:

أولاً-الكتب المطبوعة:

١- الإدراك للسان الأتراك، مطبوع في إسطنبول سنة ١٣٠٩هـ، بتصحيح جعفر أوغلي أحمد. ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم الكتب النادرة.

٢- إرتشاف الضرب من لسان العرب، مطبوع بتحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

٣- الإرتضاء في الفرق بين الضاد والطاء، مطبوع بعناية الشيخ محمد حسن آل ياسين، بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٨٠هـ=١٩٦١م، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك ((الاعتصام في الفرق بين الطاء والضاد)) من شعره.

٤- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، طبع عدة مرات، مرة بتحقيق محمد سعيد الوردى، بمطبعة الإخلاص بحماة سنة ١٩٣٦م، ومرة بتحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٧٧م، ومرة بتحقيق سمير طه المجذوب سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، الناشر المكتب الإسلامي.

٥- تذكرة الحفاظ، حقق الدكتور عفيف عبد الرحمن جزءاً منه، وطبع هذا الجزء سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، الناشر مؤسسة الرسالة.

٦- تفسير البحر المحيط، طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ، ثم عدة مرات، وهو موضوع الرسالة.

٧- تقريب المقرب، والمقرب أحد كتب ابن عصفور المختصرة. وهما مطبوعان متداولان، وقد حقق تقريب المقرب الدكتور عفيف عبد الرحمن وطبعه سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م بدار المسيرة،

ثم حققه محمد جاسم الدليمي ونال به درجة الماجستير سنة ١٩٨٣م، ثم طبعه سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، مؤسسة دار الندوة الجديدة، بيروت.

٨- ديوان أبي حيان، حققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٩م.

٩- المبدع المخلص من الممتع، وهو تلخيص لكتاب ((الممتع في التصريف)) لابن عصفور، وقد طبع المبدع بتحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب عام ١٩٨٢م.

١٠- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لم يكمله، حيث انتهى إلى آخر باب ((أفعل التفضيل)). وقد نشر بتحقيق الأستاذ سدي جليزر بالولايات المتحدة الأمريكية^١.

١١- النكت الحسان- شرح غاية الإحسان، وغاية الإحسان من كتب أبي حيان المختصرة، كما سيأتي الحديث عنه-، وقد طبع النكت الحسان بتحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

١٢- النهر الماد من البحر المحيط، وقد طبع بحاشية البحر المحيط، ثم طبع في مجلدين كبيرين بعناية بوران الضناوي وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

ثانيا- الكتب المخطوطة:

١- إعراب القرآن، يقع في ثمانية أجزاء، شكت في نسبه إليه الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها (أبو حيان النحوي) ص ١٤٠، وأثبتته غيرها^٢.

٢- التذليل والتكميل في شرح التسهيل، يقع في عشرة أجزاء كبيرة. قال السيوطي عنه وعن إرتشاف الضرب: " إنه لم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أحصى للخلاف

(١) ينظر: أبو حيان النحوي/١٢٣-١٣٣، ومقدمة تقريب المقرب/٦٨.

(٢) ينظر: مقدمة النكت الحسان/٨، ومقدمة تقريب المقرب/٦٩، وفيه بيان نسخه، والأعلام ج٧/١٥٢.

والأحوال"^١. لم يطبع منه سوى قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨هـ، بمطبعة السعادة بمصر^٢. وقد قدم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراة من ثمانية باحثين في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٧٥م، ومنه نسختان بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣- التدريب في تمثيل التقريب، مخطوط^٣.

٤- تلويح التوضيح في النحو، لم ينسبه إلى أبي حيان سوى بروكلمان، وذكر له نسختين، الدليمي ٧٠-٧١.

٥- دالية في النحو، مدح أبو حيان فيها النحو وبعض أعلامه، وله نسخ، الدليمي ٧٢.

٦- عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي، أبو حيان النحوي/٢٤٢، وكشف الظنون ج ١١٥٢/٢.

٧- غاية الإحسان في علم اللسان، وهو مقدمة صغيرة في النحو، ينظر: أبو حيان النحوي ١٤١، ومقدمة تذكرة النحاة ٢٠.

٨- معاني الحروف. الدليمي/٧١.

٩- المنتخب من حديث شيوخ بغداد، توجد منه نسخة في مكتبة منوشهر بتركيا، نوادر المخطوطات العربية بتركيا، ٣٧٢، والدليمي ٦٩.

١٠- الموفور من شرح ابن عصفور، مختصر لكتاب ابن عصفور ((شرح الجمل)). ينظر: أبو حيان النحوي ١٠٩، مقدمة تذكرة النحاة ٢٠، والدليمي ٧١، وكشف الظنون ج ١٩١٠/٢، وفيه ((الموفور في تحرير أحكام ابن عصفور)).

(١) بغية الوعاة ج ٢٨٢/١.

(٢) ينظر: أبو حيان النحوي/١١٣، ومقدمة النكت الحسان/٧، ومقدمة تذكرة النحاة/١٢.

(٣) ينظر: أبو حيان النحوي/١٠٦، ومقدمة تقريب المقرب للدليمي/٧٠، وكشف الظنون ج ١٨٠٥/٢.

ثالثاً-الكتب المفقودة:

- ١- الأبيات الوافية في علم القافية، نفع الطيب ج ٢/٥٥٢، وإيضاح المكنون ج ٣/٣١٤.
- ٢- الأثير في قراءة ابن كثير، نفع الطيب ج ٢/٥٥٢، وإيضاح المكنون ج ٣/٢٤.
- ٣- الأسفار الملخص من شرح كتاب سيويه للصفار، ينظر: أبو حيان النحوي/١٧٣، ومقدمة تذكرة النحاة/٢٢، وكشف الظنون ج ٢/١٤٢٨.
- ٤- الإعلام بأركان الإسلام، أبو حيان النحوي/٢٤١، والدليمي/٧٣، وإيضاح المكنون ج ٣/١٠١.
- ٥- الأفعال في لسان الترك، أبو حيان النحوي/١٧٦، ومقدمة تذكرة النحاة/٢٢.
- ٦- الإلماع في إفساد إجازة الطباع، نفع الطيب ج ٢/٥٨٣-٥٨٤، والدليمي/٧٤.
- ٨- الأنوار الجلي في اختصار المحلي، وهو اختصار لكتاب ((المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية)) لأبي محمد بن حزم. ينظر: أبو حيان النحوي/٢٤٠، وكشف الظنون ج ٢/١٦١٧، وفيه ((الأنوار الأعلى في اختصار المحلى)).
- ٩- بغية الظمان من فؤاد أبي حيان، الدليمي/٧٤.
- ١٠- البيان في شيوخ أبي حيان، الدرر الكامنة ج ٤/٣٠٨.

وفاته

وبعد حياة طويلة قضاها الإمام الجليل أبو حيان الأندلسي في البحث والتحصيل والعلم والتعليم والتصنيف والتأليف انتقل إلى ربه، بعد أن فقد بصره^١، وكانت وفاته عشية يوم

(١) ولذا فقد ترجم له الصفدي في كتابه ((نكت الهميان في نكت العميان/٢٨٠-٢٨٦).

السبت الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة (٧٤٥هـ)، في القاهرة، وكان يناهز إحدى وتسعين سنة، وكانت جنازته حافلة، ودفن من الغد خارج باب النصر، وصلي عليه

في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر. هذا ما عليه جل المؤرخين وأصحاب التراجم^١.

وذهب كثير من أهل المغرب^٢ إلى أنه توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة. وردّ هذا المقرئ بأن أهل المشرق أعرف بذلك، إذ توفي عندهم.

وقد ذكروا أنه توفي في سنة خمس وأربعين وسبعمائة^٣.

وكان لوفاته رحمه الله أثر بالغ في نفوس تلاميذه وأصحابه، فرثوه بقصائد كثيرة، أشهرها قصيدة تلميذه الصفدي في رثائه، وأولها^٤:

مات أثير الدين شيخ الورى فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا واعتل في الأسحار لما سرى
وصادحات الأيك في نوحها رثته في السجع على حرف را
يا عين جودي بالدموع التي يروي به ما ضمه من ثرى
وأجري دماً فالخطب في شأنه قد اقتضى أكثر مما جرى
مات إمام كان في علمه يرى إماماً والورى من ورا

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج٥/١٨٥، ونفح الطيب ج٢/٥٣٨، وطبقات الشافعية الكبرى ج٩/٢٧٩، والدرر الكامنة ج٤/٣١٠، والإحاطة في أخبار غرناطة ج٣/٦٠، وبغية الوعاة ج١/٢٨٠-٢٨٥.

(٢) نفح الطيب ج٢/٥٥٩.

(٣) نفح الطيب ج٢/٥٥٩.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات ج٥/١٨٥-١٨٦، ونقلها في: نفح الطيب ج٢/٥٣٩-٥٤٠، وبغية الوعاة ج١/٢٣٩-٢٨٥.

أمسى منادي للبلى مفرداً فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهراً فعاد في تربته مضمرا
وكان جمع الفضل في عصره صح فلما أن قضى كسرا
وعرف الفضل به برهةً والآن لما أن مضى نكرا

إلى آخر القصيدة.

المبحث الثاني:

التعريف بتفسير أبي حيان ((البحر المحيط)):

ويشمل ما يأتي:

- زمن تأليف الكتاب ومكانه.
- منهجه فيه.
- مادته العلمية.
- مصادره.
- طبعاته ومخطوطاته.
- زمن تأليف الكتاب ومكانه:

من أجل ما صنف أبو حيان رحمه الله تعالى تفسيره ((البحر المحيط))، يقول عنه ابن الجزري^١: "له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله، سماه ((البحر المحيط)) في عشر مجلدات كبار، واختصره في ثلاث مجلدات، سماه النهر^٢.

وعن زمن تأليف هذا الكتاب ومكانه يقول أبو حيان^٣: "وما زال يخلج في ذكري ويعتلج في فكري أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم، ويتنغص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب" ألوذ بجناب الرحمن، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرساً في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور قدس الله مرقدته، وبل بمزن الرحمة معهده، وذلك في دولة ولده السلطان القاهر، الملك

(١) هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي العمري الشافعي، المشهور بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، ومن حفاظ الحديث. ولد ونشأ بدمشق، ورحل إلى مصر مراراً، وتوفي سنة ٨٣٣هـ. له غاية النهاية في طبقات القراء، والنشر في القراءات العشر، والتمهيد في علم التجويد، وغيرها.

ينظر لترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج٩/٢٥٥-٢٦٠، وشذرات الذهب ج٩/٢٩٨-٢٩٩، والبدر الطالع ج٢/٢٥٧-٢٥٩.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج٢/٢٥٠.

(٣) البحر المحيط ج١/٩٩.

الناصر، الذي رد الله به الحق إلى أهله، وأسبغ على العالم وارف ظله، واستنفذ به الملك من غصابه، وأقره في منيف محله وشريف نصابه^١.

وذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة، وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب...

وتأليف أبي حيان تفسيره لوجه الله سبحانه وحده، لا لمخلوق، أو لطلب عرض من الدنيا. قال^٢ رحمه الله: "فما لمخلوق بتأليفه قصدت، ولا غير وجه الله به أردت، جعلت كتاب الله والتدبر لمعانيه أنيسي، إذ هو أفضل مؤانس وسميري إذا أخلو لكتب ظلم الحنادس، ولأن أفضل العلوم علم كتاب الله، وشرف العلم بشرف المعلوم، قال رحمه الله: "وبعد فإن المعارف جمّة، وهي كلها مهمة، وأهمها ما به الحياة الأبدية، والسعادة السرمدية، وذلك علم كتاب الله، وهو المقصود بالذات، وغيره من العلوم له كالأدوات، وهو العروة الوثقى، والوزر الأقوى الأوقى، والحبل المتين، والصرط المبين"^٣.

• منهجه في تأليف هذا الكتاب:

قد أبان أبو حيان منهجه في كتابه في المقدمة بقوله^٤: "وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه.

ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أفاويل السلف الخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليها وخفيها بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة

(١) المرجع السابق/٩٩-١٠٠.

(٢) البحر المحيط ج١/١٠٢.

(٣) المرجع السابق/٩٩.

(٤) المرجع السابق/١٠٣-١٠٤.

تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تلکم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزیده فائدة ، ناقلاً الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس ، بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ ، مرجحاً له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه ، منكباً في الأعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها ، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه ، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر ((الشماخ)) و ((الطرماح)) وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة ، والتراكيب القلقة ، والمجازات المعقدة ، ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبدیع ملخصاً ، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور ، أشرح به مضمون تلك الآيات ، على ما أختاره من تلك المعاني جملها في أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير .

وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ، وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى ."

ثم ذكر أنه نزه تفسيره عن أمور ينبغي أن تنزه عنها التفاسير، منها ما ذكره أنفاً من التقادير المتكلفة، والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة، وما ذكره بقوله^١: " وربما ألمت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ ، وتجنب كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ . وتركت أقوال الملحدین الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى ، وعلى علي كرم الله وجهه ، وعلى ذريته ، ويسمونه علم التأويل ."

وأبدأ الآن بالعرض التفصيلي لمنهج أبي حيان في تفسيره من خلال بحثي فيه، وسأذكره في صورة نقاط مستعیناً بالأمثلة للتأكيد والتوضيح:

(١) البحر المحيط ج ١/١٠٤ .

أولاً: شرح المفردات: التزم أبو حيان في تفسيره بترتيب واحد، فكان قبل أن يعرض للآية أو الآيات التي يريد أن يفسرها، يكتب النص القرآن بين يدي تفسيره، ثم بعد ذلك يأخذ في تفسير هذه الآيات وفقاً لما سأل عنه، فكان يبدأ بشرح مفردات الآية، مثال ذلك قوله بعد أن ذكر الآيات من قوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْتِيَ الْقَبْرَ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾^٤ إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

((النيل: لحوق الشيء وإدراكه، الفعل منه نال ينال، قيل: والنيل: العطية.

الوضع: الإلقاء، وضع الشيء: ألقاه، ووضعت ما في بطنها: ألقته والفعل: وضع يضع وضعا وضعة، والموضع: محل إلقاء الشيء، وفلان يضع الحديث أي يلقيه من قبل نفسه من غير نقل، يختلقه. بكة: مرادف لمكة، قاله مجاهد والزجاج^٢.

ولا يكرر أبو حيان تعريف لفظه سبقت، بل يكفي بتعريفها في أول موضع، كما قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^٣.

: "تقدم الكلام في إنما، وفي دلالتها على الحصر، فهو من حيث الوضع أو الاستعمال أم لا دلالة لها عليه، وتقدم الكلام في التوبة وشروطها، فأغنى ذلك عن إعادته"^٤.

وقد يكرر الحديث على كلمة مضيفاً شيئاً جديداً لم يسبق بيانه أو ذكره، كما قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾^٥: "الكلب حيوان معروف، ويجمع في القلة على أكلب، وفي الكثرة على كلاب... وكرناها لزيادة فائدة"^٦.

(١) الآية رقم ٩٢-١٠١ من سورة آل عمران.

(٢) البحر المحيط ج ٢/٥٤٥-٥٤٦.

(٣) الآية رقم ١٧ من سورة النساء.

(٤) البحر المحيط ج ٣/٢٠٧.

(٥) الآية رقم ١٧٦ من سورة الأعراف.

(٦) البحر المحيط ج ٤/٤٠٧.

وكلما تقدم أبو حيان في تفسير آي القرآن فإن شرحه للمفردات يكون أقل وأخصر، لأنه يحيل إلى المواضع السابقة، ومع ما في هذا الفعل من اختصار إلا أن فيه مشقة إذ يضطر القارئ للرجوع إلى المواضع السابقة والبحث فيها عن مكان إيراد تلك اللفظة ومعناها.

ثانياً: سبب النزول: كان أبو حيان مهتماً بذكر سبب النزول وكان يبدأ به بعد شرح مفردات الآية، فمن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^١ قال: "نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الهلال، وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس...".^٢

ثالثاً: مناسبة الآية لما قبلها: كان أبو حيان معتنياً بذكر مناسبة الآية وارتباطها بما قبلها ففي تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^٣ قال: "هذه الآية مناسبة للآيات الواردة قبلها في ذكر توبيخ بني إسرائيل وتقريعهم، وتبيين ما أخذ عليهم من ميثاق العبادة لله، وإفراده تعالى بالعبادة".^٤

وقد ينقل مناسبة الآية عن غيره، ويصرح بذلك، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^٥ ، قال: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما قال: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾^٦ صار كأنه قيل: ما بلغه الرسول فخذوه وكونوا منقادين له، وما لم يبلغه فلا تسألوا عنه، ولا تخوضوا فيه، فربما جاءكم بسبب الخوض الفاسد تكاليف تشق عليكم، قاله أبو عبد الله الرازي وفيه بعض تلخيص".^٧

(١) الآية رقم ١٨٩ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ٢/٦٩.

(٣) الآية رقم ٨٣ من سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط ج ١/٤٥٠.

(٥) الآية رقم ١٠١ من سورة البقرة.

(٦) الآية رقم ٩٩ من سورة المائدة.

(٧) البحر المحيط ج ٤/٣٥.

كما كان أبو حيان يذكر مناسبة السورة التي قبلها، ففي أول سورة آل عمران قال: "ومناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة، لأنه لما ذكر آخر البقرة: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^١، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين حيث ناظرهم رسول الله ﷺ، ورد عليهم بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، فقصر تعالى أحوالهم وردّ عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر ما ردّ عليهم، ولما كان مفتح آية آخر البقرة ﴿ءَامِنَ الرَّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾^٢ فكأن في ذلك الإيمان بالله وبالكتب، ناسب ذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره صلى الله عليهم^٣.

رابعاً: **الناسخ والمنسوخ**: كان أبو حيان يذكر ما ورد من أقوال في نسخ الآية أو عدمه، دون ترجيح حال اختلاف الأقوال غالباً، من أمثلة ذلك قوله في تفسير الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^٤، قال: "قال الحسن وقتادة: أباح لهم في الابتداء أن يصلوا حيث شاؤوا، فنسخ ذلك. وقال مجاهد والضحاك: معناها إشارة إلى الكعبة، أي حيثما كنتم من المشرق والمغرب، فأنتم قادرون على التوجه إلى الكعبة. فعلى هذا هي ناسخة لبيت المقدس"^٥.

خامساً: **العناية بعلوم اللغة**: كان أبو حيان يرى أن المفسر بحاجة إلى التسلح باللغة والنحو، وكان يعزو كثيراً من أخطاء المفسرين إلى عدم تعمقهم في اللغة والنحو ومعرفة أساليب العرب، وقد حفل ((البحر)) بالمناقشات النحوية الموسعة، وكان أبو حيان يختار في الإعراب ما يراه أقرب وأصوب، ويترك الأوجه البعيدة في اللغة والإعراب المتكلف، مشيراً إلى أن كلام الله منزّه عما لا يليق به من الأوجه البعيدة المتكلفة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ

(١) الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٣) البحر المحيط ج ٢/٣٨٩.

(٤) الآية رقم ١١٥ من سورة البقرة.

(٥) البحر المحيط ج ١/٥٢٩.

مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا نَبَّيْنَاهُمْ لَهُمُ الْحَقُّ ۗ^١ ، قال: " انتصاب حسداً على أنه مفعول من
 أجله ، والعامل فيه ودّ ، أي الحامل لهم على ودادة ردكم كفاراً هو الحسد ، وجوزوا فيه أن
 يكون مصدراً منصوباً على الحال ، أي حاسدين ، ولم يجمع لأنه مصدر ، وهذا ضعيف ،
 لأن جعل المصدر حالاً لا ينقاس . وجوزوا أيضاً أن يكون نصبه على المصدر ، والعامل فيه
 فعل محذوف يدل عليه المعنى ، التقدير : حسدوكم حسداً . والأظهر القول الأول ، لأنه
 اجتمعت فيه شرائط المفعول من أجله"^٢ .

وكان أبو حيان يحيل القارئ في المسائل المتشعبة إلى كتب النحو الموسعة ومنها مؤلفاته، فمن
 ذلك أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْآ فِيهِ ﴾^٣ ، قال: " وأحكام كل كثيرة .
 وقد ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير الذي سميناه بالتذكرة ، وسردنا منها جملة لينتفع بها ، فإنها
 تكررت في القرآن كثيراً"^٤ .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾^٥ بعد أن تحدث عما
 قيل في (ويل) من المعاني قال: " وهو نكرة فيها معنى الدعاء ، فلذلك جاز الابتداء بها ، إذ
 الدعاء أحد المسوغات لجواز الابتداء بالنكرة ، وهي تقارب ثلاثين مسوغاً ، وذكرناها في
 كتاب ((منهج المسالك)) من تأليفنا"^٦ .

سادساً: الترجيح بين الأقوال: كان أبو حيان ينقل الأقوال في تفسير الآية، ويختار من بينها
 ما يراه أقرب وأولى، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

(١) الآية رقم ١٠٩ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٥١٨ .

(٣) الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط ج ١/٢٢٦ .

(٥) الآية رقم ٧٩ من سورة البقرة.

(٦) البحر المحيط ج ١/٤٤٣ .

يَعَصَاكَ الْحَجَرَ ١، قال: "قال الحسن : لم يكن حجراً معيناً بل أي حجر ضرب انفجر منه الماء ، وهذا أبلغ في الإعجاز ، حيث ينفجر الماء من أي حجر ضرب... وقيل : إن الألف واللام للعهد ، وهو حجر معين حملة معه من الطور مربع له أربعة أوجه ، ينبع من كل وجه ثلاثة أعين ، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمرت أن تسقيهم ، وكانوا ستمائة ألف خارجاً عن دوابهم ، وسعة العسكر اثنا عشر ميلاً . وقيل : حجر أهبطه معه آدم من الجنة ، فتوارثوه حتى وقع لشعيب ، فدفعه إلى موسى مع العصا . وقيل : هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه حين اغتسل ، إذ رموه بالأدرة... وقيل : حجر كان ينفجر لهم منه الماء ، لم يكونوا يحملونه ، بل كانوا أي مكان نزلوا وجدوه فيه ، وذلك أعظم في الإعجاز وأبلغ في الخارق... إلى أن قال: فهذه أقوال المفسرين في الحجر ، وظاهرها أو ظاهر أكثرها التعارض... وظاهر القرآن : أن الحجر ليس بمعين ، إذ لم يتقدم ذكر حجر فيكون هذا معهوداً"٢.

سابعاً: **عدم التكرار**: ذكر أبو حيان في مقدمة تفسيره هذا الأمر فقال: "مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق ، ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تلکم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ، وإن عرض تکرير فبمزيده فائدة"٣.

وقد التزم أبو حيان بذلك في الغالب.

ثامناً: **تعرضه للمسائل الفقهية والأصولية**: ذكر أبو حيان في المقدمة أنه سينقل أقوال الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما له تعلق باللفظ القرآني، محيلاً في الدلائل إلى كتب الفقه، فهو لا يتعرض لحكم شرعي إلا إذا كان لفظ القرآن يدل على ذلك الحكم، أو يمكن استنباطه منه بوجه من الوجوه، فمن ذلك قوله: "وقد تعرض المفسرون في كتبهم لحكم التسمية في الصلاة، وذكروا اختلاف العلماء في ذلك، وأطالوا التفاريع في ذلك، وكذلك

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٣٨٩.

(٣) البحر المحيط ج ١/١٠٣.

فعلوا في غير ما آية، وموضوع هذا كتب الفقه، وكذلك تكلم بعضهم على التعوذ، وعلى حكمه، وليس من القرآن بإجماع . ونحن في كتابنا هذا لا نتعرض لحكم شرعي إلا إذا كان لفظ القرآن يدل على ذلك الحكم أو يمكن استنباطه منه بوجه من وجوه الاستنباطات" ^١.

ومن تعرضه للأحكام الفقهية التي تذكرها الآيات، ما فعله في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ^٢ حيث ذكر الأقوال العديدة في معنى الإيلاء وعباراته وأجله، ومن يصح منه الإيلاء، وإيلاء العبد والأمة، والإيلاء حال الغضب ^٣.

أما مسائل أصول الفقه: فكان أبو حيان لا يتعرض لذكرها إلا بالإشارة إليها وبالإحالة إلى كتب الأصول كما في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ ^٤ قال: " وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه ، وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفي جوازه عقلاً ، ووقوعه شرعاً ، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام ، وطولوا في ذلك . وهذا كله موضوعه علم أصول الفقه ، فيبحث في ذلك كله فيه . وهكذا جرت عادتنا : أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم ، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم ، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير ، فنخرج عن طريقة التفسير" ^٥.

تاسعاً: حمل اللفظ على ظاهره: كان أبو حيان يميل في تفسيره إلى حمل اللفظ القرآني على ظاهره، ويقول: "لأننا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره، لا سيما إذا لم يقدّم دليل على خلافه" ^٦.

(١) البحر المحيط ج١/١٢٩.

(٢) الآية رقم ٢٢٦ من سورة البقرة.

(٣) البحر المحيط ج٢/١٩١-١٩٤.

(٤) الآية رقم ١٠٦ من سورة البقرة.

(٥) البحر المحيط ج١/٥١١.

(٦) البحر المحيط ج١/٤٧٦.

عاشراً: مسائل العقيدة: كان أبو حيان يحيل في مسائل العقيدة إلى كتب أصول الدين، إلا أنه لم يُجَلِّ تفسيره من شيء ملخص في موضوعات أصول الدين دون استدلال أو تطويل، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^١: "وأتى هنا بصفة بصير، وإن كان الله تعالى متنزهاً عن الجارحة، إعلماً بأن علمه، بجميع الأعمال، علم إحاطة وإدراك للخفيات"^٢.

حادي عشر: البلاغة: وكان أبو حيان يراه من العلوم المهمة للمفسر، لأنه العلم الذي يستطيع المفسر به أن يعرف حسن التراكيب ويدرك فصاحتها وجمالها.

وكان أبو حيان يختم جملة الآيات التي يفسرها بذكر ما فيها من علوم البلاغة، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة بقوله: "ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبدیع ملخصاً"^٣، واستمر على هذا النهج إلى آخر سورة النساء جاعلاً فيما ذكره أنموذجاً ينسحب على سائر الآيات، فبعد أن فسر سورة الفاتحة قال: "وقد أنجز في غضون تفسير هذه السورة الكريمة من علم البيان فوائد كثيرة، لا يهتدي إلى استخراجها إلا من كان توغل في فهم لسان العرب، ورزق الحظ الوافر من علم الأدب، وكان عالماً بافتنان الكلام، قادراً على إنشاء النثر البديع والنظام. وأما من لا اطلاع له على كلام العرب، وجسا طبعه حتى عن الفقرة الواحدة من الأدب، فسمعه عن هذا الفن مسدود، وذهنه بمعزل عن هذا المقصود. قالوا: وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:

النوع الأول: حسن الافتتاح وبراعة المطلع، فإن كان أولها بسم الله الرحمن الرحيم، على قول من عدها منها، فناهيك بذلك حسناً إذ كان مطلعها، مفتتحاً باسم الله، وإن كان أولها الحمد لله، فحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ووصفه بما له من الصفات العلية أحسن ما افتتح به الكلام، وقُدِّم بين يدي النثر والنظام، وقد تكرر الافتتاح بالحمد في كثير من

(١) الآية رقم ٩٦ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحیط ج ١/٤٨٣.

(٣) البحر المحیط ج ١/١٠٣.

السور ، والمطالع تنقسم إلى حسن وقبيح ، والحسن إلى ظاهر وخفي على ما قسم في علم البديع .

النوع الثاني : المبالغة في الثناء ، وذلك لعموم (أل) في الحمد على التفسير الذي مر .

النوع الثالث : تلوين الخطاب على قول بعضهم ، فإنه ذكر أن الحمد لله صيغته صيغة الخبر ، ومعناه الأمر ، كقوله : ((لَأَرْيَبَ فِيهِ)) ومعناه النهي .

النوع الرابع : الاختصاص باللام التي في لله ، إذ دلت على أن جميع المحامد مختصة به ، إذ هو مستحق لها وبالإضافة في ملك يوم الدين لزوال الأملاك والممالك عن سواه في ذلك اليوم ، وتفرد فيه بالملك والملك ، قال تعالى : ((لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ))؛ ولأنه لا يُجَازِي في ذلك اليوم على الأعمال سواه .

النوع الخامس : الحذف ، وهو على قراءة من نصب الحمد ظاهر ، وتقدم ، هل يقدر من لفظ الحمد أو من غير لفظه ؟ قال بعضهم ؟ ومنه حذف العامل الذي هو في الحقيقة خبر عن الحمد ، وهو الذي يُقَدَّرُ بكائن أو مستقر ، قال : ومنه حذف صراط من قوله غير المغضوب ، التقدير غير صراط المغضوب عليهم ، وغير صراط الضالين ، وحذف سورة إن قدرنا العامل في الحمد إذا نصبناه ، إذكروا أو اقرأوا ، فتقديره اقرأوا سورة الحمد ، وأما من قيد الرحمن ، والرحيم ، ونعبد ، ونستعين ، وأنعمت ، والمغضوب عليهم ، والضالين ، فيكون عنده في سورة محذوفات كثيرة .

النوع السادس : التقديم والتأخير ، وهو في قوله نعبد ، ونستعين ، والمغضوب عليهم ، والضالين ، وتقدم الكلام على ذلك .

النوع السابع : التفسير ، ويسمى التصريح بعد الإبهام ، وذلك في بدل صراط الذين من الصراط المستقيم .

النوع الثامن : الالتفات ، وهو في إياك نعبد، وإياك نستعين ، واهدنا .

النوع التاسع : طلب الشيء ، وليس المراد حصوله بل دوامه ، وذلك في اهدنا .

النوع العاشر : سرد الصفات لبيان خصوصية في الموصوف أو مدح أو ذم .

النوع الحادي عشر : التسجيع ، وفي هذه السورة من التسجيع المتوازي ، وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي ، قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ) (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، وقوله تعالى : (نَسْتَعِينُ) (وَلَا الضَّالِّينَ)^١ .

ثاني عشر: تلخيص مضمون الآيات: ذكر أبو حيان في المقدمة أنه سيتبع آخر الآيات بكلام منثورٍ يشرح به مضمونها على ما اختاره من تلك المعاني، ملخصاً جملها في أحسن تلخيص، وقد يُنجزُ معها معاني لم تتقدم في التفسير. واستمر أبو حيان في منهجه هذا إلى الآية ٢٥٢ من سورة البقرة، ثم توقف عنه، ولعله أراد كما ذكر في المقدمة: وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن^٢ .

ثالث عشر: الالتزام بالتفسير النبوي: كان أبو حيان وقافاً أمام حديث رسول الله ﷺ، فإذا ما أورد حديثاً في تفسير آية، فإنه يوقف البحث، ويجس القلم عن الجريان، ويختتم الموضوع بوجود الالتزام بالتفسير النبوي وعدم تعديه إلى غيره، فمن ذلك قوله في تفسير الآية: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^٣ قال: "وقيل المغضوب عليهم : اليهود ، والضالون النصارى ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وابن زيد . وروي هذا عن عدي ابن حاتم ، عن رسول الله ﷺ ، وإذا صح هذا وجب المصير إليه"^٤ .

رابع عشر: عدم الخوض فيما لا علاقة له بالآية: كان من منهج أبي حيان في تفسيره عدم الخوض فيما لم تتعرض له الآية، بالابتعاد عنه، وكان هذا من أسباب عدم وقوعه في الإسرائيليات، إذ إن معظمها من هذا الباب.

(١) البحر المحيط ج١/١٥٢-١٥٣ .

(٢) البحر المحيط ج١/١٠٣. قلت: كذلك تبين لي من خلال البحث أن أبا حيان بعد أن توقف عن سرد مضمون الآيات في الآية ٢٥٢ من سورة البقر، بدأ بذكر ما فيها من بيان ويديع إلى آخر سورة النساء، ثم توقف عن الأمرين جميعاً.

(٣) الآية رقم ٧ من سورة الفاتحة.

(٤) البحر المحيط ج١/١٥١ .

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾^١ ، قال: "وأما حكم الساحر حدًا وتوبة ، فقد تعرض المفسرون لذلك ، ولم تتعرض إليه الآية ، وهي مسألة موضوعها علم الفقه ، فتذكر فيه"^٢ .

خامس عشر: بحث المكي والمدني: كان أبو حيان يذكر الخلاف حول كون السورة مكية أو مدنية، ففي أول تفسيره لسورة الفاتحة قال: "قال علي وابن عباس و علي بن الحسين وقتادة وأبو العالية وعطاء وابن جبير ومحمد بن يحيى بن حبان وجعفر الصادق: الفاتحة مكية ويؤيده ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾"^٣ ،

والحجر مكية بإجماع . وفي حديث أبي: (إنها السبع المثاني)^٤، والسبع الطوال أنزلت بعد الحجر بمدة، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كانت في الإسلام صلاة بغير (الحمد لله رب العالمين) الفاتحة. وقال أبو هريرة وعطاء بن يسار ومجاهد وسواد بن زياد والزهري وعبد الله بن عبيد بن عمير : هي مدنية وقيل: إنها مكية مدنية"^٥ .

سابع عشر: حمله على الصوفية والباطنية: كان أبو حيان شديدا على الصوفية، عنيفا معهم ، يرد عليهم بقوة، من ذلك قوله في تفسير الآية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^٦، قال: ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر

(١) الآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٤٩٧ .

(٣) الآية رقم ٨٧ من سورة الحجر.

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، في تفسير سورة الفاتحة من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^١ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن. قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته". ينظر: صحيح البخاري/٩٠٠، وأخرجه أيضا في تفسير سورة الحجر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم". صحيح البخاري/٩٦٠ .

(٥) البحر المحيط ج ١/١٢٥-١٢٦ .

(٦) الآية رقم ١٧ من سورة المائدة.

بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية، حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج ، والشوذي ، وابن أحلى ، وابن العربي المقيم كان بدمشق ، وابن الفارض . وأتباع هؤلاء كابن سبعين ، والتستري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار المقتول بغرناطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة . ومن رأيناه يرمي بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق ، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والأيكبي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة . وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين ، وليحذروا فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله تعالى ورسله، ويقولون بقدوم العالم ، وينكرون البعث . وقد أولع جهلة ممن ينتمي للتصوّف بتعظيم هؤلاء، وادّعائهم أنهم صفوة الله وأوليائه ، والردّ على النصارى

والحلولية، والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين " ١ .

كما ردّ أبو حيان على الملحدّين، ومن ذلك قوله: " وبهذه الفوائد التي ذكرناها ردّ على الملحدّين في طعنهم بأن المعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة ، فهو إيضاح للواضحات ، وبأن وصف العشرة بالكمال يوهم وجود عشرة ناقصة ، وذلك محال .

والكمال وصف نسبي لا يختص بالعددية . كما زعموا لعنهم الله " ٢ .

وبعد، فأمل أن أكون قد وفقت في عرضي لمنهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط.

مادته العلمية:

جمع أبو حيان في البحر المحيط مادة غزيرة، إلى جانب التفسير وتوضيح المعاني التي ألف الكتاب من أجلها، حتى صار كتابه من مراجع التفسير الرئيسة.

(١) البحر المحيط ج٣/٤٦٤-٤٦٥ .

(٢) البحر المحيط ج٢/٨٩ .

وقد اهتم فيه كذلك بالقراءات القرآنية المتواترة والشاذة، وكان لعلم أبي حيان بذلك ما أعانه في الكتابة عنها، فقد قرأ القرآن برواياته، وله تأليف في معظم القراءات، وكذلك قصيدته الموسومة بعقد اللآلي على عروض قصيدة الشاطبي ورويتها في القراءات.

وعني رحمه الله تعالى بذلك في تفسيره أيما عناية، فيذكر القراءات في الآية، ويذكر قارئها وتوجيهها، وله في ذلك كله مواقف متعددة، سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، وله كذلك توجيهات للقراءات المتكلم فيها.

كما اهتم رحمه الله في تفسيره البحر المحيط باللغة والنحو والتصريف، فيذكر معاني المفردات مفصلاً في أول موضع ترد فيه الكلمة، ويذكر لهجات القبائل، وبخاصة عند القراءات التي اختلفت فيها أقوال المفسرين والنحويين والمعرين قبولاً أو رداً.

ولا عجب أن يكون تفسيره البحر المحيط مليئاً بالمسائل النحوية والتصريفية، فمؤلفه نحوي كبير، ولغوي بارع، فله وقفات متأنية عند آيات القرآن الكريم تصريفاً وإعراباً، وذكرها للمسائل الخلافية النحوية والتصريفية، مع اختيار ما يراه في معظم ما تكلم عنه. وقد كتب أبو حيان بين يدي تفسيره البحر المحيط مقدمة ضمنها كثيراً من الفوائد والمسائل والموضوعات المختلفة، فمما جاء فيها، غير ما سبق، أنه ذكر ما يحتاج إليه علم التفسير من العلوم، وذلك من وجوه سبعة، فقال^١ :

الوجه الأول : علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً ، الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم ، أما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة ، وأكثر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن سيده ...

ثم ذكر أنه حفظ الفصح لثعلب، ودواوين امرئ القيس، والنابعة، وعلقمة، وزهير، وطرفة، وعنترة، والأفوه الأودي، والثالث من كتاب الحماسة، وقصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس.

(١) البحر المحيط ج ١/١٠٥-١٠٨.

الوجه الثاني : معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها، ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو ، وأحسن موضوع فيه وأجله كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه رحمه الله تعالى، وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات ، وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجبائي الطائي مقيم دمشق ، وأحسن ما وضع في التصريف كتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي رحمه الله تعالى...

الوجه الثالث : كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع، وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب ، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم ابن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مقيم تونس المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

الوجه الرابع : تعيين مبهم ، وتبيين مجمل ، وسبب نزول ونسخ ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث ، وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها ورويناها، ذلك كالصحيحين و الجامع للترمذي ، و سنن أبي داود ، و سنن النسائي ، و سنن ابن ماجة ، و سنن الشافعي، ومسند الدارمي ، و مسند الطيالسي، ومسند الشافعي ، و سنن الدارقطني ، و معجم الطبراني الكبير ، و المعجم الصغير له ، ومستخرج أبي نعيم على مسلم، وغير ذلك .

الوجه الخامس : معرفة الإجمال والتبيين ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا ، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن ، ويؤخذ هنا من أصول الفقه ، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة.

الوجه السادس : الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه ، والنظر في النبوة، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى ، وفي الأنبياء ، وإعجاز القرآن ، ويؤخذ هذا من علم الكلام.

الوجه السابع : اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن.

ثم ذكر أبو حيان رحمه الله قراءاته على شيوخ زمانه، وذكر أن له في هذا العلم كتاب عقد اللآلي، قصيدا في عروض قصيد الشاطبي ورويه، ويشتمل على ألف بيت وأربعة وأربعين بيتا، صرح فيها بأسامي القراء من غير رمز، ولا لغز، ولا حوشي لغة، وأنشأه من كتب تسعة...^١ ثم قال أبو حيان بعد ذلك: "فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه منها، ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبداع صورة وأجل جلاباب"^٢.

وبين أبو حيان رحمه الله "أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أهل العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحوياً بارعاً في النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو"^٣، ثم نقل بعد ذلك طرفاً من مقدمة الكشف للزمخشري مستدلاً على صحة ما قاله^٤.

ثم ذكر تفسيري ((الكشاف)) للزمخشري، و((المحرر الوجيز)) لابن عطية، وأثنى عليهما، ومع جلالة قدرهما فإن فيهما مجالاً للانتقاد، ثم ذكر السند الذي عن طريقه يروي الكتابين^٥، كما ذكر أنه اعتمد في أكثر نقول كتابه هذا على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن المقدسي، المعروف بابن النقيب، إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير، يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد، إلا أنه كثير التكرير، قليل التحرير، مفرط الإسهاب، ثم ذكر أنه رواه إجازة من جامعه، رحمه الله^٦.

(١) البحر المحيط ج١/١٠٩.

(٢) البحر المحيط ج١/١٠٩.

(٣) المرجع السابق ج١/١١١.

(٤) المرجع السابق ج١/١١١-١١٢. وانظر الكشاف ج١/٩٦-٩٧.

(٥) البحر المحيط ج١/١١٢.

(٦) البحر المحيط ج١/١١٤-١١٥.

ثم ذكر كثيرا من الأحاديث والآثار في القرآن وفوائده^١، وختم مقدمته بالكلام على معنى ((التفسير)) لغة واصطلاحاً^٢.

وفي البحر المحيط جانب كبير من المسائل الفقهية عند آيات الأحكام، وكذا الكلام على الأحاديث وأسانيدها من حيث الصحة والضعف، والمغازي وسيرة النبي ﷺ، ثم الحديث عن بلاغة الآيات القرآنية، وبيان أوجه الإعجاز فيها، وعرض الصور البيانية، والمحسنات البديعية فيها، كما تقدم الكلام عن بعض ذلك.

مصادره:

لقد كثرت مصادر أبي حيان وتنوعت في تفسيره البحر المحيط، فضم نقولات كثيرة، وإحالات على كتب لا تزال مخطوطة، أو مفقودة إلى الآن.

وإن قراءة متأنية في تفسير البحر المحيط تعطي الدارس إماما بالمصادر التي رجع إليها أبو حيان في تفسيره هذا، ما يدل على سعة اطلاعه، فقد رجع إلى كثير من كتب القراءات والتفسير، والحديث، والكلام، والنحو والتصريف، واللغة، والفقه وأصوله، وغير ذلك. ولا شك أن كثرة هذه المصادر أثرت هذا الكتاب الجليل مع ما كان لمؤلفه رحمه الله من شخصية واضحة بارزة فيه.

ويمكن تصنيف مصادر أبي حيان التي أفاد منها في تأليف تفسيره، وبخاصة ما توسع فيه من ذكر القراءات وتوجيهها، وتفسير الآيات والمعاني اللغوية وتصريف الكلمات وبيان اشتقاقها، وذكر المسائل النحوية والخلاف فيها، والوجوه التي ذكرت في إعراب الآية على النحو الآتي:

أولاً-الكتب التي صرح بالرجوع إليها والإفادة منها وهي:

١-الإعراب عن أسرار الحركات في لسان الأعراب^٣، لأبي الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة(ت٦٤٤هـ).

٢-الأغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني^١، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت٣٧٧هـ).

(١) البحر المحيط ج١/١١٦-١١٨.

(٢) البحر المحيط ج١/١٢١.

(٣) البحر المحيط ج٢/٤٨، وج٧/٤٩٢.

- ٣- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب^٢، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ).
- ٤- الإقناع في القراءات السبع^٣، لأبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش النحوي (٥٤٦هـ).
- ٥- الإقناع في القراءات الشاذة^٤، لأبي علي حسن بن علي الأهوازي المقرئ (٤٤٦هـ).
- ٦- أمالي ثعلب في النحو^٥، لأحمد بن يحيى المشهور بثعلب (ت ٢٩١هـ).
- ٧- الأمالي الشجرية^٦، لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ).
- ٨- الإملاء المنتخل في شرح كتاب الجمل^٧، لأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن يحيى البهاري.
- ٩- الإيضاح العضدي^٨، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ).
- ١٠- البديع في القراءات السبع^٩، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ).
- ١١- البسيط في النحو^{١٠}، لضياء الدين محمد بن علي الإشبيلي المعروف بابن العليج.
- ١٢- التحرير والتجوير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن المقدسي المعروف بابن النقيب (ت ٦٩٨هـ)، وعليه اعتمد أبو حيان في أكثر نقولاته^١.

(١) البحر المحيط ج ٣/ ١١٨.

(٢) البحر المحيط ج ٢/ ٣٦٨.

(٣) البحر المحيط ج ١/ ١٠٨، وج ٥/ ٣٦٠.

(٤) البحر المحيط ج ٦/ ١٠٥، و ١١٦، و ٢٢١، و ٢٤٦.

(٥) البحر المحيط ج ٢/ ١٦٤.

(٦) البحر المحيط ج ١/ ٥٧٨.

(٧) البحر المحيط ج ١/ ٢٢٥.

(٨) البحر المحيط ج ٢/ ٢١٣.

(٩) البحر المحيط ج ٢/ ٤٦.

(١٠) البحر المحيط ج ٨/ ٤٧.

- ١٣-التحصيل (مختصر كتاب التفصيل في التفسير)^٢، كلاهما لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي التميمي (ت ٤٤٠هـ).
- ١٤-التذكار في القراءات العشر^٣، لأبي الفتح عبد الواحد بن حسين بن شيطا البغدادي (ت ٤٤٥هـ).
- ١٥-التذكرة^٤، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ).
- ١٦-التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)^٥، لأبي عبد الله محمد بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ).
- ١٧-تفسير الخطيب التبريزي^٦، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ).
- ١٨-التفسير الكبير (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل في التفسير)^٧، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي التميمي (ت ٤٤٠هـ).
- ١٩-الجامع لأحكام القرآن^٨، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الخرجي القرطبي المالكي (ت ٦٧١هـ).
- ٢٠-الحجة للقراء السبعة^٩، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ).
- ٢١-دلائل الإعجاز^{١٠}، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ).
- ٢٢-رصف المباني في شرح حروف المعاني^١، لأحمد بن رشيد المالقي (ت ٧٠٢هـ).

-
- (١) البحر المحيط ج ١/١١٤، وج ٣/٢٦٤-٣١٩، وج ٤/٥٩-١٤٥-٢٤٣-٢٨٥-٢٩٦، وج ٥/٢٤-٢٩-٣٢-٥٩-٥٨، وج ٦/٣٠-٥٣-٧٤-٨٦-١٠٠، وج ٧/٣٩-٦٣-١٢٢، وج ٨/٤٨-١٢٠-١٥٨. وغيرها كثير جدا.
- (٢) البحر المحيط ج ١/٤٧٩.
- (٣) البحر المحيط ج ٣/٢٤٦.
- (٤) البحر المحيط ج ٣/٢٣١.
- (٥) البحر المحيط ج ١/٢٠٧.
- (٦) البحر المحيط ج ١/٦٠٩-٦٤٦، وج ٢/١٦٤.
- (٧) البحر المحيط ج ١/١٤٦-١٤٩-٢٢٧، وج ٢/١٠٩-١٢٥-١٤٧.
- (٨) البحر المحيط ج ١/١٢٨، وج ٢/١٧٨.
- (٩) البحر المحيط ج ٤/٢٨٣-٢٩٣.
- (١٠) البحر المحيط ج ٢/٣٩١، وج ٣/٣٣٠.

- ٢٣- روي الظمآن في تفسير القرآن^٢، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ).
- ٢٤- الكامل في القراءات الخمسين^٣، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت ٤٦٥هـ).
- ٢٥- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسبويه (ت ١٨٠هـ). وقد أكثر أبو حيان النقل عنه^٤.
- ٢٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ). وقد نقل أبو حيان عنه كثيراً، وناقشه كثيراً^٥.
- ٢٧- اللوامح في شواذ القراءات^٦، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقرئ الرازي (ت ٤٥٤هـ). وقد أكثر أبو حيان النقل عنه.
- ٢٨- مجاز القرآن^٧، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ).
- ٢٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز^٨، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤١هـ). وقد نقل عنه أبو حيان كثيراً مع مناقشته إياه.
- ٣٠- مشكل إعراب القرآن^٩، لأبي محمد مكِّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

(١) البحر المحيط ج ٢/٤٤٦.

(٢) البحر المحيط ج ١/٤١٨-٥٤٥، وج ٢/٣٧-٧١-١١٩.

(٣) البحر المحيط ج ٢/١٢٢.

(٤) البحر المحيط ج ١/١٠٦-١٢٧-١٣٧، وج ٢/٤-٢٤-٥٠، وج ٣/٦-١٢-١٠٣، وج ٤/٤٨-٩٨.

(٥) البحر المحيط ج ١/١١١-١٢٧-١٥٠، وج ٢/١٤-٣٢-٤٦، وج ٣/٩-٢٢.

(٦) البحر المحيط ج ١/١٣٤-١٤١-١٧١، وج ٤/٢٧٩-٤٠٨-٤١٨، وج ٥/٤٢-٦٤.

(٧) البحر المحيط ج ١/١٣٠-٥١٧.

(٨) البحر المحيط ج ١/١٣٠-١٥٣-١٧٤، وج ٢/٧-١٦-٤٠، وج ٣/٤١-٥٢-٩٠.

(٩) البحر المحيط ج ١/٢٩٢-٣١٦-٦١٧، وج ٢/٤٤٤، وج ٣/٢٤١، وج ٤/٤٣.

٣١- المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين^١، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوي (ت ٣٣٨هـ).

٣٢- الملخص في ضبط قوانين العربية^٢، وسماه أبو حيان ((التلخيص))، لأبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع الأندلسي (ت ٦٨٨هـ).

٣٣- المنتخب^٣، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ).

٣٤- الوسيط في التفسير^٤، لعلي بن أحمد بن محمد الواحد النيسابوري (ت ٦٨٤هـ).

٣٥- اليواقيت في اللغة^٥، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هشام البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ).

كما أحال إلى بعض كتبه، مصرحاً بها، وهي:

١- تذكرة النحاة^٦.

٢- التذييل والتكميل لشرح التسهيل^٧.

٣- التكميل لشرح التسهيل^٨.

٤- جلاء الغبش عن لسان الحبش^٩.

٥- قصيدته المسماة ((عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي))^{١٠}.

(١) البحر المحيط ج ٦/٣٤، وج ٧/٤٣٠.

(٢) البحر المحيط ج ١/٢٩٤.

(٣) البحر المحيط ج ١/٢٧٧-٣١٣-٣٧٣.

(٤) البحر المحيط ج ٣/١١٥.

(٥) البحر المحيط ج ٣/٤٩، وج ٤/٩٢.

(٦) البحر المحيط ج

(٧) البحر المحيط ج ٤/١٠٣.

(٨) البحر المحيط ج ١/٢٦٥.

(٩) البحر المحيط ج ٤/١٦٧.

(١٠) البحر المحيط ج ١/١٠٩.

٦- القول الفصل في أحكام الفصل^١.

٧- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك^٢.

طبعاته ومخطوطاته

طبع تفسير البحر المحيط في ثمانية مجلدات كبيرة في مصر سنة ١٣٢٨هـ بمطبعة السعادة طبعة غير محققة عدة مرات على نفقة سلطان المغرب الأقصى عبد الحفيظ بن السلطان مولاي الحسن بن السلطان سيدي محمد، ثم صورت بعد ذلك.

وطبع بهامشه تفسيران:

١- تفسير ((النهر الماد)) من البحر المحيط لأبي حيان نفسه.

٢- كتاب ((الدر اللقيط من البحر المحيط)) لتلميذه أحمد بن عبد القادر بن مكتوم.

وللبحر المحيط نسخ مخطوطة هي:

١- نسخة في مكتبة لايدن لا يعرف متى كتبت، وقد ذكرها بلانثيا في كتابه ((تاريخ الفكر

الأندلسي))^٣، من غير أن يصفها، وهي برقم ٣٤٤ OR، كما جاء في فهرس مخطوطات لايدن.

٢- نسخة في جامع راغب باشا، وهاتان المخطوطتان ذكرهما جرجي زيدان من غير إشارة

إلى تاريخ نسخهما، ولم يصفهما كذلك^٤.

(١) البحر المحيط ج ٨/٣٥٩.

(٢) البحر المحيط ج ١/٤٠٣-٤٥٨-٤٩٩، وج ٢/٥٣-١٣٦-٣٠٤، وج ٤/٨-٢٣٢.

(٣) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي/١٨٨، وفهرس مخطوطات المسجد النبوي ج ١/٢٩.

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٣/٢٦٥. وينظر: كشف الظنون ج ١/٢٢٢، والأعلام ج ٧/١٥٢.

المبحث الأول:
الهمز بين التحقيق والتخفيف.

تمهيد:

الهمزة صوت صامت حنجري مزماري^١، شديد، منفتح، مستفل، مصمت^٢، يخرج^٣ من فتحة المزمار نفسها بعصر زمير الأوتار لحظة اتجاهها للالتقاء وإغلاق تلك الفتحة، أو لحظة افتراقها بعد أن كانت مغلقة^٣.

الهمزة بين الثقل والخفة:

يتطلب صوت الهمزة جهداً عضلياً حال نطقه، لذا شبهه علماء اللغة بالتهوع^٤، قال سيبويه: "واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا (أي إبدالها واواً أو ياءاً)، من لم يخففها، لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع^٥".

فضلا عن ذلك فإن الهمزة حرف شديد أي يمنع جريان النفس، وفي هذا ثقل أيضاً، لأن الأصل هو انطلاق النفس واسترساله دخولا وخروجاً^٦، وقد دعا هذا الثقل - المتمثل في مخرج الهمزة وما يكتنفها من صفات - بعض العرب إلى تخفيفها. وبناء على ما سبق يمكن الإشارة إلى أحوال الهمزة عند العرب، وذلك على النحو الآتي:

(١) هذا هو تحديد علماء اللغة المحدثين، أما القدامى فذكروا أنها تخرج من أقصى الحلق، وليس ثمة خلاف بينهم، ذلك أن تحديد علمائنا القدامى يمكن قبوله على أساس التوسع في إطلاق المصطلح، (الحلق)، كما أشار إلى ذلك د. كمال بشر. دراسات في علم اللغة/٧٦-٧٧، دار غريب - القاهرة.

(٢) أما عن الجهر والهمس، فالقدماء متفقون على أن الهمزة مجهورة. الكتاب لسيبويه ج٤/٤٣٤، وسر الصناعة لابن جني ج١/٦٠، وشرح المفصل لابن يعيش ج٩/١٠٧. وأما المحدثون فاختلّفوا فيما بينهم، فمنهم من رأى أنها مهموسة أمثال د/رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية/٢٤، ومنهم من رأى أنها مجهورة أمثال أ.د/محمد حسن جبل، مختصر في أصوات اللغة العربية/٨٦، ومنهم من رأى أنها صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، مثل د/إبراهيم أنيس/٩٠، ود/كمال بشر، علم اللغة العام/٢٨٨.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/٨٦. وبهذا يتضح أنه لا غرابة في وقوع التبادل بينها وبين حروف المد وذلك "لتماثلها في المادة المكونة لحقيقة كل منها وهي الزمير الصادر بارتعاد الأوتار الصوتية بالإضافة إلى ما يكون بينها من تقارب أو تشابه في أمور أخرى" أ.ه المرجع السابق/٩٣.

(٤) التهوع: هو تكلف القيء، قال الفيومي: "هاع يهوع هوعا من باب قال، قاء من غير تكلف، وهو الذي ذرعه، والاسم الهواع بالضم، فإن تكلفه قيل تهوع" أ.ه المصباح المنير/١٤٧.

(٥) الكتاب لسيبويه ج٣/٥٤٨.

(٦) أصوات اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/١٣٤.

أولاً: التحقيق: وهو "الإبقاء على نبرة الهمزة دون حذف أو تخفيف أو تغيير" ^١، يقول الأزهري: "وللعرب مذاهب في الهمزة، فمنهم من يحقق الهمز ويسمونه (النبر) ^٢، ويعزى إلى تميم ^٣، وقيس، وكثير من أهل نجد ^٤.

ثانياً: التخفيف: وتخفيف الهمزة على ثلاثة أوجه:

الأول: الإبدال: وهو أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فتصير بعد الفتحة ألفاً، وبعد الضمة واواً، وبعد الكسرة ياءً نحو: "ياكلون، والذئب، ويؤمنون" ^٥.

الثاني: التسهيل بين بين ^٦: هو الهمزة التي تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ^٧.

الثالث: الحذف: أي إسقاطها من اللفظ ألبتة ^٨، وذلك على صورتين:

الأول: الحذف مع نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، سواء أكان الساكن لام تعريف مثل (الأرض)، أو تنويناً مثل (مبينٌ أن اعبدوا الله)، أو غير ذلك من الحروف ما لم يكن حرف مد، نحو (قد أفلح) ^٩.

الأخرى: الحذف من غير نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها ^{١٠}، وذلك نحو: (والصابئين).

وبعد: فهذه نبذة موجزة، يمكن من خلالها عرض القراءات الشاذة الواردة في البحر المحيط التي تناولت تحقيق الهمز وتخفيفه مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

(١) اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن/٢٤١.

(٢) معاني القراءات للأزهري/١٢٩.

(٣) الكتاب لسيبويه ج٣/٥٤٢.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج١/٤٨٦.

(٥) الكتاب لسيبويه ج٣/٥٤٣-٥٤٤.

(٦) الكتاب لسيبويه ج٣/٥٤١، وشرح المفصل ج٩/١٠٧، وإبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع لأبي شامة (ت٦٦٥هـ)/١٢٨.

(٧) شرح المفصل ج٩/١٠٧.

(٨) الكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطي/٦١.

(٩) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(١٠) المرجع السابق/الموضع نفسه.

أولاً: تحقيق الهمز:

- بداية تجدر الإشارة إلى أن الهمز مستثقل، وذلك في نظر اللغويين والقراء، فما سر اللجوء إليه؟ يمكن التعرف على ذلك من خلال عرض أبي حيان للقراءات الشاذة وتوجيهها الواردة في تفسيره التي تمثل تحقيق الهمز، وذلك على النحو الآتي:

(أ): الهمزة المفردة:

* الضالّين: في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ أيوب السخيتاني ولا الضالّين بإبدال الألف همزة فرارا من التقاء الساكنين، وحكى أبو زيد: دأبة وشأبة في كتاب الهمز، وجاءت منه ألفاظ، ومع ذلك فلا ينقاس هذا الإبدال؛ لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس. نص على أنه لا ينقاس النحويون، قال أبو زيد: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)^٢، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة^٣، قال أبو الفتح: "وعلى هذه اللغة قول كثير:

إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت^٤.

وقول الآخر:

وللأرضُ أَمَا سودها فتجللتُ بِيَاضًا وَأَمَا بِيضُهَا فَادْهَأَمْتُ^٥

(١) الآية رقم ٧ من سورة الفاتحة.

(٢) الآية رقم ٧٢ من سورة الرحمن.

(٣) البحر المحيط ج ١/١٥١، وينظر: الخصائص لابن جني ج ٣/١٢٨.

(٤) هذا البيت بروايته المذكورة بعاليه منسوب إلى كثير عزة في المحتسب ج ١/٤٧، والخصائص ج ٣/١٢٦، وأما في ديوان كثير عزة، فروايته هكذا:

وأنت - ابن ليلى - خير قومك مشهداً** إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

واحمأرت: أي أصبحت حمراء اللون، والعبيط: الدم الطري، والعوامل: صدور الرماح.

فهو يمدح عبد العزيز بن مروان قائلاً: وأنت يا ابن ليلى خير قومك لمن شهدك وعرفك إذا ما اصطبغت رؤوس الرماح بالدم الأحمر الطري. ديوان كثير عزة/٢١٦ شرح/عدنان زكي درويش، دار صادر-بيروت، ١٩٩٤م.

(٥) هذا البيت -أيضا- منسوب لكثير عزة من قصيدة يرثي فيها عبد العزيز بن مروان، والمعنى: وعجبت للأرض كيف كسى البياس والجفاف أطرافها السوداء وتجللها، وأما أراضيها البيضاء فقد أصبحت وهما سوداء. ديوان كثير عزة/٧٢، والمحتسب ج ١/٤٧.

وأصل كلمة (الضالين) وهو (الفاعلون) من ضلَّ يضلُّ، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصورة المحتملة في ذلك، فاسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة^١.

ويعلل ابن جني تحقيق الهمزة في نحو (الضالين)، قائلاً: "وربما لم يكتف من تَقْوَى لغته، ويتعالى تمكينه وجهارته، بما تجشمه من مدّ الألف في هذا الموضوع (أي شأبة ودأبة ونحوهما)، دون أن يطغى به طبعه، ويتخطى به اعتماده ووطؤه، إلى أن يبدل من هذه الألف همزة، فيحملها الحركة التي كان كلفاً بها، ومُصَانِعاً بطُول المدّة عنها، فيقول: شأبة ودأبة"^٢؛ لذا وصف الزمخشري تلك المبالغة في تحقيق الهمز، وذلك الاجتهاد بأنه جدّ في الهرب من التقاء الساكنين^٣، ووصفه العكبري^٤ وابن عطية^٥ بأنه فرار من التقاء الساكنين.

وبناء على هذا، فإن من همز الألف من لفظ (الضالين) ونحوه فراراً وجدّاً في الهرب من التقاء الساكنين-مع أنه مغتفر التقاؤهما حرّك الألف" فلم يمكن تحركها، فأبدل منها حرفاً مؤاخياً لها، قريب المخرج منها، أجلد منها وأقوى، وهو الهمزة^٦، أشار إلى ذلك ابن جني، فقال: "فأما إبدالها-أي الهمزة-من الألف فنحو ما حُكي عن أيوب السخيتاني أنه قرأ: (ولا الضالّين) فهمزة الألف، وذلك أنه كره اجتماع الساكنين: الألف واللام الأولى، فحرّك الألف لالتقائهما، فانقلبت همزة؛ لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمل الحركة.. فإذا

(١) المحتسب لابن جني ج ٤٦/٣.

(٢) الخصائص لابن جني ج ١٢٦/٣.

(٣) الكشف للزمخشي ج ١٢٣/١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ للعكبري/١٠٤.

(٥) المحرر الوجيز ج ٧٨/١.

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ج ١٤/١.

اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه، وهو الهمزة^١، وقد أشار إلى ذلك أيضا ابن الأنباري^٢، وغيره^٣.

ومثل هذا التوجيه الصوتي السابق، ينطبق على القراءات الشاذة الآتية:

● ازيائت: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ﴾^٤.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو عثمان النهدي بهمزة مفتوحة بوزن افعألت، قاله عنه صاحب اللواح، قال: كأنه كانت في الوزن بوزن احمأرت، لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين، فحركت الألف فانقلبت همزة مفتوحة"^٥، قال ابن عطية: "وقال عوف بن أبي جميلة: كان أشياخنا يقرؤونها: (وازيائت) النون شديدة، والألف ساكنة قبلها، وهي قراءة أبي عثمان النهدي^٦، وقرأت فرقة: (وازيائت)، وهي لغة..^٧".

وذكر ابن جني هذه القراءة، ثم قال معللاً لها: "وأما (ازيائت) فإنه أراد افعألت، وأصله ازيائت مثل ابياضت واسودت، إلا أنه كره التقاء الألف والنون الأولى ساكنتين، فحرك الألف فانقلبت همزة"^٨.

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني ج ١/٧٢.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله مصغر بن أبي سعيد كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري النحوي (٥٧٧-٥١٣ هـ) ومن مصنفاته: (أسرار العربية، الأسمى في شرح الأسماء، الأضداد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين). تحقيق د/طه عبد الحميد طه وآخر. ج ١/٤١.

(٣) ينظر: إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/١٠٤، وشرح المفصل ج ٩/١٢٩-١٣٠.

(٤) الآية رقم ٢٤ من سورة يونس.

(٥) البحر المحيط ج ٥/١٤٥.

(٦) هذه القراءة منسوبة إلى أبي عثمان النهدي. مختصر شواذ القرآن ٦١/١، والمحتسب ج ١/٣١١، والبحر المحيط ج ٥/١٤٥.

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٣/١١٤.

(٨) المحتسب لابن جني ج ١/٣١٢.

● **تثنن:** في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ عروة، ومجاهد أيضا كذلك، إلا أنه همز فقرأ: يثنن مثل يطمئن، وصدورهم رُفِعَ، وهذه مما استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل: أشاح. وقد قيل: إن يثنن يفعئل من الثن. المتقدم، مثل تحمارٍ وتصفارٍ، فحركت الألف لالتقائهما بالكسر، فانقلبت همزة"^٢.

وذكر كثير من علماء اللغة والمفسرين أن في توجيه هذه القراءة وجهين:

الأول: أن أصلها (تثنان)، مثل: تحمارٍ، ففرّ من التقاء الساكنين بقلب الألف همزة مكسورة^٣.

والآخر: أن أصلها (تثنون) بواو مكسورة، فاستثقلت الكسرة على الواو، فقلبت همزة كما قيل في: وسادة: إسادة، وفي: وعاء: إعاء، وهذا مذهب أبي إسحق، قال ابن جني: "ومذهب أبي إسحق هذا مردود عندنا"^٤. وقال الشهاب الخفاجي: "ورجح الأول باطراده"^٥.

● **الجآن:** في قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾^٦، وفي قوله -أيضا-

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾^٧، قال أبو حيان: "وقرأ الحسن^٨ وعمرو بن

عبيد: (ولا جانّ) بالهمز فراراً من التقاء الساكنين، وإن كان التقاءهما على حدة"^٩.

(١) الآية رقم ٥ من سورة هود.

(٢) البحر المحيط ج ٥/٢٠٣.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/٣١٩-٣٢٠، وإعراب القراءات الشواذ ج ١/٦٥٦.

(٤) المحتسب ج ١/٣٢٠، والتبيان للعكبري ج ٢/٤٤٧.

(٥) المحتسب لابن جني ج ١/٣٢٠.

(٦) حاشية الشهاب السّمّة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر-بيروت ج ٥/٧١.

(٧) الآية رقم ٢٧ من سورة الحجر.

ويقول النحاس: "وروي عن الحسن أنه قرأ (والجآن خلقناه) بالهمز، كأنه كره اجتماع الساكنين"، وذكر ابن جني أنه "لما حرّك الألف لالتقاء الساكنين همزها، كقراءة أيوب السخيتاني: (ولا الضالّين)"^٥.

وبناء على ما سبق تجدر الإشارة إلى ما يأتي:

أولاً: إن أبا حيان على معرفة بالعلة الصوتية التي من أجلها تم تحقيق الهمز في (الضالّين) ونحوها، وذلك من خلال قوله: "وقرأ أيوب السخيتاني (ولا الضالّين) بإبدال الألف همزة، فراراً من التقاء الساكنين"^٦.

ثانياً: نص أبو حيان أيضاً على أن تحقيق الهمزة في (الضالّين) ونحوها، لغة مسموعة عن العرب، وعزاها إلى تميم، وعكس، حيث قال: "وربما فُرّ من التقاءهما بجعل الألف همزة في نحو (ولا الضالّين)، وهو لغة في تميم، وعكس، يقرأ الأعرابي منهم، وقيل لامرأة منهم: ما أذهب أسنانك؟ فقالت أكل الحارّ، وشرب القارّ"^٧.

(١) الآية رقم ٥٦، و ٧٤ من سورة الرحمن، وكذلك في قوله تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ٣٩ من سورة الرحمن، حيث قرأها عمرو بن عبّيد (ولا جانّ). ينظر: مختصر ابن خالويه/٧٤-٧٥، و ١٥٠، والمحرم الوجيز لابن عطية ج ٥/٢٣٤.

(٢) هذه قراءة شاذة منسوبة إلى الحسن. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٣٨٠، ومختصر ابن خالويه/٧٤-٧٥، والدر المصون للسمين الحلبي ج ٧/١٥٨، وإلى عمرو بن عبّيد. ينظر: المختصر/٧٤-٧٥، والبحر المحيط ج ٥/٤٤٠، وإلى أبي السّمّال. ينظر: المختصر/٧٤-٧٥.

(٣) البحر المحيط ج ٨/١٩٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٣٨٠.

(٥) المحتسب لابن جني ج ٢/٣٠٥.

(٦) البحر المحيط ج ١/١٥١.

(٧) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ج ٢/٧١٧.

وقد وصف مكّي بن أبي طالب، وابن الجزري تحقيق الهمزة هنا بأنه "قليل في كلام العرب"^١، وذكر أبو حيان أنه جاءت منه ألفاظ^٢، في حين وصفها العكبري بأنها "لغة فاشية في العرب في كل ألف وقع بعدها حرف مشدد، نحو: ضالّ، ودابّة، وجانّ"^٣.

وأغلب الظن أن همز الألف الواقعة قبل الحرف المشدد ورد منه عدة ألفاظ، لكنها لم تكثر الكثرة الهائلة التي تؤدي إلى أن يطلق عليها فاشية، لذا قال ابن جني بعد ذكره عدة ألفاظ همزت فيها الألف الواقعة قبل الحرف المشدد: "وقد كان يتسع هذا عنهم"^٤.

وعلى الرغم من كون هذه القراءة الشاذة لغة مسموعة عن العرب، فإن الدكتور صبحي الصالح يذكر أن القُرّاء قد تجاوزوا الحدود حين قرأوا "بهمزة مفتوحة قبل الحرف المشدد في (ولا الضالّين)"^٥، وينكر أن تكون هذه مسموعة عن العرب، قائلاً: "والحق أن الذي سُمع من العرب في باب الهمزة-على تنوعه تبعاً لتنوع القبائل ولهجاتها-لم يكن فيه مثل هاتيك الصورة الشاذة.."^٦.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور صبحي الصالح قد تحامل فيما ادعاه على القراءة من تجاوزهم الحدود في قراءة:(الضالّين)، وهم المعروف عنهم الأمانة في النقل، ومراعاة الدقة في الضبط، كما أنه أنكر أن المسموع عن العرب لم تكن فيه (الضالّين) وأشباهها؛ مع أن ما ذكره يتعارض مع ما ورد من منشور كلام العرب ومنظومه، ممثلاً لتحقيق الهمزة، فراراً من النقاء الساكنين، فضلاً عن ذلك فإن أبا حيان عزا هذه اللغة إلى تميم، وعكس.

(١) الإبانة لمكي/١٢٢، والكشف لمكي ج٢/٢٧٩، والنشر ج١/٧٤.

(٢) البحر المحيط ج١/١٥١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج١/١٣.

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني ج١/٧٤.

(٥) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٣٧٩، ١٠١=١٩٦٠.

(٦) المرجع السابق/٧٩.

ثالثاً: إن تحقيق الهمز قبل الحرف المشدد مقصور على الألف فقط، أشار إلى ذلك ابن جني، فقال: " وهذا الهمز الذي تراه أمر يخص الألف دون أختيها. وعلته في اختصاصه بها دونهما، أن همزها في بعض الأحوال إنما هو لكثرة ورودها ساكنة بعدها الحرف المدغم، فتحاملوا وحملوا أنفسهم على قلبها همزة، تطرقاً إلى الحركة وتطاولاً إليها، إذ لم يجدوا إلى تحريكها هي سبيلاً، لا في هذا الموضوع ولا في غيره. وليست كذلك أختها، لأنهما وإن سكنتا في نحو هذا قضيب بكر، وتمود الثوب، فإنهما قد تحركان كثيراً في غير هذا الموضع، فصار تحركهما في غير هذا الموضع عوضاً من سكونهما فيه"^١.

رابعاً: إن إبدال الألف هنا همزة، برغم سماعه عن العرب، فإنه لا ينقاس عليه، قال المبرد: قلت للمازني: " أتقيس ذلك؟ قال: لا، ولا أقبله"^٢، وأشار كذلك إلى عدم القياس عليه أبو حيان، فقال: " حكى أبو زيد دأبة، وشأبة في كتاب الهمز، وجاءت منه ألفاظ، ومع ذلك فلا ينقاس هذا الإبدال؛ لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس، نص على أنه لا ينقاس النحويون"^٣.

خامساً: إن علة تحريك الهمزة بالفتح، لأنه هو (المجانس للألف)^٤.

سادساً: إن الأجود- كما قال النحاس- ترك الهمز، لأنه " لا ينكر اجتماع ساكنين إذا كان الأول حرف مد ولين والثاني مدغماً"^٥.

(١) الخصائص لابن جني ج ٣/١٢٧.

(٢) سر صناعة الإعراب ج ١/٧٣، وشرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م ج ٢/٢٤٩.

(٣) البحر المحيط ج ١/١٥١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/١٠٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٣٨٠.

سابعاً: إن قراءة (الضالّين) ونحوها، لم تخالف خط المصحف، وكذلك لها وجهها في العربية، وقد اتضح ذلك مما سبق؛ لذا ذكرها مكي بن أبي طالب من قراءات الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمد بما يوافق المصحف، ثم قال: " وهذا كله موافق لخطّ المصحف، والقراءة به مَنْ رَوَاهُ عن الثقات جائزة، لصحة وجهه في العربية، وموافقته الخطّ إذا صحّ نقله" ^١.

وبناءً على هذا، فإن هذه القراءة وأمثالها إنما شذت لفقدها الركن الحصين من أركان القراءة الصحيحة، وهو تواترها عن النبي ﷺ.

(ب) اجتماع الهمزتين محقتين:

كما ورد تحقيق الهمزة المفردة في لغة العرب، وسجلته القراءات الشاذة، فقد ورد كذلك اجتماع الهمزتين محقتين في كلمة لدى بعض العرب، واشتملت عليه القراءات الشاذة، وأورد أبو حيان في البحر المحيط عدداً منها، يمكن فيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

• أُرْزَأَ: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي بِالسُّعْيَةِ الَّتِي يَأْتِيَنَّكَ بِهَا لَمَّا بَدَدَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِقَوْلِهِمْ إِنَّا زُرْنَا وَمَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِ سُمًّا وَإِنَّا لَمُتَّحِقُونَ﴾ ^٢.

قال أبو حيان: " وقرأ ابن عباس أيضاً، وأبو إسماعيل الشامي: أُرْزَأَ بكسر الهمزة بعد همزة الاستفهام، تتخذ" ^٣، ويذكر أبو جعفر النحاس أن ابن عباس قرأ (وإذ قال إبراهيم لأبيه أُرْزَأَ) بهمزتين، فالأولى مفتوحة والثانية مكسورة، هذه رواية أبي حاتم ولم يبين معناه" ^٤، ثم

(١) الإبانة لمكي بن أبي طالب/١٢٣.

(٢) الآية رقم ٧٤ من سورة الأنعام.

(٣) البحر المحيط ج ٤/١٦٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٧٦.

يوجهها فيقول: "يجوز أن يكون بمعنى وَرَّرٍ، كما يقال: وسادة وإسادة^١، وإلى ذلك أشار أبو حيان^٢.

ويرى النحاس فيها وجهاً آخر، وهو جواز" أن يكون مشتقاً من الأزر أي الظَّهْر ويكون معناه القوة، ويكون مفعولاً من أجله"^٣.

• أن ذكرتم: في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^٤.

قال أبو حيان: "وقرأ زر بهمزتين مفتوحتين، وهي قراءة أبي جعفر وطلحة إلا أنها لبناء الثانية بين بين. وقال الشاعر في تحقيقها:

إن كنت داوود بن أحوى مرحلاً فلست بداع لابن عمك محرماً"^٥

ويقول العكبري مشيراً إلى هذه القراءة، ومعللاً لها: "ويقرأ بفتح الثانية، وأن مصدرية، أي لأن ذكرتم"^٦.

ثانياً: تخفيف الهمزة:

أورد أبو حيان في كتابه (البحر المحيط) قراءات شاذة اشتملت على تخفيف الهمز بأنواعه: (الإبدال، والحذف، والتسهيل بين بين)، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً.

١- الهمزة المفردة:

-
- (١) المرجع السابق/الموضع نفسه.
 - (٢) البحر المحيط ج٤/١٦٩.
 - (٣) إعراب القرآن للنحاس ج٢/٧٦.
 - (٤) الآية رقم ١٩ من سورة يس.
 - (٥) البحر المحيط ج٧/٣١٤.
 - (٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج٢/٣٥٨.

(أ) قراءات خفت فيها الهمزة بالإبدال:

* سَوَّهَمَا: في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ مجاهد والحسن (من سَوَّهَمَا) بالإفراد وتسهيل الهمزة بإبدالها واواً، وإدغام الواو فيها"^٢.

ويذكر سيبويه أن العرب منهم من يحذف الهمزة إذا كانت مفتوحة وقبلها واو ساكنة، وكانت "في كلمة واحدة، نحو: سَوَاءٍ، وموَالَةٍ، حذفوا فقالوا: سَوَّةٌ وموَالَةٌ. وقالوا في حوَابٍ: حَوْبٌ؛ لأنه بمنزلة ما هو من نفس الحرف. وقد قال بعض هؤلاء: سَوَّةٌ وضوٌ، شبَّهوه بأَوْنَتٍ"^٣.

ويذكر ابن جني كذلك علة تشديد الواو في لفظ (سَوَّاهِمَا)، ثم يوجهه، فيقول: "حكى سيبويه ذلك لغة قليلة، والوجه في تخفيف نحو ذلك أن تحذف الهمزة، وتلقى حركتها على الواو قبلها، فتقول في تخفيف نحو السوءة: السوة، وفي تخفيف الجيئة: الجية. ومنهم من يقول: السوة والجيئة، وهو أدون اللغتين وأضعفهما، ومنهم من يقول في المنفصل من أو أنت: أو أنت، وفي (أبو أيوب): أبو أيوب، وهو في المنفصل أسهل منه في المتصل، لما يوهم (سوة) أنه من مضاعف الواو، نحو القوَّة والحوَّة"^٤.

• سولوا: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا﴾^٥.

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة الأعراف.

(٢) البحر المحيط ج ٤/٢٧٩.

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٣/٥٥٦.

(٤) المحتسب لابن جني ج ١/٢٤٣.

(٥) الآية رقم ١٤ من سورة الأحزاب.

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن : سولوا ، بواو ساكنة بعد السين المضمومة ، قالوا : وهي من سال يسال ، كخاف يخاف ، لغة من سأل المهموز العين . وحكى أبو زيد : هما يتساولان . انتهى . ويجوز أن يكون أصلها الهمزة؛ لأنه يجوز أن يكون سولوا على قول من يقول في ضرب ضرب ، ثم سهل الهمزة بإبدالها واواً على قول من قال في بؤس بوس ، بإبدال الهمزة واواً لضممة ما قبلها"^١.

ويرى العكبري أن قراءة(سولوا)بضم السين وواوٍ مكان الهمزة، إنما هي " على إبدال الهمزة واواً للضممة قبلها"^٢.

وعلى أية حالةٍ، فإن الواو في كلا الوجهين بدل من الهمزة، فعلى الوجه الأول الذي ذكره ابن جني الإبدال عام في تصريف المادة، فالألف في(سال) بدل من الهمزة في(سأل)، والياء في(سيل) بدل من الهمزة في(سئل)، لوجود الكسرة قبلها^٣، كذلك الأمر في(سولوا) الواو بدل من الهمزة، لانضمام ما قبلها، أما على الوجه الآخر، فإن الإبدال وقع في كلمة(سئلوا) إلى (سولوا) لكون الهمزة مكسورة بعد ضم.

● الماوان: في قوله تعالى: ﴿فَأَلْنَقَىٰ الْمَاءَ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدِّدَرٍ ۗ﴾.

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن أيضاً : الماوان . وقال الزمخشري : وقرأ الحسن ماوان ، بقلب الهمزة واواً ، كقولهم : علباوان . انتهى . شبه الهمزة التي هي بدل من هاء في الماء بهمزة الإلحاق في علبا . وعن الحسن أيضاً : المايان ، بقلب الهمزة ياء ، وفي كلتا القراءتين شذوذ"^٥.

(١) البحر المحيط ج٧/٢١٣.

(٢) إعراب القراءة الشواذ للعكبري ج٢/٣٠٤.

(٣) (سيل)قراءة شاذة منسوبة إلى عبد الوارث عن أبي عمرو والأعمش. البحر المحيط ج٧/٢١٣، وقد أشار إليها العكبري، فقال: " قوله تعالى:(ثم سئلوا...)..ويقرأ بكسر السين وياء ساكنة مكان الهمزة؛ لأنه أبدل الهمزة ياءً لانكسارها، ثم أبدل من ضمة السين كسرةً، فصار مثل قيل " أ.هـ إعراب القراءات الشواذ ج٢/٣٠٤.

(٤) الآية رقم ١٢ من سورة القمر.

(٥) البحر المحيط ج٨/١٧٥.

وأصل (المأوان): (الماءن). يقول العكبري: " قوله تعالى: (الماء) يقرأ مهموزاً مثني أي ماء السماء، وماء الأرض، ويقرأ كذلك إلا أن الواو مكان الهمزة، وذلك على التخفيف"^١.

وعزا القرطبي (المأوان) إلى طيئ، حيث قال: " وفي بعض المصاحف (فالتقى المأوان)، وهي لغة طيئ"^٢.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن قراءة (المأوان) فضلا عن أنها فقدت شرط تواترها عن النبي ﷺ فهي كذلك مخالفة للرسم^٣.

(ب) قراءات خففت فيها الهمزة بالتسهيل (بين بين):

أورد أبو حيان في تفسيره بعض القراءات الشاذة التي تحمل تسهيل الهمزة (بين بين)، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً لغوياً:

● بيس: في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^٤.

قال أبو حيان: " وقرأ أهل المدينة: نافع، وأبو جعفر، وشيبة وغيرهما: بيس^٥ على وزن جيد"^٦. وأصل (بَيْسٍ): بئس، ثم خففت الهمزة. أشار إلى ذلك الأزهرى، فقال: " من قرأ (بَيْسٍ)، على (فَعْلٍ)، فالأصل (بئس)، فخففت همزتها"^١.

(١) إعراب القراءات الشواذ ج ٢/٥٢٨-٥٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠/٨٢.

(٣) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٤) الآية رقم ١٦٥ من سورة الأعراف.

(٥) هذه قراءة شاذة قرأ بها خارجة عن نافع. السبعة لابن مجاهد/٢٩٦، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ج ١/٢١٢، والأزهري وابن كثير، مختصر شواذ القرآن/٥٢، والمحتسب ج ١/٢٦٥، والحسن. المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٦) البحر المحيط ج ٤/٤١٠.

ويرى ابن جني أن (بَيْس) في وزن جَيْش، وطريق "صنعتة أنه أراد بَيْس، فخفف الهمزة فصارت بين بين، أي بين الهمزة والياء، فلما قاربت الياء ثقلت فيها الكسرة، فأسكنها طلباً للاستخفاف. فصارت في اللفظ ياءً، كما خففوا نحو صَيْدَ البعير، فقالوا: صَيْدَ، وإن كانت العين في صيد ياء محضة، وكانت في بَيْس همزة مخففة"^٣.

وذكر ابن جني أيضاً أن لها وجهاً آخر، وهو جواز "أن يكون أراد تخفيف بَيْس، فصارت بَيْس ثم أسكن تخفيفاً، كقولهم في: عَلِمَ: عَلِمَ، وفي: كَلِمَة: كَلِمَة، وفي: فَخَذ: فَخَذ، ومثال بَيْس على هذا قِيلَ"^٤.

• **خَطِيئِهِمْ:** في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾^٥.

ذكر أبو حيان في معرض تفسير هذه الآية الكريمة، نقلاً عن ابن عطية، أن داؤد بن أبي هند قرأ (من خَطِيئِهِمْ) بفتح الطاء وكسر الياء^٦، ثم احتج، أي أبو حيان، لهذه القراءة بقوله: "وينبغي أن يحمل كسر الياء على أنها همزة سهلت بين بين، فأشبهت الياء؛ لأن قياس تسهيلها هو ذلك"^٧.

وقد ذكر سيبويه في باب الهمز أن الهمزة إذا كانت "منكسرة وقبلها فتحة، صارت بين الهمزة والياء الساكنة، كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة"^٨.

-
- (١) معاني القراءات للأزهري ج ١/٤٢٨.
- (٢) ثم خلاف قائم بين البصريين والكوفيين في همزة بين بين متحركة أم ساكنة؟ فالبصريون يرون أنها متحركة، والكوفيون يرون أنها ساكنة، ولكل حجته. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري/٥٨٧-٥٨٨.
- (٣) المحتسب لابن جني ج ١/٢٦٦.
- (٤) المرجع السابق/الموضع نفسه.
- (٥) الآية رقم ١٢ من سورة العنكبوت.
- (٦) البحر المحيط ج ٧/١٣٩.
- (٧) المرجع السابق/الموضع نفسه.
- (٨) الكتاب لسبويه ج ٣/٥٤٢.

(ج) قراءات خفت فيها الهمزة بحذفها:

اشتمل عدد من القراءات الشاذة على تخفيف الهمزة بحذفها، وأورد أبو حيان عدداً منها وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً:

● فلاثم: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ سالم بن عبد الله فلا إثم عليه بوصل الألف، ووجهه أنه سهل الهمزة بين بين، فقربت بذلك من السكون، فحذفها تشبيهاً بالألف، ثم حذف الألف لسكونها وسكون التاء"^٢.

يقول ابن جني: "قراءة الجماعة: (فلا إثم عليه)، إلا أنه حذف الهمزة البتة، فالتقت ألف (لا) وئاء (الاثم) ساكنين، فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين، فصارت: (فلثم عليه)"^٣. وبناءً على هذا، فإن اختلاط كلمة (لا) مع كلمة (إثم) وصيرورتهما كأنهما كلمة واحدة أدى إلى التقاء الألف وهي ساكنة مع التاء وهي كذلك ساكنة، فحذفت الألف للتخفيف، أشار إلى ذلك العكبري، حيث قال: "حذف الهمزة لاختلاط الكلمتين، فلقيت الألف التاء ساكنةً فحذفت، ومثله (إنها لإحدى الكبرى)"^٤.

ومثل هذا التوجيه السابق ينطبق على قراءة:

- وءاتيتم إحداهن: في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن محيصن: بوصل ألف إحداهن، كما قرئ: إنها لإحدى الكبرى بوصل الألف، حذفت على جهة التحقيق كما قال:

وتسمع من تحت العجاج لها أزملاً

(١) الآية رقم ٢٠٣ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ٢/١٢٠.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/١٢٠.

(٤) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٢٤١.

(٥) الآية رقم ٢٠ من سورة النساء.

(٦) هذا عجز بيت صدره: (تضب لثات الخيل في حجراتها). ولم أقف على قائله، قال ابن جني: وأنشد أبو الحسن.

ينظر: الخصائص ج ٣/١٥١، والمحتسب ج ١/١٢٠.

وقال^١ :

إن لم أقاتل فالبسوني برقعا^٢.

● أن ارضعيه: في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾^٣.

قال أبو حيان " وقرأ عمرو بن عبد الواحد ، وعمر بن عبد العزيز : أن ارضعيه ، بكسر النون بعد حذف الهمزة على غير قياس ، لأن القياس فيه نقل حركة الهمزة ، وهي الفتحة ، إلى النون ، كقراءة ورش^٤ .

وقال ابن عطية: " وقرأ عمرو بن عبد الواحد أن ارضعيه بكسر النون وذلك على حذف الهمزة عَطْماً لا تَخْفِيفاً. والتخفيف القياسي فتح النون. قاله ابن جني: ونسب المهدوي هذه القراءة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه^٥ .

ويقول العكبري معللاً لهذه القراءة: " قوله تعالى (أن ارضعيه)، يقرأ بكسر النون من غير همز، وينبغي أن يكون حذف الهمزة حذفاً، وكسر النون لالتقاء الساكنين، ولا يجوز أن يكون ألقى حركة الهمزة على النون، إذ لو كان كذلك لفتح النون بفتح الهمزة، ويحتمل أن يكون ألقى الحركة ولكنه أبدل من الفتحة كسرة اتباعاً لكسرة الضاد^٦ .

ومما سبق تجدر الإشارة إلى ما يأتي:

-
- (١) لم أقف على قائله، ولكن ذكره ابن جني في المحتسب ج١/١٢٠، والخصائص ج٣/١٥١.
 - (٢) البحر المحيط ج٣/٢١٥.
 - (٣) الآية رقم ٧ من سورة القصص.
 - (٤) البحر المحيط ج٧/١٠٠.
 - (٥) المحرر الوجيز ج٤/٢٧٧.
 - (٦) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٢٥٠-٢٥١.

١- أن حذف الهمزة فيما سبق من أجل التخفيف، فحذف الهمزة في نحو ما ذكر " لغة تحذف على جهة التخفيف"^١.

٢- أن حذف الهمزة ليس قياساً، وقد ذكر ذلك أبو حيان، فقال: " حذف الهمزة على غير قياس"^٢؛ ولذا وصف ابن جني حذف الهمزة في نحو ما ذكر تارة بأنه " حذف صريح واعتباط مريح"^٣، وتارة بأنه " حذف على غير قياس"^٤، وتارة بقوله: " وهو ضعيف القياس، والشعر أولى به من القرآن"^٥، وأخرى بأنه " حذف اعتباطي"^٦.

٢- اجتماع الهمزتين:

ثبت بما لا يدع مجالاً للشك-فيما سبق- أن النطق بهمزة مفردة صعب ومستثقل؛ لذا مالت بعض اللهجات العربية إلى تخفيف الهمزة بأحد أنواعها المذكورة آنفاً، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للهمزة المفردة، فلا ريب أن اجتماع الهمزتين أصعب وأثقل؛ لذا مالت بعض لهجات العرب إلى تخفيفها. أشار إلى ذلك سيوييه، فقال: " وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين؛ لأنه لو لم تكن إلا واحدة لخفت"^٧. وإلى ذلك أشار ابن يعيش أيضاً فقال: " مال أهل الحجاز إلى تخفيفها-أي الهمزة المفردة-وإذا كان ذلك في الهمزة الواحدة، فإذا اجتمعت همزتان ازداد الثقل، ووجب التخفيف، فإذا كانتا في كلمة واحدة كان الثقل أبلغ"^٨.

(١) المحرر الوجيز ج ٢/٢٩.

(٢) البحر المحيط ج ٧/١٠٠.

(٣) المحتسب ج ١/١٨٤.

(٤) المرجع السابق/٢٧٣.

(٥) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٦) المرجع السابق ج ٢/١٤٧.

(٧) الكتاب لسيوييه ج ٣/٥٥٠.

(٨) شرح المفصل ج ٩/١١٦.

واجتماع الهمزتين إما في كلمة أو كلمتين، فإذا اجتمعتا في كلمة واحدة، " فإما أن تتحرك الأولى فقط، أو تتحرك الثانية فقط، أو تتحركا معاً، وسكونهما معاً لا يجوز، فإن تحركت الأولى فقط، دبرت الثانية بحركة الأولى: أي قلبت واواً إن انضمت الأولى كأوتمن، وياء إن انكسرت كإيت، وألفاً إن انفتحت كآمن، وإنما قلبت الثانية؛ لأن الثقل منها حصل... وإن سكنت الأولى وتحركت الثانية، فإن كان ذلك في صيغة موضوعة على التضعيف كسؤال، وسؤال، وجب الإدغام محافظة على وضع الصيغة، ولا يكون ذلك إلا إذا اتصلت الأولى بالفاء، وذلك أن الهمزة ثقيلة. ولا سيما ما ضُغِفَ منها، فإذا وليت الأولى أول الكلمة خفت... فإن تحركتا قلبت الثانية وجوباً"^١.

وذكر مكّي بن أبي طالب صور تخفيف الهمزة المفردة، وأشار إلى استئصال العرب لها، وأنه إذا "انضاف إلى ذلك تكريرها، كان أثقل كثيراً عليهم، فاستعملوا في تكرير الهمزة من كلمتين التخفيف للأولى، والتخفيف للثانية، والحذف للثانية، والحذف للأولى"^٢.

وقد أورد أبو حيان في بحره المحيط عدداً من القراءات الشاذة التي اشتملت على تخفيف الهمزتين المجتمعتين في كلمة، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

أ- حذف همزة الاستفهام:

● أنذرتهم: في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ الزهري، وابن محيصن: أنذرتهم بهمزة واحدة، حذف الهمزة الأولى لدلالة المعنى عليها"^٤.

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرض ج ٣/٥٣-٥٨.

(٢) الكشف لمكي بن أبي طالب ج ١/٧٢.

(٣) الآية رقم ٦ من سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط ج ١/١٧٥.

ويذكر ابن جني هذه القراءة، ثم يعلل لها بقوله: " هذا مما لا بد فيه أن يكون تقديره: (أأندرتهم)، ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفاً لكرهية الهمزتين، ولأن قوله: (سواء عليهم) لا بد أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولجيء أم من بعد ذلك أيضاً، وقد حذفت هذه الهمزة في غير موضع من هذا الضرب.

قال:

فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ أتوني فقالوا: من ربيعة أم مضر؟^١

فيمن قال: أم؛ أي أمن ربيعة أم مضر؟^٢.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن حذف الهمزة من (أأندرتهم) ليس بقياس؛ "ذلك أن الحرف نائب عن الفعل وفاعله، ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت (ما) عن (أنفي)، كما نابت (إلا) عن (استثني)، وكما نابت الهمزة و(هل) عن (أستفهم)، وكما نابت حروف العطف عن (أعطف)، ونحو ذلك، فلو ذهبت تحذف الحرف، لكان ذلك اختصاراً، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه، جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه"^٣.

وبناء على ما سبق يتضح أن الهمزة حذفت تخفيفاً من الثقل الناشئ عن التقاء همزتين، وعلى الرغم من حذفها، فقد وجدت عدة أمور تدل عليها، تمثلت فيما يأتي:

الأول: تقدم (سواء)، فإنها تقتضي شيئين فصاعداً^٤.

والثاني: (أم) وهي مقابلة لهمزة الاستفهام^١.

(١) هذا البيت من قصيدة لعمران بن حطان، يقولها في قوم من الأزد نزل بهم، متنكراً ويشكر صنيعهم، والبيت المذكور

في المحتسب ج ٥٠/١، والخصائص ج ٢٨١/٢.

(٢) المحتسب لابن جني ج ٥٠/١.

(٣) المحتسب لابن جني ج ٥١/١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ١١٥/١.

والثالث: كثرة حذفها^٢، وكثرة حذف الهمزة كان عاملاً قوياً مؤدياً إلى حذفها، ودليلاً قاطعاً

على أنها مرادة، ومما يدل على كثرة حذفها أنهم قالوا في قول الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ

أَنْ عَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^٣؛ أراد^٤: أو تلك نعمة؟^٥.

وقول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإن كنتُ دارياً شعيتُ ابن سهم أم شعيتُ ابن منقر؟^٦

(ب) تحقيق الهمزة الأولى وتليين الثانية:

* آهاكم: في قوله تعالى: ﴿الْهَٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾^٧.

قال أبو حيان: "وابن عباس وعائشة ومعاوية وأبو عمران الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار

وأبو الجوزاء وجماعة-أي قرءوا- بالمد على الاستفهام .."^٨.

(١) المرجع السابق/الموضع نفسه، والبحر المحيط ج١/١٧٥، والقراءات الشاذة مقدمات بكتاب البدور الزاهرة للشيخ/عبد

الفتاح القاضي/٥١٩.

(٢) المحتسب ج١/٥٠.

(٣) الآية رقم ٢٢ من سورة الشعراء.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨/١٨.

(٥) المحتسب ج١/٥٠.

(٦) هذا البيت منسوب إلى الأسود بن يعفر التميمي، والمراد بشعيت: حي من تميم، ثم من بني منقر، والمعنى: أنه جعل

قوم شعيت أدياء، وشك في كونهم من منقر أو من بني سهم، وسهم حي من قيس. والبيت مذكور في الكتاب

ج٣/١٧٥، والمحتسب ج١/٥٠.

(٧) الآية رقم ١ من سورة التكاثر.

(٨) البحر المحيط ج٨/٥٠٦.

وذكر ابن خالويه هذه القراءة، وعلل لها، فقال: "ومن قرأ (أهاكم) على قراءة ابن عباس، أدخل الألف توبيخاً على لفظ الاستفهام، فلما التقت همزتان همزة التوبيخ وهمزة القطع، لينوا الثانية، كقوله عز وجل^١: (أنذرهم)^٢، وإلى هذا ذهب أبو حيان، فقال: "ومعنى الاستفهام: التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم"^٣.

(١) الآية رقم ٦ من سورة البقرة.

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ج ٢/٥٢٤، وينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم له/١٧٨.

(٣) البحر المحيط ج ٨/٥٠٦.

المبحث الثاني

الإبدال بين الصوامت

تعريف الإبدال في اللغة:

الإبدال في اللغة: مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه^١، والأصل فيه: جعل شيء مكان شيء آخر^٢.

ويعرف الإبدال عند الصرفيين بأنه "جعل حرف مكان آخر مطلقاً"^٣.

وعند اللغويين بأنه "جعل حرف مكان آخر، أو حركة مكان أخرى"^٤.

ويلاحظ من تعريف اللغويين أنه أوسع مما ذكره الصرفيون وأشمل؛ وأن هناك فروقا بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي:

١- فالإبدال الصرفي له قواعد منضبطة ثابتة، كما أنه مطرد مقيس مثل إبدال الواو أو الياء همزة في اسم الفاعل: نحو: قائل، وبائع.

أما الإبدال اللغوي فهو سماعي لا ينقاس ولا يطرد.

٢- الإبدال الصرفي: ضروري في الاستعمال؛ فالإبدال واجب في مثل: قائل، وسماء، فلا بد أن يقال: قائل، وسماء.

أما الإبدال اللغوي فليس ضروريا، وإنما هو للتوسع، أو الميل إلى اليسر والسهولة.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ج١/٢١٠، والقاموس المحيط ج٣/٣٢٢-٣٢٣.

(٢) لسان العرب ج١/٣٤٤، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري/٢٣٧.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية ج٤/٣٩١، وشرح التصريح

على التوضيح ج٢/٦٨٩، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ج٣/١٩٧.

(٤) اللهجات العربية نشأة وتطورا للدكتور عبد الغفار حامد هلال/١٢٠.

٣- الإبدال الصرفي لا يجوز فيه استعمال الصيغة الأصلية مثل: قائل قال، وإنما يقال: قائل- كما مر- فالصيغة الأولى لا تستعمل؛ لأنه لا وجود لها في اللغة، وإنما يؤتى بها للتوضيح والتعليم.

أما الإبدال اللغوي فالصيغتان تستعملان، كأن ينطق العرب بالذال أو الثاء، مثل: جذا، وجثا.

٤- الإبدال الصرفي يقع في حروف محددة.

أما الإبدال اللغوي، فليس له حروف محصورة؛ لأنه سماعي، واللغة كلها مجال له^١.

وقد تناولت القراءات الشاذة كثيراً من الحروف التي وقع الإبدال بينها، وأورد أبو حيان في بحره المحيط عدداً منها، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

إبدال الهمزة هاءً:

الهمزة والهاء صوتان صامتان، يخرجان من أقصى الحلق- عند علمائنا القدامى- ومن الحنجرة عند المحدثين^٢، ويشتركان في صفة الاستفال، والانفتاح، والإصمات، والترقيق^٣.

وهذه العلاقة الصوتية-الكامنة بين الصوتين من خلال اشتراكهما في المخرج وبعض الصفات- كان لها أكبر الأثر في تبادل الصوتين في لهجات العرب، أشار إلى ذلك سيبويه

(١) فقه اللغة مفهومه-موضوعاته-قضاياها تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١٤٢٦هـ، ١٠٥/٢٤٠-٢٤١.

(٢) لا خلاف بين القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الهمزة وإنما الاختلاف ناتج من علمائنا القدامى من ناحية التعبير الدقيق عن حيز الهمزة، وقد جبر ابن سينا في أسباب حدوث الحرف/٧٢، ما فات القدامى من دقة التعبير حيث أشار ابن سينا إلى حيزها(الحنجرة)، وبهذا يكون المحدثون مسبوقين بتحديد الحنجرة مخرجا للهمزة. العين للتحليل ج١/٥١، والكتاب لسيبويه ج٤/٤٣٣، والمقتضب للمبرد ج١/٣٢٨، وشرح المفصل ج١٠/١٢٣.

(٣) علم اللغة العام د/كمال بشر/٩٠.

حيث ذكر أن الهاء " وقد أبدلت من الهمزة في هَرَقْتُ، وهَمَرْتُ، وهَرَحْتُ الفرس، أرحت.. ويقال: إياك وهياك"^١.

وقد عزي إبدال الهمزة هاءً إلى لغة طييء، أشار إلى ذلك الزمخشري، حيث قال عن الهاء: " والهاء أبدلت من الهمزة والألف والياء والتاء، فإبدالها من الهمزة في هرقت الماء، وهرحت الدابة، وهنرت الثوب، وهردت الشيء عن اللحياني، وهياك، ولهنك، وهما والله لقد كان كذا وهن فعلت فعلت في لغة طييء، وفيما أنشدني أبو الحسن:

وأنى صواحبتها فقلن هذا الذي منح المودة غيرنا وجفانا^٢

يريد:أذا الذي"^٣.

ولم يقتصر إبدال الهمزة هاءً على طييء فقط، وإنما عزي كذلك إلى مضر، وإلى قبائل اليمن، فقد نقل ابن منظور عن اللحياني أن " هراق الماء، لغة يمانية، ثم فشنت في مضر"^٤.

وهذه اللغة قد سجلتها القراءات الشاذة، فقد قرئ:

● هِيَا: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^٥.

قال أبو حيان: " وبإبدال الهمزة المكسورة هاءً...وبذلك قرأ ابن السوار الغنوي"^٦.

(١) الكتاب لسبويه ج٤/٢٣٨.

(٢) لم أقف على قائله، وهو موجود في سر صناعة الإعراب ج٢/٥٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش ج١٠/٤٣، ولسان العرب م(ها).

(٣) المفصل للزمخشري/٣٦٩.

(٤) لسان العرب ج١٠/١٣٥ م(ريق)، وتاج العروس ج٢٥/٣٨٦ م(ريق).

(٥) الآية رقم ٥ من سورة الفاتحة.

(٦) البحر المحيط ج١/١٤٠.

وقد علل العكبري لإبدال الهمزة هاء في (هياك) وغيرها بقوله: "الوجه فيه أن مخرج الهاء والهمزة متقاربان، والهاء أخف من الهمزة، فعدلوا إلى الأخف"^١.

وإبدال الهمزة هاء لغة، قال الأخفش: "ومن العرب من يقول: (هَيَّاك) ب(الهاء) يجعل الألف من (إياك) هاءً، فيقول: (هَيَّاك نعبد)؛ كما تقول: (إيه) و(هيه)؛ وكما تقول: (هرقت) و(أرقت)"^٢.

ويذكر مكِّي بن أبي طالب أن إبدال الهمزة لغة قليلة، أكثر ما تقع في الشعر"^٣.

وقد خالف مكِّي بن أبي طالب في هذا كثيرٌ من علماء اللغة، ولا أدري بأي وجه وصف هذه اللغة بالقلية، وقصرها على الشعر، مع أن كثيراً من علماء اللغة ممن سبقوا مكياً، ومن أتوا بعده، أشاروا إلى ورودها في النثر والنظم بكثرة إلى الحد الذي جعل العكبري، يقول: "وإبدال الهمزة هاءً كثير في لغتهم"^٤، وجعل الشوكاني -أيضاً يقول: "وهي لغة مشهورة"^٥.

إبدال الحاء عيناً:

العين والحاء صوتان حلقيان^٦، ويشتركان في كثير من الصفات، كالاستفال، والانفتاح والإصمات^٧، وهذه العلاقة الصوتية سوغت وقوع الإبدال بينهما. أشار إلى ذلك ابن جني،

(١) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٩٤-٩٥.

(٢) معاني القرآن للأخفش/١٨.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات/١٢٤.

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني ج ٢/٥٥١-٥٥٤.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٩٤.

(٦) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٧) فتح القدير للشوكاني ج ١/٨٩.

(٨) يخرجان من أوسط الحلق. الكتاب لسيبويه ج ٤/٤٣٣، وسر الصناعة ج ١/٤٧، والفصول في العربية لأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي (ت ٥٦٩هـ/١٥٦).

(٩) الكتاب لسيبويه ج ٤/٤٣٦، وسر الصناعة ج ١/٦١، والفصول/١٥٨-١٦٠.

حيث ذكر أن "العرب تُبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُخِثِرَ ما في القبور، أي بعثر.. فعلى هذا يكون عتّى وحتّى"¹

وإبدال الحاء عينا ورد وقوعه في لهجات العرب، واشتملت عليه القراءات الشاذة، وأورد ذلك أبو حيان في كتابه (البحر المحيط)، فمن ذلك مثلا:

• عتّى: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾².

قال أبو حيان: "وقرأ ابن مسعود: عتّى بإبدال حاء حتى عينا، وهي لغة هذيل. وأقرأ بذلك، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره أن يقرئ الناس بلغة قريش (حتى) لا بلغة هذيل"³.

وذكر ابن جني قراءة (عتّى) بالعين، وأشار إلى أن المسوغ لوقوع الإبدال بينهما هو تقاربهما في المخرج، وذكر أيضا أن التبادل وقع بينهما في ألفاظ أخرى "كقولهم: بُخِثِرَ ما في القبور، أي بعثر، وضبعت الخيل، أي ضبحت، وهو يُخْطِي وَيُعْطِي: إذا جاء بالكلام الفاحش"⁴.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن إبدال الحاء عينا مثل ظاهرة لهجية عرفت ب(الفحفة)⁵، وعُزيت إلى هذيل. أشار إلى ذلك السيوطي، فقال: "الفحفة في لغة هذيل، يجعلون الحاء عينا"⁶، وعزيت كذلك إلى ثقيف، قال ابن منظور: "وعتّى: بمعنى حتى، هذليّة وثقيفة"⁷.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن د/إبراهيم أنيس يرى أن الرواية الواردة عن عمر في نهي ابن مسعود عن إقراء الناس (عتّى) "بعيدة الاحتمال، لأنها تناقض التيسير في القراءات القرآنية،

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٣٤٣.

(٢) الآية رقم ٣٥ من سورة يوسف.

(٣) البحر المحيط ج ٥/٣٠٧.

(٤) المحتسب لابن جني ج ١/٣٤٣.

(٥) الفحفة: تردّد الصوت في الحلق شبيه بالبحّة. لسان العرب ج ٣/٣٧٣ م (فحج). والبحّة: غلظ في الصوت وخشونة. لسان العرب ج ٣/٢٢٨ م (بحج).

(٦) المزهر في علوم العربية وأنواعها للسيوطي ج ١/٢٢٢.

(٧) لسان العرب ج ١٩/٢٥٣ م (عتّا).

كما تخالف ما رمى إليه الحديث الشريف "أنزل القرآن على سبعة أحرف"^١، إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون، وما تميل إليه ألسنتهم، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم كلهجة هذيل في هذه القراءة"^٢.

وتتصل بإبدال العين ظاهرة لهجية تسمى (الاستنطاء)، وهي عبارة عن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء^٣، كأنطى في أعطى.

وقد نسبت إلى سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار^٤، ونسبت كذلك إلى العرب العاربة^٥، وإلى بني تميم^٦، وأهل اليمن^٧.

وهذا النوع من الإبدال قد سجلته القراءات الشاذة، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً:

● أنطيناك: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^٨.

قال أبو حيان: "والحسن، وطلحة، وابن محيصن، والزعفراني-أي قرؤوا- : أنطيناك بالنون"^٩.

(١) سبق توثيق هذا الحديث.

(٢) في اللهجات العربية د/إبراهيم أنيس/٩٥.

(٣) المزهري للسيوطي ج ١/٢٢٢.

(٤) المرجع السابق ج ١/٢٢٢، والاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي/٤٢٦.

(٥) البحر المحيط ج ٨/٥٢٠.

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ج ٨/٤٠٣.

(٧) المرجع السابق/الموضع نفسه، والصحاح للجوهري ج ٦/٣٢٦.

(٨) الآية رقم ١ من سورة الكوثر.

(٩) البحر المحيط ج ٨/٥٢٠.

وقد ذكر ابن خالويه قراءة (أنطيناك)، واحتج لها، فقال: "(وأعطي) فعل ماض: وفيه لغة أخرى(أنطيناك)، وقد قرأ بذلك رسول الله ﷺ، تقول العرب: أعطني وأنطني"^٢.

وإبدال العين نوناً ورد كثيراً في أحاديث رسول الله ﷺ، من ذلك:

- حديث الدعاء: "اللهم لا مانع لما أنطيت، ولا منطي لما منعت"^٣.

- وحديث: "اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة"^٤.

وورد كذلك إبدال العين نوناً في الشعر، من ذلك ما أنشده ثعلب:

مِنَ الْمُنْطِيَاتِ الْمَوْكَبِ الْمَعَجِ بَعْدَمَا يُرَى فِي فُرُوعِ الْمُقْلَتَيْنِ نُضُوبٌ^٥

(١) عقب الشهاب في حاشيته على أبي حيان في نسبه القراءة إلى سول الله ﷺ، قائلاً: "ولا حاجة إلى قوله في البحر رويت عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، لأن كل قراءة كذلك". أ.هـ ج ٨/٤٠٣، وذكر د/أحمد علي الخطيب أن مفهوم نسبة القراءة إلى النبي ﷺ هو "أن القراءة وردت بنص حديث مروي، والشهاب نفسه كان قد ذهب فيها هذا المذهب من قبل، فردُّ الشهاب ليس برد". معجم القراءات ج ١/٦١٣. ولعل ما ذكره د/الخطيب يمكن أن يكون مفهوماً عاماً على القراءات جميعها متواترها وشاذها، بأن نسبة القراءة فيها إلى النبي ﷺ فيها إشارة إلى أن القراءة وردت بنص مروي.

وتنفرد النسبة في القراءة الشاذة بشيء آخر وهو أنها مروي عن رسول الله ﷺ ولكنها نسخت، فليست هي وليدة التصحيف، أو الوضع، أو من ما حدث من ابن شنبوذ، وابن مقسم، أو غير ذلك.

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه/٢٢٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير(٥٤٤هـ-٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ج ٥/٧٦، والحديث مروي بالعين في صحيح البخاري ج ١/١٦٨، في باب الذكر بعد الصلاة، وفي صحيح مسلم ج ٢/٩٥، في باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٤/٣٢٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٣/٣٤٢، بلفظ "فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وإن مال الله لمسؤول ومنطي".

(٥) لسان العرب ج ٢٠٠/٢٠٦ م(نطا).

ويلاحظ من خلال هذه الأمثلة المذكورة آنفاً أن إبدال العين نوناً ليس إلا في مادة (الإعطاء) ومشتقاتها فقط، ففي لغة العرب كلمات كثيرة جاورت فيها العين الطاء، ومع ذلك لم يرد فيها إبدال العين نوناً، وذلك مثل: يعطب، معطير، ويعطس، ويعطش، ويعطل، ويعطن، وأعطب، وأعطر.. وغيرها.

ويرى د/إبراهيم أنيس أن ما ورد ليس جعل النون بدلاً من العين، إنما هو أمر متعلق بنطق صوت العين، " فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقاً أنفياً، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست في الحقيقة نونا، بل هي (عين) أنفية، وعلى هذا فيمكن أن يقال: إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل (أعطى) فأشككت عليهم، ولم يصفوها لنا على حقيقتها".^١

وما ذكره د/إبراهيم أنيس فيه اتهام صريح للرواة القدامى، دون دليل يستند إليه، فهذا النطق بالنون (أنطى) قد ورد في القراءات القرآنية، ونطق به رسول الله ﷺ، وعلى هذا فإن الرواة قد (وصفوا ما سمعوه)^٢.

(١) في اللهجات العربية، د/إبراهيم أنيس/١٢٣-١٢٤.

(٢) اللهجات العربية نشأة وتطورا، د/عبد الغفار هلال/١٨٦.

المبحث الثالث:

المماثلة الصوتية بين الصوامت

تمهيد:

عرفت المماثلة الصوتية لدى القدامى بالمضارعة^١، ولدى المحدثين بالمماثلة^٢.

والمماثلة في لغة العرب: مصدر مائل يماثل مماثلة، يقال: ماثلته مماثلة: إذا شابهه^٣.

وفي اصطلاح اللغويين يراد بها: "التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى"^٤، أو هي "تحول الفونيمات"^٥ المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً^٦.

والصوت الذي يراد مماثلته قد يكون سابقاً أو لاحقاً، لذا، فالمماثلة نوعان:

الأول: رجعية: وهي التي يتأثر فيها الصوت السابق بالصوت اللاحق، ومثالها: "تغيير الياء والواو إلى تاء إذا وقعتا فاءً لافتعل، مثل: اتّسر، واتّعد"^٧، وغير ذلك.

الثاني: تقدّمية: وهي التي يتأثر فيها الصوت اللاحق بالصوت السابق، مثل: اصطبر ونظائرهما^٨.

(١) الكتاب لسيبويه ج ٤/٤٧٧-٤٧٨، ولسان العرب ج ٩/١٨٥-١٨٦ م (سرط)، ويسمى بعضها بعضهم (التقريب)، كالمبرد، حيث قال: " وإنما تقلب-أي السين-للتقريب مما بعدها". أ.هـ المقتضب ج ١/٣٦٠، وكابن جني، حيث قال: " ونحو من هذا التقريب في الصوت". أ.هـ سر الصناعة ج ١/١٨٦.

(٢) ويطلق عليها أيضا الانسجام الصوتي، أو المشابهة. ينظر: الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس/١٧٨.

(٣) المصباح المنير للفيومي ج ١/١٠٧.

(٤) دراسة الصوت اللغوي د/أحمد مختار عمر/٣٧٨.

(٥) الفونيمات جمع فونيم، وهو مصطلح فرنسي يراد به: الوحدة الصوتية. دراسة الصوت اللغوي/١٦٩.

(٦) دراسة الصوت اللغوي/٣٧٨.

(٧) دراسة الصوت اللغوي/٣٧٩.

(٨) المرجع السابق/الموضع نفسه.

والمماثلة الصوتية تكون جزئية، وذلك " حين لا يتطابق الصوت مع الآخر، مثل انبعث التي تنطق النون فيها ميماً تحت تأثير الباء الشفوية(فنتيجة ن+ب هي م+ب وليس ب+ب، وتكون كلية حين يتطابق الصوتان"^١.

وانسجام الأصوات بعضها ببعض بالمماثلة الصوتية ورد وقوعه في لغة العرب، فقد ذكر سيبويه أن السين " تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُفْتُ، وصَبَّفْتُ. وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى"^٢.

وقد ورد في القراءات الشاذة أمثلة من المماثلة الصوتية الواردة عن العرب، وذكر أبو حيان في البحر المحيط عدداً منها، يمكن فيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● الزرط: في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٣.

قال أبو حيان: " وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قرأها بزاي خالصة . قال بعض اللغويين : ما حكاها الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه، إنما سمع أبا عمرو يقرأها بالمضارعة فتوهمها زايًا، ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمن على هذا"^٤.

ويذكر أبو علي الفارسي أن من قرأ(الصرط) بالزاي يقول: " أبدلتُ منها حرفاً مجهوراً حتى يشبه الطاء في الجهر، ورمتُ الحفنة، ويحتج بقول العرب: صقر، وسقر، وزقر"^٥.

(١) دراسة الصوت اللغوي/٣٧٩.

(٢) الكتاب لسيبويه ج٤/٤٧٩.

(٣) الآية رقم ٦ من سورة الفاتحة.

(٤) البحر المحيط ج١/١٤٣.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ج١/٥٠.

وجدير بالذكر هنا أن النطق بالزاي الخالصة (الزراط) لغة، عزيت إلى بني عذرة، وبني كلب، وبني القين^١، ولا غرابة في هذا العزو؛ لأنها قبائل بدوية^٢ تؤثر الصوت المجهور^٣.

وعلى الرغم مما سبق في ابن السراج يقول: "وأما الزاي فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايًا^٤"، ويقول أبو حاتم: "ليست الزاي الخالصة بمعروفة"^٥.

وعلى أية حال فإن القراءة الشاذة (الزراط) وإن كانت قد شذت من جانب الرواية والسند، إلا أنها صورت نطقاً عربياً كان موجوداً لدى بعض القبائل العربية، مشتملاً على المماثلة الصوتية بين بعض الصوامت العربية.

وهذا التوجيه الصوتي السابق ينطبق على قراءة:

• صلِقوكم: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ جِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى

الْخَيْرِ﴾^٦.

قال أبو حيان: "وابن أبي عبله-أي وقرأ: بالصاد"^٦.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٢٢٨، وفتح القدير للشوكاني ج ١/٩١.

(٢) اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية د/صالحة راشد غنيم آل غنيم، ط ١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥، دار المدني/٢٤٩.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ج ١/٥١.

(٤) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٥) الآية رقم ١٩ من سورة الأحزاب.

(٦) البحر المحيط ج ٧/٢١٥.

وقد ذكر العكبري هذه القراءة، واحتج لها، فقال: "قوله تعالى: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ ، يقرأ بالصاد، وهو لغة"^١.

وذكر الفراء أن العرب تقول: "صلقوكم". ولا يجوز في القراءة لمخالفتها إياه"^٢.

● باصقات: في قوله تعالى: ﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْنَ نَضِيدٌ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وروى قطبة بن مالك ، عن النبي ﷺ، أنه قرأ : باصقات بالصاد ، وهي لغة لبني العنبر ، يبدلون من السين صاداً إذا وليتها ، أو فصل بحرف أو حرفين خاء، أو عين أو قاف، أو طاء"^٤.

قال أبو الفتح: "الأصل السين، وإنما الصاد بدل منها، لاستعلاء القاف"^٥.

ويذكر أبو البقاء العكبري هذه القراءة، ثم يحتج لها، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ يقرأ بالصاد، أبدلها من السين؛ لأنها تشاركها في الصغير، وهي أشبه بالقاف"^٦.

● بكثر: في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾^٧.

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور : بعثر بالعين مبنياً للمفعول . وقرأ عبد الله : بالحاء"^٨.

والملاحظ هنا أن قراءة(بكثر)، أصلها (بعثر)، قلبت العين حاءً، لتأثرها بالثاء التي بعدها، وذلك لاشتراكهما في صفة الهمس.

(١) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٣٠٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢/٣٣٩.

(٣) الآية رقم ١٠ من سورة ق.

(٤) البحر المحيط ج٨/١٢١-١٢٢.

(٥) المحتسب لابن جني ج٢/٢٨٣.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٥٠٦.

(٧) الآية رقم ٩ من سورة العاديات.

(٨) البحر المحيط ج٨/٥٠٢.

وعزي النطق بالحاء إلى بعض أعراب بني أسد، قال الفراء: "وسمعت بعض أعراب بني أسد،
وقراها فقال: (بحثر) وهما لغتان: بحثر، وبعثر".^١

(١) معاني القرآن للفراء ج ٣/٢٨٦.

المبحث الرابع:

الفك والإدغام

تمهيد:

تعريف الإدغام:

الإدغام في لغة العرب يطلق ويراد به: الإدخال، يقال: "أدغمت الفرسَ اللجامَ، أي أدخلته في فمه"^١، ويستعمل الإدغام أيضاً بمعنى: التغطية، يقال: "دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها إذا غشيها وقهرها"^٢.

وهذا الاستعمال اللغوي لكلمة الإدغام فيه إشارة إلى المراد به هنا، وهو "إدخال حرف في حرف آخر عند ما يتجاوران متماثلين أو متجانسين أو متقاربين، وإدماجهما بحيث يرتفع اللسان بهما ارتفاعاً واحدة"^٣.

وفي اصطلاح اللغويين يراد به: "أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعاً واحدة"^٤.

وعرّفه القراء كذلك بأنه عبارة عن "اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"^٥.

(١) العين للخليل ج ٤/٣٩٥، ومجمل اللغة لابن فارس/٣٢٨.

(٢) لسان العرب ج ١٥/٩٣ م (دغم).

(٣) أصوات اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/٣٢٧.

(٤) كتاب التكملة لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق د/كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، ط ٢، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م/٦١٤.

(٥) شرح طيبة النشر في القراءات العشر للجزري/٥٤.

أسباب الإدغام^١:

الأسباب التي تؤدي إلى الإدغام متمثلة فيما يأتي:

الأول: التماثل: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً وصفة، كالباء في الباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين^٢.

الثاني: التجانس: وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة، كالذال في التاء، والتاء في الظاء، والتاء في الدال^٣.

الثالث: التقارب: وهو أن يتقارب الحرفان مخرجاً أو صفة أو مخرجاً وصفة^٤.

شروط الإدغام^٥:

اشترط القراء لوقوع الإدغام شرطين:

الأول: أن يلتقي الحرفان خطأ ولفظاً، أو خطأ لا لفظاً، ليدخل نحو: (إنه هو) ويخرج نحو: (أنا نذير)^٦.

الثاني: أن يلي المدغم فيه حرف أو أكثر إن كانا من كلمة ليدخل نحو (خلقكم)، ويخرج نحو (نرزقك، وخلقك)^٧.

(١) النشر لابن الجزري ج ١/٢٢٣.

(٢) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٤) النشر لابن الجزري ج ١/٢٢٣.

(٥) تحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا ج ١/١١١.

(٦) النشر لابن الجزري ج ١/٢٢٢-٢٢٣.

(٧) المرجع السابق ج ١/٢٢٣.

موانع الإدغام^١:

ذكر القراء أنه قد توجد موانع تحول بين إدغام الحرفين المتماثلين، أو المتقاربين، أو المتجانسين، وهي متمثلة فيما يأتي:

١- إذا كان الأول من المتماثلين تاء متكلم، نحو: (كنت تراباً).

٢- إذا كان الأول من المتماثلين تاء المخاطب، نحو: (أفأنت تكره الناس).

٣- إذا كان الأول منونا، نحو: (واسع عليهم).

٤- إذا كان الأول مشدداً، نحو: (فتَمَّ ميقات ربه)^٢.

أنواع الإدغام:

ذكر ابن جني أن الإدغام نوعان، هما^٣:

الأول: الإدغام الأكبر: ويراد به الإدغام بين المثليين والمتقاربين والمتجانسين، سواء أكان الحرف الأول ساكناً أم متحركاً.

الثاني: الإدغام الأصغر: وعرفه ابن جني، بقوله: "وأما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادغام يكون هناك، وهو ضروب، من ذلك الإمالة"^٤.

وذكر القراء أن الإدغام قسمان، هما^٥:

(١) النشر لابن الجزري ج ١/٢٢٢-٢٢٣، والاتحاف ج ١/١١٢.

(٢) تقريب المعاني في شرح حرز المعاني لسيد لاشين أبي الفرج، ود/خالد بن محمد العلمي/٧٥-٧٦.

(٣) الخصائص لابن جني ج ٢/١٤١.

(٤) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٥) النشر لابن الجزري ج ١/٢٢٠.

الأول: الإدغام الأكبر^١: وهو ما كان أول الحرفين فيه محرراً سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين^٢، وهو نوعان:

١- في كلمة. ٢- في كلمتين^٣.

واشتهر بهذا القسم الإمام أبو عمرو بن العلاء^٤، قال الشاطبي:

ودونك الإدغام الكبير وقطبه أبو عمرو البصري فيه تحفلاً^٥
الثاني: الإدغام الصغير: وهو إذا كان الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً^٦، وهو على ثلاثة أنواع: واجب، وجائز، وممتنع^٧.

(١) سمي كبيراً لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين. ينظر: النشر ج ١/٢٢٠.

(٢) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٣) الاتحاف ج ١/١١٥.

(٤) النشر ج ١/٢٢٠. واشتهر أبي عمرو لا يعني أنه منفرد به، بل قد شاركه فيه غيره من القراء الفضلاء كالحسن البصري، وابن محيصن، والأعمش، ويعقوب الحضرمي. ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاصح العذري البغدادي (ت ٨٠١هـ/٤١)، والنشر لابن الجزري ج ١/٢٢٠.

(٥) متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيبي الأندلسي (٥٩٠هـ).

(٦) تقريب المعاني ٧٣/.

(٧) النشر ج ١/٢٢٠.

والفك والإدغام لغتان فصيحتان، نزل بهما القرآن الكريم. والفك هو الأصل^١، وعزي إلى البيئة الحجازية^٢، ولا غرابة في ذلك، لأنها بيئة^٣ استقرار وبيئة حضارة نسيباً، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها^٤.

وأما الإدغام فقد عُرف في القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها، ومعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفيف والسرعة في الكلام^٥.

وبعد هذا، فقد أفاض كثير من علمائنا المحدثين في الحديث عن الإدغام، وبيان أسبابه، وشروطه، وموانعه، وأنواعه، مما أغنى عن الإسهاب في ذكره هنا، وقد أورد أبو حيان في البحر المحيط من القراءات الشاذة المشتملة على الفك والإدغام، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: قراءات شاذة مشتملة على فك الإدغام:

● فتدارأتم: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادَّارَكْتُمْ فِيهَا﴾^٦.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو حيوة: فتدارأتم، على وزن تفاعلتهم، وهو الأصل^٧..".

وما ذكره أبو حيان أشار إليه العكبري، حيث قال: "قوله تعالى: (ادَّارَأْتُمْ) يقرأ (تدارأتم)، على الأصل، مثل: تخالفتهم^٨، وإلى ذلك ذهب ابن عطية^٩.

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ١٠/١٢٢.

(٢) الكتاب لسيبويه ج ٤/٤٧٣، والخصائص لابن جني ج ١/٢٦٠.

(٣) في اللهجات العربية د/إبراهيم أنيس/٦٣.

(٤) اللهجات العربية د/عبد الرأححي/١٣٣.

(٥) الآية رقم ٧٢ من سورة البقرة.

(٦) البحر المحيط ج ١/٤٢٤.

(٧) إعراب القراءات الشاذة ج ١/١٧٦.

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/١٦٥.

ويقول العكبري أيضا: "فادّارتم": أصل الكلمة تدارتم؛ ووزنه تفاعلتم؛ ثم أرادوا التخفيف فقلّبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة لتمكّن الإدغام، ثم سكّنوا الدال؛ إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنا فلم يمكن الابتداء بالساكن، فاجتئبت له همزة الوصل^١.

• يتطهّرن: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وفي مصحف أنس: ولا تقربوا النساء في محيضهن واعتزلوهن حتى يتطهرن. وينبغي أن يحمل هذا على التفسير لا على أنه قرآن لكثرة مخالفته السواد، ورجح الفارسي^٣: يطهرن، بالتخفيف إذ هو ثلاثي مضاد لطمثت، وهو ثلاثي. ورجح الطبري^٤ التشديد، وقال: هي بمعنى يغتسلن، لإجماع الجميع على أن حراما على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر. انتهى كلامه.

قيل: وقراءة التشديد معناها حتى يغتسلن، وقراءة التخفيف معناها ينقطع دمهن قاله الزمخشري^٥ وغيره.

وفي كتاب ابن عطية^٦: كل واحدة من القراءتين تحتل أن يراد بها الاغتسال بالماء، وأن يراد بها انقطاع الدم وزوال أذاه، قال: وما ذهب إليه الطبري من أن قراءة تشديد الطاء مضمناها الاغتسال، وقراءة التخفيف مضمناها انقطاع الدم أمر غير لازم، وكذلك ادعاؤه الإجماع، أما إنه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء... وجمهور العلماء إلى أن الطهر الذي يحل جماع الحائض التي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهور الجنب، ولا يجزي من ذلك تيمم ولا غيره، وقال يحيى بن بكير وابن القرظي: إذا طهرت الحائض وتيممت

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج ١/٧٨.

(٢) الآية رقم ٢٢٢ من سورة البقرة.

(٣) الحجة للقراء السبعة ج ٢/٣٢٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٣/٧٣٢.

(٥) الكشاف للزمخشري ج ١/٤٣٤.

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٢٩٨-٢٩٩.

حيث لا ماء حلت لزوجها وإن لم تغتسل. وقال مجاهد وعكرمة وطاووس: انقطاع الدم يجلها لزوجها ولكن أن تتوضأ^١.

ويذكر الفراء هذه القراءة، قائلاً: "وقوله: (حتى يطهرن) بالياء. وهي قراءة عبد الله إن شاء الله (يتطهرن) بالتاء"^٢، وإلى ذلك أشار كل من أبي زرعة^٣، وغيره^٤.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن كثيراً من علماء اللغة والتفسير^٥ احتجوا بالقراءة الشاذة (يتطهرن) على أن الزوجة لا يجل وطؤها إلا بعد تطهرها بالماء، لأن المعتبر هو التطهر لا الطهر الذي هو مجرد انقطاع الدم، قال مكي بن أبي طالب: "ويدل على قوة التشديد أن في حرف أبي وابن مسعود (حتى يتطهرن) بياء وتاء. وهذا يدل على التطهر بالماء، ويدل على إدغام التاء في الطاء"^٦.

ومن ثم فإن في القراءة الشاذة ما يخدم المعنى ويوضح الحكم.

● **تنلظي:** في قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^٧.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن الزبير وزيد بن عليّ وطلحة وسفيان بن عيينة وعبيد بن عمير: تنلظي بتاءين"^٨.

(١) البحر المحيط ج ٢/١٧٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ١/١٤٣.

(٣) حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة/١٣٥.

(٤) الكشف لمكي ج ١/٢٩٤، وفتح القدير للشوكاني ج ١/٣٩٥.

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة/١٣٥، والكشف لمكي ج ١/٢٩٤، وفتح القدير ج ١/٣٩٥.

(٦) أي قراءة ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ وهي منسوبة إلى عاصم في رواية أبي بكر والمفضل، وحمة والكسائي. ينظر: السبعة لابن مجاهد/١٨٢.

(٧) الكشف لمكي ج ١/٢٩٤.

(٨) الآية رقم ١٤ من سورة الليل.

(٩) البحر المحيط ج ٨/٤٧٨.

ويذكر الفراء أن عمرو بن دينار، قال: "فاتت عبید بن عمیر ركعة من المغرب، فقام يقضيها فسمعته يقرأ: (فأندرتكم ناراً تتلظى): قال الفراء: ورأيتها في مصحف عبد الله: (تتلظى) بتاءين"¹.

ويشير أبو جعفر النحاس إلى هذه القراءة، فيقول: "وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبید بن عمیر أنه قرأ (تتلظى)"².

ثانياً: قراءات شاذة مشتملة على الإدغام:

● **يَخْطَفُ:** في قوله تعالى ﴿يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾³.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن أيضاً ، والجحدري ، وابن أبي إسحق : يَخْطَفُ ، بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء المكسورة ٤ ، وأصله يَخْتَفِ"٥ ، قال أبو الفتح: "أصله: يَخْتَفِ، فآثر إدغام التاء في الطاء، لأنهما من مخرج واحد، ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتاً من المهموس، ومتى كان الإدغام يُقَوِّي الحرف المدغم، حسن ذلك. وعلته أن الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوي لقوته، فكان في ذلك تدارك وتلاف لما جُني على الحرف المدغم فأسكن التاء لإدغامها والخاء قبلها ساكنة، فنقلت الحركة إليها، وقلبت التاء طاءً وأدغمت في الطاء، فصارت (يَخْطَفُ)"٦، وإلى ذلك أشار كل من أبي حيان، وابن منظور⁷.

(١) معاني القرآن للفراء ج ٣/٢٧١-٢٧٢.

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق د/زهير غازي زاهد ج ٥/٢٤٣.

(٣) الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى الأعمش. مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه/١١، وإلى الحسن. إعراب القرآن للنحاس

ج ١/١٩٥، والكشاف للزمخشري ج ١/٢٠٧، وإلى الجحدري وابن أبي إسحاق. البحر. ج ١/٢٢٧.

(٥) البحر المحيط ج ١/٢٢٧.

(٦) المحتسب لابن جني ج ١/٥٩.

(٧) البحر المحيط ج ١/٢٢٨، ولسان العرب لابن منظور ج ١٠/٤٢٣ م (خطف).

• أَطَّرَهُ: في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ

الْمَصِيرُ ﴿١﴾

قال أبو حيان: "وقرأ ابن محيصن: ثم أضطره، بإدغام الضاد في الطاء خيرا"^٢.

وإدغام الضاد في الطاء أشار إليه سيبويه، حيث قال: "وقد قال بعضهم: مطَّج حيث كانت مطبقة ولم تكن في السمع كالضاد، وقربت منها وصارت في كلمة واحدة. فلما اجتمعت هذه الأشياء وكان وقوعها معها في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها معها في الانفصال، اعتقدوا ذلك وأدغموها"^٣.

ومع اعتراف سيبويه بصحة إدغام الضاد في الطاء، وروايته له عن بعض العرب، فإن بعض اللغويين لم يرتضوا ذلك، ورأوا أنه لغة مردولة. من ذلك قول ابن جني: "هذه لغة مردولة، أعني إدغام الضاد في الطاء، وذلك لما فيها من الامتداد والفُشُو، فإنها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها، وهي الشين والضاد والراء والفاء والميم، ويجمعها في اللفظ قولهم: (ضُمَّ شَفْرٌ)"^٤.

وقال ابن جني أيضا: "على أن سيبويه قد حكى عن بعضهم على طريق الشذوذ: أطَّجع في اضطجع وهذا شاذ لا يؤخذ به"^٥.

هذا، وقد ذكر ابن جني أن بعض اللغويين قد أخرج الضاد من الحروف التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها، "وجمعها في قولهم: (مشفر). قال: لأنه قد حُكي إدغام الضاد في الطاء في قولهم في (اضطجع): أطَّجع، وأنشدوا:

ياربَّ أبَّاز من العفر صدغٌ تقيض الظلِّ إليه واجتمع

(١) الآية رقم ١٢٦ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٥٥٥.

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٤/٤٧٠.

(٤) المحتسب لابن جني ج ١/١٠٦.

(٥) سر صناعة الإعراب لابن جني ج ١/٢١٩.

لما رأى أن لادعته ولا شبع مال إلى أرطاة حقف فاطجع^١

ومع هذا الذي ذكره ابن جني إلا أنه يميل إلى الرأي القائل بأن حروف (ضم شفر) يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها، حيث قال: "ومنهم من يخرج الضاد من هذه الخمسة، ويقول: قد أدغموا الضاد في الطاء في بعض اللغات، فقالوا في اضطجع: اطجع، وهذه لغة شاذة، ويجمع الأربعة الأحرف الباقية، فيقول: هي (مشفر). والقول الأول هو الذي عليه العمل"^٢.

ويذهب الزمخشري إلى مثل ما ذهب إليه ابن جني، حيث قال: "وقرأ ابن محيصن (فأطره) بإدغام الضاد في الطاء، كما قالوا: اطجع، وهي لغة مردولة؛ لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي: حروف (ضم شفر)"^٣.

وقال الفيومي مشيراً إلى شذوذ إدغام الضاد في الطاء: "ولا يقال "اطجع" بطاء مشددة؛ لأنّ الضاد لا تدغم في الطاء، فإن الضاد أقوى منها، والحرف لا يدغم في أضعف منه، وما ورد شاذ لا يقاس عليه"^٤.

ويلاحظ مما ذكره الفيومي علة وصف إدغام الضاد في الطاء بأنه شاذ، أو أنه لغة مردولة، وهي التي صرح بها ابن جني، حيث قال: "وأما الضاد فلأن فيها طولاً وتفشياً، فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي، فلم يجز ذلك، كما لم يجز إدغام حروف الصفير في الطاء ولا أختيها ولا في الطاء ولا أختيها، لئلا يسلبهن الإدغام ما فيهن من الصفير"^٥.

(١) المحتسب لابن جني ج ١/١٠٦-١٠٧.

(٢) سر صناعة الإعراب ج ١/٢١٤.

(٣) الكشاف للزمخشري ج ١/٣٢١.

(٤) المصباح المنير للفيومي ج ٢/٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ج ١/٢١٨-٢١٩.

ويذكر أبو حيان علة سيويه في جواز إدغام الضاد في الطاء، وعدم جواز ذلك مع الصاد، حيث قال: "قال سيويه: وقد قال بعضهم مطّجع في مضطجع، ومضجع أكثر، وجاز مطّجع وإن لم يجز في مصطر مطّبر؛ لأن الضاد ليست في السمع كالصاد، يعني أن الصغير الذي في الصاد أكثر في السمع من استطالة الضاد"^١.

وقد عقب أبو حيان على كلام سيويه، بقوله: "فظاهر كلام سيويه أنها لغة مرذولة ألا ترى إلى نقله عن بعض العرب مطّجع... وهذا كله من كلام سيويه يدل على الجواز"^٢.

وبعد، فإن إدغام الضاد في الطاء لغة واردة عن العرب، وقد حكاها سيويه وغيره، وسجلتها القراءات الشاذة، ولها من العلة الصوتية ما يسوغها، وما ذهب إليه سيويه وارتضاه رأيي له وجاهته، وهو أخرى بالقبول.

● لَنْظُرُ: في قوله تعالى: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ يحيى بن الحرث الذماري: لَنْظُرُ، بنون واحدة وتشديد الظاء، وقال: هكذا رأيته في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه"^٤.

وذكر العكبري أن قوله تعالى: (لننظر) "يقرأ في الشاذ بنون واحدة وتشديد الظاء، ووجهها أن النون الثانية قلبت ظاء وأدغمت"^٥.

ويقول أيضا: "يقرأ بنون واحدة وتشديد الظاء، قَلَبَ النونَ ظاءً وأدغمها، وهو ضعيف"^٦.

(١) البحر المحيط ج ١/٥٥٧.

(٢) البحر المحيط ج ١/٥٥٧.

(٣) الآية رقم ١٤ من سورة يونس.

(٤) البحر المحيط ج ٥/١٣٥.

(٥) التبيين في إعراب القرآن للعكبري/٤٣٥.

(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٦٤٠.

وذكر الألويسي ذلك أيضاً، فقال: " وقرئ(لنظّر) بنون واحدة وتشديد الظاء، ووجه ذلك أن النون الثانية قلبت ظاء وأدغمت"^١.

ويرى ابن جني أن قراءة(لنظّر) بنون واحدة ما هي إلا عملية إخفاء للنون الثانية، وليست إدغاماً، حيث قال: " ظاهر هذا أنه أدغم نون(نظّر) في الظاء، وهذا لا يعرف في اللغة، ويشبه أن تكون مخفاة فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الإخفاء إلى أن يظنوه مدغماً. وذلك أن النون لا تدغم إلا في ستة أحرف ويجمعها قولك: يرملون"^٢.

وإلى ذلك ذهب أبو حيان، حيث قال: " وقرأ يحيى بن الحرث الزماري : لنظر ، بنون واحدة وتشديد الظاء، وقال : هكذا رأيته في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويعني : أنه رآها بنون واحدة ، لأن النقط والشكل بالحركات والتشديدات إنما حدث بعد عثمان ، ولا يدل كتبه بنون واحدة على حذف النون من اللفظ ، ولا على إدغامها في الظاء ، لأن إدغام النون في الظاء لا يجوز ، ومسوغ حذفها أنه لا أثر لها في الأنف ، فينبغي أن تحمل قراءة يحيى على أنه بالغ في إخفاء الغنة ، فتوهم السامع أنه إدغام ، فنسب ذلك إليه"^٣.

وهذا الرأي الأخير الذي قال به ابن جني، وذهب إليه أبو حيان رأي له وجاهاته من ناحية الاستنباط والتوجيه اللغوي للقراءة، فضلاً عن ذلك فإن هناك أموراً ترجح هذا الرأي، تتمثل فيما يأتي:

١- إن إدغام النون في الظاء لم يسمع في لغة العرب.

٢- إن إخفاء النون قبل الظاء وارد ومعروف في لغة العرب.

(١) روح المعاني للألويسي ج ١١/٨٣.

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/٣٠٩.

(٣) البحر المحيط ج ٥/١٣٥.

٣- ما ذكره الإمام المدقق المحقق أبو عمرو الداني من أن الإخفاء " حال بين الإظهار والإدغام، وهو عار من التشديد"^١، وفي هذا القول ترجيح لمظنة أن المنطوق هو إخفاء النون، فالتبس على السامع فظنه إدغاماً.

(١) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني/٤٤.

المبحث الأول

فتح الصوائت الحلقية وتسكينها

تمهيد:

الأصوات الحلقية يعنى بها-عند علماء اللغة القدامى^١ والمحدثين^٢-الأصوات التي تخرج من الحلق^٣، وهي:(الهمزة، والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء).
وهذه الأصوات جميعها، ما عدا الهمزة "أصوات رخوة، أي يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها"^٤.

وقد حدث خلاف بين علمائنا القدامى في أمر فتح أصوات الحلق وتسكينها، فمذهب البصريين^٥ في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا

(١) قسّم القدامى حروف الحلق إلى ثلاثة أقسام: أقصى الحلق: ومنه تخرج الهمزة والهاء، وأوسطه: ومنه العين والحاء، وأدناه مخرجاً من الفم: ومنه الغين والخاء. الكتاب لسبويه ج٤/٤٣٣، وشرح المفصل ج١٠/١٢٣.

(٢) وقسّم المحدثون حروف الحلق إلى ثلاثة أقسام، الأول: مؤخر اللسان مع أقصى الحنك اللين، ويخرج منه: الغين والحاء. والثاني: الحلق، ويخرج منه العين والحاء. والثالث: الحنجرة، ويخرج منها: الهاء والهمزة.

وما ذكره المحدثون لا يختلف كثيراً عما ذكره القدامى؛ لأن وصف القدامى لهذه الأصوات أشار إلى ذلك، وإنما الذي فات القدامى هو الدقة في إطلاق المصطلح على مخرج كل منها، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث الهمزة؛ بل إن من القدماء من فطن إلى ذلك كابن سينا في أسباب حدوث الحرف/٧٢. ينظر: الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس/٨٧، ودراسة الصوت اللغوي د/أحمد مختار عمر/٣١٩.

(٣) الحلق: هو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم، وهو فضلاً عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة؛ يستعمل بصفة عامة كفراغ رنان يقوي الأصوات، ويضخمها بعد مرورها من الحنجرة. ينظر: التجويد والأصوات د/إبراهيم محمد نجا/١٣.

(٤) الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس/٨٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السري(ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب ج٣/٤١١-٤١٢.

يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزَّهْرَة والزَّهْرَة، والنَّهْر والنَّهْر، والشَّعْر والشَّعْر، فهذه لغات عندهم كالنَّشْر والنَّشْر، والحَلْب والحَلْب، والطَّرْد والطَّرْد^١.

ويذهب الكوفيون^٢ إلى " أنه يحرك الثاني لكونه حرفاً حلقياً، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعه، كالْبَحْر والبَحْر، والصَّخْر والصَّخْر^٣.

وقد وافق ابنُ جني الكوفيين فيما ذهبوا إليه، مخالفاً بذلك مذهب أصحابه، حيث قال: " وما أرى القول من بعدُ إلا معهم، أي الكوفيين، والحق فيه إلا في أيديهم، وذلك أنني سمعت عامة عُقَيْل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغاً غير مستكره، حتى لسمعت الشجري يقول: أنا محموم بفتح الهاء^٤.

وبعد، فهذه نبذة وجيزة عن فتح الأصوات الحلقية وتسكينها، توطئة للوقوف على معرفة القراءات الشاذة التي أوردها أبو حيان في كتابه البحر المحيط، مشتملة على ذلك، وفيما يأتي عرض ما ذكره أبو حيان مع تحليله تحليلًا صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: قراءات شاذة مشتملة على فتح الأصوات الحلقية:

● جَهْرَةٌ: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ

جَهْرَةً ۗ ۝٥٠

قال أبو حيان: " وقرأ ابن عباس وسهل بن شعيب وحמיד بن قيس : جهرة ، بفتح الهاء^٦.

(١) المحتسب لابن جني ج ٨٤/١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ٤١١/٣.

(٣) المحتسب لابن جني ج ٨٤/١.

(٤) المرجع السابق ج ٨٤/١.

(٥) الآية رقم ٥٥ من سورة البقرة.

(٦) البحر المحيط ج ٣٧١/١.

والملاحظ مما ذكره أبو حيان أن قراءة (جَهْرَة) بفتح الهاء محتملة وجهين:

الأول: أن (جَهْرَة) مصدر كالغلبة، فيكون معناها ومعنى (جَهْرَة) المسكنة نحو واحداً، سواء أكانت لغة مسموعة كما ذهب إلى ذلك السمين الحلبي، مستدلاً بكلام ابن عطية^١، وكما ذكر القرطبي^٢، والشوكاني^٣ أنهما لغتان، أم غير مسموعة، وذلك بناءً على رأي الكوفيين. وإلى هذا ذهب ابن جني^٤.

● الضأن: في قوله تعالى: ﴿مِنَ الضَّأْنِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ أَثْنَيْنِ﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ طلحة بن مصرف والحسن وعيسى بن عمر: (مِنَ الضَّأْنِ)^٦ بفتح الهمزة"^٧.

ويعلل ابن جني لهذه القراءة، فيقول: "الضأن جمع، واحده ضائن وضائنة، وصرّفوا فعله فقالوا: ضئنت العنز ضائناً، إذا أشبهت الضأن. وأما الضأن بفتح الهمزة في هذه القراءة فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله مما جاء على فَعَلَ وفَعَلْ وثانيه حرف حلق، كالنَهْر والنَهْر، والصَحْر والصَحْر، والنَعْل والنَعْل، وجميع الباب—أما لغات غيرها مما ليس الثاني فيه حرفاً حلقياً، كالنَشْر والنَشْر، والقَصّ والقَصص ومذهب البغداديين أن التحريك في الثاني من هذا

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج ١/٣٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢/١١٥.

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ١/١٩٤.

(٤) المحتسب لابن جني ج ١/٨٤-٨٥.

(٥) الآية رقم ١٤٣ من سورة الأنعام.

(٦) نسبت هذه القراءة إلى طلحة بن مصرف. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/١٠٢، ومختصر شواذ القرآن لابن

خالويه/٤٦، والمحتسب ج ١/٢٣٤، وإلى عيسى بن محمد. ينظر: إعراب القرآن ج ٢/١٠٢، ومختصر ابن خالويه/٤٦.

(٧) البحر المحيط ج ٤/٢٤١.

النحو إنما هو لأجل حرف الحلق، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب وغيره، ويؤنسني بصحة ما قالوه أني أسمع ذلك فاشيا في لغة عُقِيل"¹.

وإلى ذلك أشار القرطبي، فقال: "وقرأ طلحة بن مصرف: (من الضأن اثنين) بفتح الهمزة، وهي لغة مسموعة عند البصريين، وهو مطرد عند الكوفيين في كل ما ثانيه حرف حلق"². ويقول العكبري: "وقوله: (من الضأن) يقرأ بسكون الهمزة، ويفتحها، وقلبها، كل ذلك لغات"³.

● البعث: في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾⁴.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن (مِّنَ الْبَعْثِ) بفتح العين وهي لغة فيه كالحلب والطردي في الحلب والطردي، والكوفيون: إسكان العين عندهم تخفيف يقيسونه فيما وسطه حرف حلق، كالنهر والنهر والشعر والشعر، والبصريون لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان"⁵.

ويذكر الزجاج هذه القراءة، ثم يحتج لها، فيقول: "ويقرأ (من البعث) بفتح العين.. فذكر جميع الكوفيين أن كل ما كان ثانيه حرفاً من حروف الحلق، وكان مسكناً مفتوح الأول، جاز فيه فتح المسكن نحو نعل ونعل، وشعر وشعر، ونخل ونخل. فأما البصريون فيزعمون أن

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٢٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩/٧٧.

(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٥١٨.

(٤) الآية رقم ٥ من سورة الحج.

(٥) البحر المحيط ج ٦/٣٢٧.

ما جاء من هذا فيه اللغتان تُكَلِّم به على ما جاء. وما كان لم يسمع لم يجز فيه التحريك نحو
وعُد، لأنك لا تقول: لك عَلَيَّ وَعَد..^١.

ويقول العكبري معللاً لهذه القراءة: "قوله تعالى: (البعث)، يقرأ بفتح العين، وهي لغة مثل
الشَّعْر والشَّعْر"^٢.

ومما تجدر ملاحظته مما سبق أن أبا حيان كان على درجة كبيرة من الحس اللغوي، وله تذوق
صوتي عالٍ، يتضح ذلك من خلال قوله: "والكوفيون: إسكان العين عندهم تخفيف"^٣، ولا
يعزب عن ذوي الأبواب أن السكون أخف من الحركة؛ لأنه حذف للصائت القصير، إلا أن
الفتح مع حرف الحلق أخف من السكون، يوضح سر ذلك الدكتور/إبراهيم أنيس، فيقول: "
أما السر فيه، فهو أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع
في مجراها بالفم؛ فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات
اللين أكثرها اتساعاً، وتلك هي الفتحة"^٤.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣/٤١١-٤١٢.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ج٢/١٢٧، والتبيان/٥٨٨.

(٣) البحر المحيط ج٦/٣٢٧.

(٤) في اللهجات العربية د/إبراهيم أنيس/١٤٨.

ثانيا: قراءات شاذة مشتملة على تسكين الأصوات الحلقية:

● رَغْدًا: في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا مِّنْهَا رَغْدًا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب : بسكونها"^٢.

ويعلل العكبري لهذه القراءة، فيقول: "قوله تعالى:(رَغْدًا) يقرأ بسكون الغين، وهي لغة مثل: النهْر والنهَر، والشعْر والشعَر"^٣، وذكر ابن منظور أن في الرغد لغتين^٤.

وقد عزا أبو حيان تسكين العين إلى (تميم)، حيث قال: ".. وتميم تسكن الغين . وزعم بعض الناس أن كل اسم ثلاثي حلقى العين صحيح اللام يجوز فيه تحريك عينه وتسكينها ، مثل : بَحْرَ وبحرَ ، ونَهْرَ ونهرَ ، فأطلق هذا الإطلاق ، وليس كذلك ، بل ما وضع من ذلك على فعل بفتح العين لا يجوز فيه التسكين نحو : السحر لا يقال فيه السحر ، وإنما الكلام في فعل المفتوح الفاء الساكن العين"^٥.

(١) الآية رقم ٣٥ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٣٠٩.

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٤٨.

(٤) لسان العرب ج ٤/١٦١ م(رغد).

(٥) البحر المحيط ج ١/٣٠٥.

• وامرأتان: في قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ

مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرىء شاذاً: وامرأتان، بهمزة ساكنة^٢، وهو على غير قياس"^٣. قال ابن جني معللاً لهذه القراءة: "قال-أي مَتَّ بن عبد الرحمن^٤-: كان أهل مكة يقرءون(وامرأتان) بسكون الهمزة. وجه ذلك، والله أعلم، أنهم كانوا يخففون الهمزة هنا فيضعفون حركتها على المعتاد من أمرها، فتقرب من الساكن. ويدل على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا قريبة من الساكن، امتناع العرب من أن تبدئ بها مخففة كما تمتنع من الابتداء الساكن، فلما صارت إلى قولك(وامرأتان)، بالغوا في ذلك فأبدلوها ألفاً، فصارت:(وامراتان) بألف ساكنة، كما قال:
يقولون جهلاً ليس للشيخ عَيْلٌ لَعْمَرِي لَقَدْ أُعِيلَتْ وَأَنَّ رِقُوبٌ^٥

يريد: وأنا، فخفف الهمزة فصار(وان)، ثم تجاوز ذلك إلى البدل فأخلصها في اللفظ ألفاً فقال: وان، فكذلك لما أبدل من همزة(وامرأتان) ألفاً فصار تقديره:(وامراتان)، ثم أبدل الهمزة من الألف وإن كانت ساكنة على ما قدمنا ذكره فيما قبل، وعليه قراءة ابن كثير:(وكشفت

(١) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى مَتَّ بن عبد الرحمن. ينظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه/٢٤، والمحتسب لابن جني ج١/١٤٧، ومت: هو محمد بن عبد الرحمن النيسابوري النحوي يعرف ب(مت)، عرض القراءة على عيسى بن عمر الكوفي عن طلحة بن مصرف، وروى الحروف عن إسماعيل القسط وشبل بن عباد عن ابن كثير، روى عنه الحروف أحمد بن نصر، ونصير بن يوسف، ودخل بغداد زمن الكسائي. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢/١٤٩.

(٣) البحر المحيط ج٢/٣٦٢-٣٦٣.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن النيسابوري النحوي يعرف ب(مت)، عرض القراءة على عيسى بن عمر الكوفي عن طلحة بن مصرف، وروى الحروف عن إسماعيل القسط وشبل بن عباد عن ابن كثير، روى عنه الحروف أحمد بن نصر، ونصير بن يوسف، ودخل بغداد زمن الكسائي. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢/١٤٩.

(٥) هذا البيت موجود في المحتسب لابن جني ج١/١٤٧، والبحر المحيط ج٢/٣٦٣.

عن ساقيةها^١. ومنه البأز، والخاتم، والعالم، وتأبَلْتُ القدر، ونحو ذلك مما قدمنا ذكره. هذا طريق الصنعة فيه والتأني له.

فأما أن يقدر به مقدر على أنه أسكن الهمزة المتحركة اعتباراً البتة هكذا فلا، لأنه لا نظير له. ألا ترى أن ما قبل تاء التأنيث لا يكون أبداً إلا مفتوحاً، نحو جوزة ورطبة، إلا أن تكون الألف المدة نحو فتاة وقطاة؟ فأما الهمزة فحرف صحيح حامل للحركة فتجب فتحته البتة. فإن قلت: أسكن الهمزة تشبيهاً لها بالألف من حيث تساوتا في الجهر، وفي الزيادة، وفي البدل، وفي الحرف، وفي قرب المخرج، وفي الخفاء، -فقولُ ما، غير أنه مخشوب لا صنعة فيه، ولا يكاد يقنع بمثله^٢.

يلاحظ هنا أمور:

١- أن ما ذكره ابن جني هو أحد وجهي القراءة، والوجه الآخر هو: أن الهمزة إنما سكنت فراراً من توالي الحركات، أشار إلى ذلك العكبري، حيث قال: "قوله: (وامرأتان) بإسكان الهمزة، فُرُوا من توالي الحركات وثقل الهمزة"^٣.

٢- أن ما ذكره أبو حيان هنا من قوله: "وهو على غير قياس"^٤، لعله يقصد بذلك ما ذكره ابن جني من أن إسكان الهمزة هنا لا نظير له. ألا ترى أن ما قبل تاء التأنيث لا يكون أبداً إلا مفتوحاً، نحو جوزة ورطبة، إلا أن تكون الألف المدة نحو فتاة وقطاة؟ فأما الهمزة فحرف صحيح حامل للحركة فتجب فتحته البتة^٥.

٣- أن قول كل من أبي حيان وابن جني يتعارض مع ما ورد في القراءات المتواترة عن النبي ﷺ حيث ورد أن ابن ذكوان^٦ عن ابن عامر قرأ بإسكان الهمزة في قوله

(١) في الآية الكريمة: (وكشفت عن ساقيةها) الآية رقم ٤٤ من سورة النمل.

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/١٤٧-١٤٨.

(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٢٨٨.

(٤) البحر المحيط ج ٢/٣٦٢-٣٦٣.

(٥) المحتسب لابن جني ج ١/١٤٧.

(٦) التيسير لأبي عمرو الداني/١٤٦، والكشف لمكي ج ٢/٢٠٣.

تعالى:(منسأته)١، والملاحظ هنا أن ما بعد الهمزة تاء التأنيث. فضلاً عن ذلك فإن
إسكان الهمزة الواقعة قبل تاء التأنيث وارد في كلام العرب، قال الشاعر:
كقومة الشيخ إلى منساته ٢.

(١) الآية رقم ١٤ من سورة سبأ.

(٢) هذا الرجز منسوب إلى بعض الأعراب، وهو مروى في إبراز المعاني/٤٩١، والبحر المحيط ج٧/٢٥٧، والدر المصون
ج٩/٢٦٥، واللباب في علوم الكتاب ج١٦/٣٢، والتيسير لأبي عمرو الداني/١٤٦.

المبحث الثاني كسر أحرف المضارعة

تمهيد:

إن أخف الحركات في العربية (الفتحة)^١، وهي حركة حرف المضارعة إلا إذا كان الماضي رباعياً، أو كان المضارع مبنياً لما لم يُسَمَّ فاعله، فإن أول حرف المضارعة يكون في هاتين الحالتين مضموماً^٢.

وإذا كان تحريك أحرف المضارعة بالفتح هو المعروف قياساً وشهرة^٣، فإنه ليس حركة عامة لدى كل العرب في نطقها جميع أحرف مستقبلات الأفعال، فقد ورد عن العرب اختلافها في نطق أحرف المضارعة فيما إذا كان المضارع ما ضيه من المجرد على (فَعِلَ) صحيحاً كان أو معتلاً من بنات الياء والواو، أو من المزيد في أوله ألف موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في (فَعَلْ)، أشار إلى ذلك سيبويه، حيث عقد لذلك باباً قال فيه: "هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت فَعَلْ"، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تعلم ذلك، وأنا أعلم، وهي تعلم، ونحن نعلم ذلك، وكذلك كل شيء فيه فَعِلَ من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين، والمضاعف. وذلك قولك: شقيت فأنت تشقى، وخشيت فأنا إخشى، وخلصنا فنحن نخلص... وجميع هذا إذا قلت فيه يَفْعَلْ فأدخلت الياء فتحت، وذلك أنهم كرهوا الكسرة في الياء"^٥.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/عبد الرزاق/١١٨.

(٢) التكملة في تصريف الأفعال لمحمد محيي الدين عبد الحميد/٣١١.

(٣) المرجع السابع/٢٦٥-٢٦٦.

(٤) استثنى سيبويه في حديثه عن كسر أحرف المضارعة في هذا الباب أو زاناً جاءت على فَعَلْ يَفْعَلْ وكسرت فيها حرف المضارعة من ذلك، قوله: "وقالوا: أبي فأنت تبني، وهو يبني..". أ.هـ. الكتاب ج ٤/١١٠.

وكذلك ورد كسر حرف المضارعة شذوذاً في "حَبَّبْتُهُ أجبه بكسر الحاء". بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال لأبي جعفر اللبلي، تحقيق جعفر ماجد، الدار التونسية للنشر/٧١.

(٥) الكتاب لسيبويه ج ٤/١١٠.

وقال أيضا: "واعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في فَعَل، فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء"^١.

والقبائل الماثورة عنها كسر حرف المضارعة ليست على وتيرة واحدة، فمنها قبائل تكسر جميع أحرف المضارعة المجموعة في قولهم: (أنيت) فيما عدا الياء، وهي: قيس، وتميم، وأسد، وربيعة^٢، وهذيل^٣، وبعض عقيل^٤.

ومنهما ما يكسر جميع أحرف المضارعة بما فيها الياء، وقد عرف هذا الكسر بالتلتلة، ونسب إلى بَهْرَاء. قال الحريري: "وحكى الأصمعي أن معاوية قال يوماً لجلسائه: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط، فقال: قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتلتلة بَهْرَاء"^٥، ثم فسر الحريري التلتلة بقوله: "وأما تلتلة بَهْرَاء، فيكسرون حروف المضارعة فيقولون: أنت تعلم"^٦.

هذا، وإذا كان كسر أحرف المضارعة قد ورد وقوعه في لغة العرب، فإن القراءات الشاذة تناولته، فقد أورد أبو حيان في كتابه البحر المحيط من القراءات الشاذة على كسر أحرف المضارعة، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● نستعين: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^٧.

قال أبو حيان: "وقرأ زيد بن علي، ويحيى بن وثاب، و عبيد بن عمير الليثي : نعبد بكسر النون"^٨.

(١) المرجع السابق ج ٤/١١٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٣، والبحر ج ١/١٤١.

(٣) البحر المحيط ج ١/١٤١.

(٤) المنصف لابن جني ج ١/٣٢٢.

(٥) درة الغواص في أوهم الخواص للحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نخضة مصر ١٩٧٥م/١٨٣.

(٦) المرجع السابق/١٨٤.

(٧) الآية رقم ٥ من سورة الفاتحة.

(٨) البحر المحيط ج ١/١٤٠. نسبت هذه القراءة إلى جناح بن حبيش المقرئ. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٩، والكشاف للزمخشري ج ١/١٠، وإلى يحيى بن وثاب. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٣، وإلى عبيد بن عمير. ينظر: البحر ج ١/١٤٠.

وكسر حرف المضارعة- كما ذكر آنفاً- جائز في لغة العرب، ووارد عنهم، يقول ابن الأنباري: " ويجوز أن تكسر النون والتاء والألف في هذا الفعل، ونظيره في لغة بعض العرب، ولا يجوز ذلك في الياء، لأن الكسرة من جنس الياء، فلو فعلوا ذلك لأدى إلى الاستثقال بخلاف غيرها"^١.

بل إن مكّي بن أبي طالب استحسّن كسر النون من (نستعين)، حيث قال: " وقرأ يحيى بن وثاب (نستعين) بكسر النون، وهي لغة مشهورة حسنة"^٢.

ويذكر سيبويه أن علة كسر حرف المضارعة هو أنهم " أرادوا أن تكون أوائلها كثنواني فَعَل ، كما ألزموا الفتح ما كان ثانيه مفتوحاً في فَعَل، وكان البناء عندهم على هذا أن يُجروا أوائلها على ثنواني فَعَل منها"^٣.

ويرى القرطبي أن النون كسرت من (نستعين) لتدل على أنها " من استعان فكسرت النون كما تكسر ألف الوصل"^٤.

ويلاحظ مما ذكره القرطبي أن علة كسر حرف المضارعة التي ذكرها مقصورة على تلك الحالة التي اشتملت عليها، ولا تنطبق على مضارع الثلاثي المجرد؛ لأنه لا ألف وصل في ماضيه.

ويذهب الدكتور/إبراهيم أنيس إلى " أن حركة حرف المضارعة قد خضعت في اللهجات إلى قانون صوتي، وأنه كان لطبيعة فاء الكلمة أثر في شكل حرف المضارعة. فحين كانت فاء

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٨٣.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب/١٢٢.

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٤/١١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٢٢٦.

الكلمة من حروف الحلق، مال حرف المضارعة إلى الفتح، أما في غير ذلك فقد التزم الكسر في معظم اللهجات^١.

هذا، وقد عزي كسر النون من (نستعين) إلى تميم^٢، وأسد، وقيس، وربيعة^٣.

ومما يلاحظ هنا أن ابن عطية عزي كسر النون من (نستعين) إلى لغة بعض قريش، حيث قال: "وقرأ الأعمش وابن وثاب والنخعي (نستعين) بكسر النون وهي لغة لبعض قريش في النون والتاء والهمزة، ولا يقولونها في ياء الغائب، وإنما ذلك في كل فعل سمي فاعله فيه زوائد، أو فيما يأتي من الثلاثي على فعل يفعل بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل نحو علم وشرب، وكذلك فيما جاء معتل العين نحو خال يخال، فإنهم يقولون تخال وإخال"^٤.

ولم أقف على عزوها إلى لغة بعض قريش في غير محرر ابن عطية، بل إن أبا حيان أخذ على ابن عطية نسبة كسر حرف المضارعة في (اضطره) إلى قريش ذاكراً أن ابن عطية بذلك خالف ما نقله النحويون^٥، فإنهم نقلوا عن الحجازيين فتح حرف المضارعة مما أوله همزة وصل، ومما كان على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها، أو ذا ياء مزيدة في أوله، وذلك نحو علم يعلم، وانطلق ينطلق، وتعلم يتعلم، إلا إن كان حرف المضارعة ياء، فجمهور العرب من غير الحجازيين لا يكسر الياء، بل يفتحها^٥.

وعلى الرغم مما عقب به أبو حيان على ابن عطية إلا أنه حاول التوفيق بين ابن عطية وبين ما نقله النحويون حيث قال: "المقصود هنا أن كلام ابن عطية مخالف لما حكاه النحاة، إلا إن كان نقل أن إخال بخصوصيته في لغة قريش مكسور الهمزة دون نظائره، فيكونون قد تبعوا في ذلك لغة غيرهم من العرب، فيمكن أن يكون قول ابن عطية صحيحاً"^٦.

(١) في اللهجات العربية/١٢٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٣، والبحر ج ١/١٤١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٣، والجامع لأحكام القرآن ج ١/٢٢٦.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٧٢-٧٣.

(٥) البحر المحيط ج ١/٥٥٧.

(٦) المرجع السابق/الموضع نفسه.

● تيمنه: في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ

مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن مسعود، والأشهب العقيلي، وابن وثاب: تيمنه^٢، بتاء مكسورة وياء ساكنة بعدها، قال الدايني: وهي لغة تميم. وأما إبدال الهمزة ياء في: تيمنه، فلكسرة ما قبلها كما أبدلوا في بئر"^٣

وينسب القرطبي قراءة (تيمنه) إلى بكر وتميم، فيقول: "وقرأ ابن وثاب والأشهب العقيلي (من إن تيمنه) على لغة من قرأ (نستعين) وهي لغة بكر وتميم"^٤.

(١) الآية رقم ٧٥ من سورة آل عمران.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود، والأشهب العقيلي، وابن وثاب، وأبي بن كعب. ينظر: معجم القراءات. د/ عبد اللطيف الخطيب ج ١/٥٢٢، وإلى أبي الأشهب العطاردي. ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري/٢٧٢، وإلى أبي بن كعب و الأشهب العقيلي. ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٤٥٧، وإلى يحيى بن وثاب. ينظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه/٢٨، والمحرر الوجيز ج ١/٤٥٧.

(٣) البحر المحيط ج ٢/٥٢٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٥/١٧٥.

المبحث الثالث

المماثلة الصوتية بين الصوائت

تمهيد:

تأثرت الصوائت العربية بعضها ببعض، بسبب تجاورها سواء في الكلمة أو الكلام المتصل، وذلك لغرض إحداث نوع من الانسجام الصوتي^١ بين الصوائت المتباينة^٢ بإبدال حركة إلى أخرى تحاشياً لانتقال اللسان من وضع حركة إلى وضع مختلف لحركة أخرى، وما يمثله ذلك من عبء عليه^٣.

وهذا التأثير الصوتي بين الصوائت هو ما أطلق عليه تارة^٤ المماثلة بين الصوائت^٥، وتارة^٦ المماثلة بين الحركات المتجاورة^٧، وتارة^٨ تقريب الصوت من الصوت^٩، وتارة^{١٠} توافق الحركات^{١١}، وأخرى^{١٢} "الاتباع"^{١٣}.

وقد عد ابن جني مماثلة الصوائت بعضها ببعض تارة من تقريب الصوت من الصوت، حيث قال: "ومن التقريب قولهم: الحمد لله، والحمد لله"^{١٤}.

وتارة يعدّها ضرباً من ضروب الإدغام، فقد عقد باباً بعنوانه: "باب في الإدغام الأصغر"^{١٥}، تناول فيه أمثلة كثيرة من أمثلة المماثلة الصوتية بين الصوائت، وتارة يعدّها من حركات

(١) اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن/٣٥٧.

(٢) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث أ.د/الموافي الرفاعي البيلي/١٧٧.

(٣) دراسة الصوت اللغوي د/أحمد مختار عمر/٣٨٣.

(٤) الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس/٢٠٦.

(٥) الخصائص لابن جني ج ٢/١٤٣.

(٦) مدخل إلى علم اللغة د/محمود فهمي حجازي/٥٣.

(٧) الكتاب لسبويه ج ٤/١٠٩، والخصائص لابن جني ج ٢/٣٣٥.

(٨) الخصائص لابن جني ج ٢/١٤٤.

(٩) الخصائص لابن جني ج ٢/١٣٩.

الاتباع، حيث قال: "ومن حركات الاتباع قولهم: أنا أجوءك، وأنبوءك، وهو منحدر من الجبل"^١، وأخرى يعدها ضمن الحركات غير اللازمة^٢.

تعريف المماثلة الصوتية بين الصوائت:

هي عبارة عن "تأثير الصوائت القصيرة بعضها في بعض، إذ يحدث أن يتجاور صائتان قصيران أو يتقاربا في كلمة أو كلمتين، فيتأثر أحدهما بالآخر، وينقلب إلى جنسه"^٣.

أو هي: "تأثر حركة قصيرة بأخرى مثلها، أو بصوت لين محرّك أو ساكن"^٤.

وبعد، فالمماثلة الصوتية بين الصوائت تُعدُّ صورة من صور اختلاف اللهجات العربية، وقد تناولتها القراءات الشاذة، وقد أورد أبو حيان في البحر المحيط من القراءات الشاذة مشتملة على ذلك، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● الحمد لله: في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٥.

قال أبو حيان: "والجمهور قرأوا بضم دال الحمد، وأتبع إبراهيم بن أبي عبلة ميمه لام الجر لضمة الدال، كما أتبع الحسن وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام^٦، وهي أغرب؛ لأن فيه

(١) المرجع السابق ج ٢/٣٣٦.

(٢) المرجع السابق ج ٣٣٧.

(٣) خصائص اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/١٢٣.

(٤) القراءات القرآنية في تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) دراسة لغوية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الأعراف، رسالة ماجستير للباحث/حمدي سلطان حسن أحمد/٢٣٧، وفيها تعريف الاتباع بأنه: "إتباع حركة قصيرة لأخرى مثلها أو لصوت لين محرّك أو ساكن".

(٥) الآية رقم ٢ من سورة الفاتحة.

(٦) نسبت هذه القراءة الشاذة إلى الحسن. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٠، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه/٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٢١١، والقراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي/٥١٧، وإلى زيد بن علي. ينظر: المحتسب ج ١/٣٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٢١١، وإلى رؤية بن العجاج. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٩.

إتباع حركة معرب لحركة غير إعراب، والأول بالعكس . وفي قراءة الحسن احتمال أن يكون الإتياع في مرفوع أو منصوب، ويكون الإعراب إذ ذاك على التقديرين مقدراً منه من ظهوره شغل الكلمة بحركة الإتياع كما في المحكى والمدغم"^١.

وقد علل الفراء كسر الدال من لفظ(الحمدُ)، فقال: "وأما من خفض الدال من (الحمدِ) فإنه قال: هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد؛ فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل: إيل، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم"^٢.

وإلى ذلك ذهب النحاس، فذكر أن "هذه اللفظة تكثر في كلام الناس، والضم ثقيل ولا سيما إذا كانت بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة، وجعلوها بمنزلة شيء واحد، والكسرة مع الكسرة أخف"^٣.

ومماثلة حركة الدال لحركة اللام في (الحمد لله) لغة معروفة^٤، عزاها النحاس إلى تميم^٥.

وقد وصف ابن جني قراءة(الحمد لله) بكسر الدال بأنها شاذة" في القياس والاستعمال"^٦، ووصفها ابن الأنباري بأنها ضعيفة في القياس قليلة في الاستعمال"^٧، وقال مكّي واصفاً قراءة(الحمد لله)، و(الحمد لله): "وفي القراءتين بعد في العربية، ومجازها الإتياع"^٨.

(١) البحر المحيط ج ١/١٣١.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ١/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٠.

(٤) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٠.

(٦) المحتسب لابن جني ج ١/٣٧.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٣٥.

(٨) الإبانة عن معاني القراءات لمكّي/١٢٠.

وأغلب الظن أن علة شدوذها عن القياس، وضعفها هي أنها اشتملت على تغيير حركة الإعراب التي يحافظ عليها العربي دائماً، لأن بها يتحدد المعنى، بل إن العربي بالغ في محافظته على حركة الإعراب حتى في حالة الوقف، فتجده تارة ينقلها إلى الحرف الذي قبل الحرف الأخير، نحو: هذا بكراً، ومررت ببيكر^١، وأخرى بالإشمام.

وعلى أية حال فإن الذي يقر في الأذهان هو أن قراءة (الحمد لله) قراءة شاذة، وذلك لأنها فقدت ركناً حصيناً من أركان القراءة الصحيحة، وهو تواترها عن رسول الله ﷺ، ولذا، قال الزجاج: "والاختيار في الكلام الرفع، فأما القرآن فلا يقرأ فيه (الحمد) إلا بالرفع؛ لأن السنة تتبع في القرآن، ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة، والرفع القراءة"^٢.

● حُسْنًا: في قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ عطاء بن أبي رباح وعيسى بن عمر: حُسْنًا بضمهما"^٤.

ويذكر كل من أبي جعفر النحاس^٥، والقرطبي^٦ أن حُسْنًا مثل الحُلْم، ويذكر العكبري أنه يقرأ بضم الحاء، و: "بضم السين، مثل: اليسر واليسر"^٧.

(١) الكتاب لسيبويه ج ٤/١٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ج ٩/٧٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١/٤٥.

(٣) الآية رقم ٨٣ من سورة البقرة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى عطاء بن أبي رباح. ينظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه/١٥، إلا أنه فيه (عطاء بن عيسى) وأغلب الظن أن الصواب (عطاء وعيسى)، فأخطأ الناسخ-سهوا-وكتب بدلا من الواو لفظة (ابن) يؤيد هذا نسبتها إلى عطاء وعيسى في أكثر من مصدر. ينظر مثلا: البحر المحيط ج ١/٤٥٣، والمحور الوجيز لابن عطية ج ١/١٧٣، ومعجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب ج ١/١٤٠، ونسبت كذلك إلى عيسى بن عمر. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٢٤١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢/٢٣٣.

(٥) البحر المحيط ج ١/٤٥٣.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ج ١/٢٤١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢/٢٣٣.

(٨) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/١٨٢.

وبناء على هذا، فإن ضم السين إنما جاء إتباعاً ومماثلة لضمه الحاء قبلها، وإلى ذلك أشار أبو حيان بقوله: "وأما من قرأ بضممتين، فضمه السين إتباع لضمه الحاء"^١.

• **صُدُقْتِهِنَّ**: في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ النخعي وابن وثاب: صُدُقْتِهِنَّ^٣ بضمها، أي الدال، والإفراد"^٤.

ويحتج الآلوسي لهذه القراءة، فيقول: "وقريء صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وأصله صُدُقَةٌ بضم الصاد وسكون الدال، فضمت الدال إتباعاً لضم الأول، كما يقال: ظلمة وظلمة"^٥.

• **قُمُ اللَّيْلِ**: في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا لِّأَقْلِيلًا﴾^٦.

قال أبو حيان: "وأبو السمال، أي قرأ: بضمها^٧ إتباعاً للحركة من القاف"^٨.

(١) البحر المحيط ج ١/٤٥٣.

(٢) الآية رقم ٤ من سورة النساء.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى النخعي وابن وثاب. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦/٤٤، والدر المصون للسمين الحلبي ج ٣/٥٧٠، ونسبت كذلك إلى يحيى بن وثاب وقتادة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣١.

(٤) البحر المحيط ج ٣/١٧٤.

(٥) روح المعاني للآلوسي ج ٤/١٩٨.

(٦) الآية رقم ٢ من سورة المزمل.

(٧) نسبت هذه القراءة إلى أبي السمال. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٦٤، والمختص لابن جني ج ٢/٣٣٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢١/٣١٦.

(٨) البحر المحيط ج ٨/٣٥٣.

ويعلل ابن جني هذه القراءة، قائلاً: "علة جواز ذلك أن الغرض في هذه الحركة إنما التبليغ بها هرباً من اجتماع الساكنين، فبأي الحركات حركت أحدهما فقد وقع الغرض، ولعمري إن الكسر أكثر...ومن ضم...أتبع"¹، وإلى ذلك ذهب كل من العكبري²، والقرطبي³.

(١) المحتسب لابن جني ج ٢/٣٣٦.

(٢) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ٢/٦٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢١/٣١٦.

المبحث الرابع

الإبدال بين الصوائت

تمهيد:

من أنواع الإبدال اللغوي الإبدال بين الصوائت القصيرة، وهي: (الفتحة، والكسرة، والضمّة) وهذا النوع من الإبدال ورد في كلام العرب، وله أثر في لهجاتها.

والصوائت متفاوتة فيما بينها بين الخفة والثقل، فالفتح هو أخف الحركات الثلاث، ويليه الكسر، وأثقلها هو الضم^١.

وهذا التفاوت في الخفة والثقل بين الصوائت، كان له أثر كبير بين اللهجات العربية^٢ وقد تُؤثّر بعض القبائل الخفة، وتؤثر بعض القبائل الثقل، وفقاً لطبيعة كل قبيلة، واستجابة لفطرتها وميولها^٣.

وقد سجلت القراءات بنوعيتها هذا النوع من الإبدال، وذكر أبو حيان في البحر المحيط عدداً منها، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: بين الفتح والكسر:

ورد وقوع الإبدال بين الفتح والكسر في اللغة، وتناولته القراءات، وقد اشتملت القراءات الشاذة الواردة في البحر المحيط على هذا النوع من الإبدال الحركي، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها:

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن/١٦٨.

(٢) اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن/٣٢٦.

• أياك نعبد: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^١.

قال أبو حيان: "وبفتح الهمزة وتشديد الياء، وبها قرأ الفضل الرقاشي"^٢.

وقد ذكر ابن جني هذه القراءة، واحتج لها، بقوله: "ومن ذلك: (وإياك نستعين) قرأها الفضل الرقاشي: (وَأَيَّاكَ) بفتح الهمزة... فأما فتحة الهمزة فلغة فيها إياك وأَيَّاكَ..."^٣.

وذهب كل من ابن عطية^٤ والقرطبي إلى أن هذه القراءة لغة مشهورة^٥، وكذلك ذهب العكبري أنها لغة مسموعة^٦.

ومما سبق يتبين أن كلا من (إِيَّاكَ) و(أَيَّاكَ) لغتان مشهورتان ومسموعتان، الأولى منهما قراءة متواترة، والأخرى شاذة.

• الحج: في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ

وَالْحَجِّ﴾^٧.

(١) الآية رقم ٥ من سورة الفاتحة.

(٢) البحر المحيط ج ١/١٤٠، وقد نسبت هذه القراءة إلى الفضل الرقاشي. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٩، وإعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٣، والمحتسب ج ١/٣٩، ونسبت كذلك إلى سيدنا علي-رضي الله عنه- من رواية سفيان عنه. ينظر: النشر لابن الجزري ج ١/٤٨.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/٣٩.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج ١/٧٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٢٢٥.

(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٩٤.

(٧) الآية رقم ١٨٩ من سورة البقرة.

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن، وابن أبي إسحق^١ : والحج بكسرها في جميع القرآن في قوله :
(حَجَّ الْبَيْتِ) فقليل بالفتح المصدر وبالكسر الاسم . وقال سيبويه^٢ : الحج، كالردّ والسدّ ،
والحج ، كالذكر ، فهما مصدران"^٣.

وقد ذكر مكي بن أبي طالب أن كلا من (الحج) بكسر الحاء، و(الحج) بفتح الحاء،"
مصدران(حج يحج) حكى سيبويه حَجَّ حِجاً بكسر الحاء ك: ذَكَرَ ذِكْراً، ويقال: حج
حِجاً"^٤.

وذكر ابن قتيبة أن الحج والحج لغتان^٥، وإلى ذلك ذهب العكبري، حيث قال: " قوله:(الحج)
بفتح الحاء، وكسرها، وهما لغتان"^٦.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن كلاً من (الحج والحج) لغتان بمعنى واحد، عزى النحاس فتح
الحاء إلى أهل الحجاز ، وكسر الحاء إلى أهل نجد^٧، وعُزِيَ الفتح كذلك إلى بني أسد^٨.

(١) هذه القراءة نسبت إلى الحسن. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٩، والاتحاف ج٤٣٢/١، والقراءات الشاذة
للشيخ/عبد الفتاح القاضي/٥٢٥، ونسبت كذلك إلى ابن أبي إسحاق. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
ج٢٣١/٣، وفتح القدير للشوكاني ج٣٤٣/١.

(٢) جاء في الكتاب: " وقالوا: حجَّ حِجاً كما قالوا: ذكر ذِكْراً".أ.هـ ج١٠/٤.

(٣) البحر المحيط ج٧٠/٢.

(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب ج٣٥٣/١.

(٥) أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦-٢١٣هـ)، تحقيق وتعليق محمد الدالي، مؤسسة
الرسالة/٥٢٨.

(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج٢٣٦/١.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ج٢٩١/١.

(٨) حجة القراءات لأبي زرعة/١٧٠.

وقال مكّي ابن أبي طالب: إن الفتح " أصل المصدر " ١ ، وذكر ابن منظور أن الفتح " أكثر، وُروى عن الأثرم، قال: الحَجّ والحِجّ ليس عند الكسائي بينهما فرقان " ٢ .

هذا، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أبا حيان ذكر أن الحسن وابن أبي إسحق قرآ (الحج) بكسر الحاء في جميع القرآن، وفي قوله: (حج البيت) ٣ في آل عمران، وكسر الحاء في لفظة (الحج) في القرآن الكريم ليس على وتيرة واحدة من حيث التواتر والشذوذ، فالقراءة المذكورة آنفاً من سورة البقرة قراءة شاذة، أما كسر الحاء من (حج البيت) في آل عمران فقراءة متواترة، قرأ بها حفص عن عاصم وحمزة والكسائي ٤ .

● ثانياً: بين الفتح والضم:

ورد وقوع الإبدال الصوتي بين كل من الفتح والضم في اللغة العربية، وسجلته القراءات القرآنية، وأورده أبو حيان في البحر المحيط، والآن مع عرضه وتحليله:

● وُقودها: في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ٥ .

قال أبو حيان: " والجمهور على فتح الواو . وقرأ الحسن ٦ باختلاف ، ومجاهد وطلحة وأبو حيوة وعيسى بن عمر الهمداني بضم الواو . وقرأ عبيد بن عمير وقيدها على وزن فاعيل .

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ج ١/٣٥٣، وإلى ذلك أشار ابن مالك من قوله في ألفيته:

فَعَلَّ قِيَّاسَ مَصْدَرِ المَعْدَى * من ذي ثلاثة ك (رَدَّ رَدًّا) شرح ابن عقيل ج ٣/١٢٣ .

(٢) لسان العرب ج ٣/٥٠ م (حجج).

(٣) الآية رقم ٩٧ من سورة آل عمران.

(٤) ينظر: التيسير لأبي عمرو الداني/٧٥ .

(٥) الآية رقم ٢٤ من سورة البقرة.

(٦) نسبت قراءة ضم الواو إلى الحسن. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٢٠١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

ج ١/٣٥٥، وإلى مجاهد وطلحة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٢٠١، ومختصر شواذ القرآن/١١، والجامع لأحكام

القرآن ج ١/٣٥٥، وإلى أبي حيوة. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/١٠٧، ومعجم القراءات ج ١/٦٥، وعيسى بن عمر

الهمداني. ينظر: معجم القراءات ج ١/٦٥ .

فعلى قراءة الجمهور، وقراءة ابن عمير هو الخطب ، وعلى قراءة الضم هو المصدر على حذف مضاف ، أي ذو وقودها".

ذكر ابن جني أن من قرأ: " بالضم هو المصدر، والمصدر ليس بالناس، لكن قد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر، لقولهم: وقدت النار وقوداً، ومثله: أولعت به ولوعاً، وهو حسن القبول منك، كله شاذ والباب هو الضم" ١ .

وذهب الأخفش إلى أن قراءة الضم، وقراءة الجمهور " لغتان في معنى واحد" ٢ .

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٦٣ .

(٢) معاني القرآن للأخفش/٥٧ .

● سَكَارَى: في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأت فرقة: سَكَارَى بفتح السين^٢ نحو ندمان وندامى، وهو جمع تكسير"^٣.

وذكر كل من الأزهري^٤، وابن منظور^٥ أن قراءة (سَكَارَى) بفتح السين لغة، وعزا ابن خالويه هذه اللغة إلى تميم^٦.

ويقول الأزهري: "ولم يقرأ أحد من القراء سَكَارَى بفتح السين، وهي لغة، ولا يجور القراءة بها لأن القراءة سنة"^٧، وقول الأزهري: (ولم يقرأ أحد من القراء سَكَارَى بفتح السين" لعله يقصد بذلك القراء السبعة، ومما يدل على ذلك أنه قام بتوجيه هذه القراءة في كتابه (معاني القراءات)، يؤكد هذا ويؤيده قوله (لأن القراءة سنة)، أي لا بد فيها من التواتر عن رسول الله ﷺ.

وبناء على ما سبق، فإن الإبدال الحركي بين الفتح والضم واقع على السين من (سَكَارَى).

● لَغُوبٌ: في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾^٨.

(١) الآية رقم ٤٣ من سورة النساء.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى عيسى. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٣، ومعجم القراءات ج ٧٧/٢، وإلى أبي نهيك. معجم القراءات ج ٧٧/١، والقراءة مذكورة بدون نسبة في الكشاف ج ٨٢/٢، والمحزر الوجيز ج ٥٦/٢، وإعراب القراءات الشواذ ج ٣٩٠/١.

(٣) البحر المحيط ج ٢٦٦/٣.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ج ٥٧/١٠ م (سكر).

(٥) لسان العرب ج ٣٨/٦ م (سكر).

(٦) مختصر شواذ القرآن/٣٣.

(٧) تهذيب اللغة للأزهري ج ٥٧/١٠ م (سكر).

(٨) الآية رقم ٣٥ من سورة فاطر.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور : لغوب ، بضم اللام ، وعلي بن أبي طالب والسلمي : بفتحها^١ . قال الفراء^٢ : هو ما يُلغِبُ به ، كالفطور والسحور ، وجاز أن يكون صفة للمصدر المحذوف ، كأنه لغوب ، كقولهم : موت مائت^٣ .

ويقول النحاس: " وقرأ أبو عبد الرحمن(ولا يمسننا فيها لغوب) بفتح اللام يكون مصدرا، كالوقود والطهور، وقيل: هو ما يُلغِبُ به "٤، وإلى ذلك أشار ابن جني^٥ .

ومما سبق يتضح أن في قراءة(لغوب) وجهين:

الوجه الأول: أنها مصدر على فَعُول كالتَّبول ، والوَضوء، والوقود، وغير ذلك.

الوجه الثاني: أنها اسم لما يُلغِبُ به كالفطور، والسَّحور، وهو المذكور في كلام الفراء.

ويذكر ابن جني لها وجهاً آخر، وهو حملها على أنها " صفة لمصدر محذوف، أي: لا يمسننا فيها لغوب لغوب، على قولهم: هذا شعر شاعر^٦

ثالثا: بين الكسر والضم:

ورد وقوع التبادل الصائتي بين الكسر والضم في اللغة، واشتملت عليه القراءات القرآنية، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها، وذلك على النحو الآتي:

(١) نسبت هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٢٤، والمحتسب لابن جني ج٢/٢٠٠، والدر المصون ج٩/٢٣٤، وإلى أبي عبد الرحمن السلمي. ينظر: معاني القرآن للفراء ج٢/٣٧٠، وإعراب القرآن للنحاس ج٣/٣٧٤، والمحتسب لابن جني ج٢/٢٠٠، وإلى سعيد بن جبیر. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٢٤، ومعجم القراءات ج٧/٤٤٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢/٣٧٠.

(٣) البحر المحيط ج٧/٣٠٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج٣/٣٧٤.

(٥) المحتسب لابن جني ج٢/٢٠٠.

(٦) المرجع السابق/ ج٢/٢٠١.

● رُجْزًا: في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾^١.

قال أبو حيان: " وقرأ ابن محيصن^٢ : رجزاً بضم الراء"^٣.
علل العكبري تبادل كل من الكسر والضم في (رجز)، فقال: " قوله تعالى: (رجزاً) يقرأ بكسر الراء وضمها، وهما لغتان"^٤، وإلى ذلك ذهب أبو حيان^٥.

● فُتْئَاهَا: في قوله تعالى: ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا ﴾^٦.

قال أبو حيان: " وقرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وغيرهما : وفتئها^٧ بضم القاف"^٨.
والملاحظ هنا تبادل كل من الكسر والضم في (فتئها)، وقد ذكر الزجاج أنهما " لغتان... والأجود الأكثر.. بالكسر"^٩، وإلى ذلك أشار القرطبي، فقال: " والقثاء أيضا معروف، وقد تضم قافه، وهي قراءة يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف، لغتان، والكسر أكثر"^{١٠}.

ويذكر كذلك العكبري أن قوله تعالى: (وَقِثَّائِهَا)، يقرأ بضم القاف، وهما لغتان مسموعتان"^{١١}.

(١) الآية رقم ٥٩ من سورة البقرة.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى ابن محيصن. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٣، والاتحاف ج ١/٣٩٤.

(٣) البحر المحيط ج ١/٣٨٧.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٦٣.

(٥) البحر المحيط ج ١/٣٨٧.

(٦) الآية رقم ٦١ من سورة البقرة.

(٧) نسبت هذه القراءة إلى يحيى بن وثاب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٣، والمحتسب لابن جني ج ١/٨٧، وإلى

طلحة. ينظر: إعراب القرآن ج ١/٢٣١، والمحرم الوجيز ج ١/١٣٥، وإلى الأشهب. ينظر: المحتسب ج ١/٨٧.

(٨) البحر المحيط ج ١/٣٩٥.

(٩) معاني القرآن وإعراجه للزجاج ج ١/١٤٣.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ج ٢/١٤٥.

(١١) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٦٦.

ويرى ابن جني أن الضم " في الثناء حسن الطريقة، وذلك أنه من النوبات، وقد كثر عنهم في هذه النوبات الفَعَال كالتُّبَادِ وَالْقَلَامِ، وَالْعَلَامِ وَالثَّقَاءِ"١.

● **صُنَوَان:** في قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ

وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ ۚ ۲.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور : صنوان بكسر الصاد فيهما ، وابن مصرف والسلمي وزيد بن علي ٣ : بضمها"٤.

قال أبو علي الفارسي موجهاً لهذه القراءة: " وأما من ضم الصاد من صنو، فإنه جعله مثل: ذئب وذؤبان، وربما تعاقب فعلان وفعلان، على البناء الواحد نحو حشّ وحشان وحشّان..٥"، وإلى هذا أشار ابن جني أيضاً.

ومما سبق يمكن ملاحظة ما يأتي:

١- أن قراءة (صُنَوَان) بضم الصاد قراءة شاذة، وإن كانت قد رويت عن عاصم قراءة من أحد راوييه المعروفين، وهو (حفص) إلا أنها جاءت عن حفص من طريق غير الطرق المعروفة عنه، ولذلك حكم بشذوذها، لأنها فقد الركن الحصين من أركان القراءة وهو التواتر.

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٨٧، ذكر المحقق في الهامش أن: الزباد: نبت، والقلام: ضرب من الحمض، والعلام: الحناء، والثفاء: الخردل.

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الرعد.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى ابن مصرف والسلمي. ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/٢٩٤، والدر المصون ج ٧/١٤، وإلى السلمي. المحتسب ج ١/٣٥١، وإلى زيد بن علي. ينظر: الدر المصون ج ٧/١٤، ونسبت -كذلك- إلى عاصم من رواية القواس عن حفص عن عاصم. ينظر: السبعة لابن مجاهد/٣٥٦، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ج ٥/٦.

(٤) البحر المحيط ج ٥/٣٥٧.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ج ٥/٩.

(٦) المحتسب ج ١/٣٥١.

٢- كما يلاحظ أن كلا من كسر الصاد وضمها في فاء لفظ (صنوان) لغتان^١، وقع التبادل بينهما، وعزي الضم إلى تميم وقيس^٢، وعزيت الكسرة إلى أهل الحجاز^٣.

● الحَبْكُ: في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^٤.

تبادلت كل من الكسرة والضمة في فاء كلمة (حبك)، وتناولت ذلك القراءات القرآنية، وإلى ذلك أشار أبو حيان، فقال: "وقرأ أبو مالك أيضاً: الحبك بكسر الحاء وضم الباء"^٥.

وقد ذكر ابن جني هذه القراءة، واحتج لها، فقال: "وأما (الحبُّك)، بكسر الحاء، وضم الباء، فأحسبه سهواً. وذلك أنه ليس في كلامهم فعلٌ أصلاً، بكسر الفاء، وضم العين... أو لعل الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان: بالكسر، والضم. فكأنه كسر الحاء يريد (الحبُّك)، وأدركه ضم الباء على صورة (الحبُّك)"^٦.

وإلى القول بأن (حبُّك) محمولة على تداخل اللغات، ذهب إلى ذلك القرطبي^٧.

يقول الرضي: "إن (الحبُّك) مركب من اللغتين، يعني أن المتكلم به أراد أن يقول: (الحبُّك) بكسرتين، ثم لما تلفظ بالحاء المكسورة ذهل عنها، وذهب إلى اللغة المشهورة، وهي الحبُّك

(١) المرجع السابق/الموضع نفسه، وإعراب القراءات الشواذ ج ١/٧٢٢-٧٢٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٣٥١، والدر المصون ج ٧/١٤.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/٣٥١، وإعراب القرآن للنحاس ج ٢/٣٥١.

(٤) الآية رقم ٧ من سورة الذاريات.

(٥) البحر المحيط ج ٨/١٣٣، ونسبت هذه القراءة إلى أبي مالك الغفاري. ينظر: المحتسب لابن جني ج ٢/٢٨٦،

ومعجم القراءات ج ٩/١٢٥، وإلى الحسن. ينظر: المحرر الوجيز ج ٥/١٧٢، ومعجم القراءات ج ٩/١٢٥، وإلى أبي

السما. ينظر: معجم القراءات ج ٩/١٢٥.

(٦) المحتسب لابن جني ج ٢/٢٨٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ج ٩/٤٧٣.

بضميتين، فلم يرجع إلى ضم الحاء، بل خلاها مكسورة وضم الباء، فتداخلت اللغتان: الحَبْك والحَبُّك في حرفي الكلمة (الحاء والباء)^١.

وعلى الرغم مما ذكره الرضي من أن (حَبْك) من تداخل اللغات، فإنه يذهب إلى أن تركيب (حَبْك) من اللغتين إن ثبت -فيه- نظر؛ لأن الحَبُّك جمع الحَبَاك، وهو الطريقة في الرمل ونحوه، والحَبْك بكسرتين إن ثبت فهو مفرد مع بُعْدِهِ، لأن فِعْلاً قليلاً.. ويعد تركيب اسم من مفرد وجمع^٢.

ويذهب أبو حيان إلى أن (حَبْك) أصلها (حَبُّك) وأبدلت ضمة الحاء كسرة إتباعاً لحركة التاء قبلها من (ذات) وهي الكسرة، فقال: "والأحسن عندي أن تكون مما اتبع فيه حركة الحاء لحركة ذات في الكسرة، ولم يعتد باللام الساكنة، لأن الساكن حاجز غير حصين"^٣.

والذي يغلب على الظن، والله أعلم، في هذه القراءة، أنها (حَبْك) بكسر الحاء وسكون الباء، وأن السامع لم يتثبت من ضبط حركة الباء، فظن أن قلقلة الباء ضمة، وهما منه فرواها (حَبُّك). والذي يُوَكِّد ذلك ويدل عليه أمور أهمها:

١- إن من نسبت إليهم قراءة (الحَبُّك) نسبت إليهم كذلك قراءة (الحَبْك)^٤.

٢- ما ذكره ابن جني في توجيه (حَبْك)، حيث قال: "وأما (الحَبُّك) بكسر الحاء وضم الحاء فأحسبه سهواً"^٥.

(١) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج ١/٣٩.

(٢) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٣) البحر المحيط ج ٨/١٣٣.

(٤) فقد نسبت إلى الحسن وأبي مالك قراءة (حَبْك). المحتسب ج ٢/٢٨٦، وإلى الحسن. مختصر شواذ القرآن/١٤٦.

(٥) المحتسب لابن جني ج ٢/٢٨٧.

وأغلب الظن أن مراده من كلمة (سهواً) أي من السامع، ولا يمكن أن يكون مراده السهو من القارئ، لأنه ذكر بعد ذلك سهو القارئ، حيث قال: "أو لعل الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم"^١.

٣- ما ذكره العكبري في توجيه القراءة، حيث قال: "وحكي... كسر الحاء وضم الباء، وهو بناء لا مثل له، والأشبه أنه غلط على القارئ"^٢.

ويلاحظ هنا أن العكبري قال: "على القارئ" ولم يقل: "من القارئ" وفرق شاسع بين (من) و(على) هنا، إذ إن كلمة (على) تشير إلى أن قراءة (جُبْكَ) لم تكن قراءة لها من القارئ كذلك، وإنما لعلها بكسر الحاء وسكون الباء، فتوهمها السامع أنها بكسر الحاء وضم الباء، لعدم تثبته من سماع صوت (الباء) جيداً.

٤- تشكيك كثير من العلماء في ورود (جُبْكَ) قراءة، قال الرضي: "وفي تركيب (جُبْكَ) من اللغتين - إن ثبت - نظر"^٣.

وذكر الشيخ خالد الأزهرى أن قراءة (جُبْكَ) قيل: "لم تثبت لهذه القراءة"^٤.

٥- ما ذكره الدكتور/ أحمد علم الدين الجندي من خلال حديثه عن تركيب اللغات، حيث قال: "ويمكن أن نضيف إلى هذا العامل - أي أخطاء الأطفال والأجيال الناشئة - المسؤول إلى حد كبير عن تركيب اللغات عاملاً آخر، هو احتمال خطأ الرواة في النقل، مما تسبب عنه وجود مثل هذا النوع من الصيغ المتخالفة"^٥.

(١) المرجع السابق/ الموضع نفسه.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ج ٢/٥١٢.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج ١/٣٩.

(٤) شرح التصريح على التوضيح للرضي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م ج ٢/٦٥٧.

(٥) اللهجات العربية في التراث ج ٢/٥٩٢.

رابعاً: بين الحركات الثلاث:

ورد وقوع التبادل بين الحركات الثلاث كثيراً في اللهجات العربية، واهتم اللغويون اهتماماً كبيراً بهذا النوع من الإبدال الحركي، وعنوا به في مؤلفاتهم^١.

واشتملت القراءات الشاذة مع المتواتر على هذا النوع من الإبدال الحركي، وأورد أبو حيان في البحر المحيط عدداً منها، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● غِشَاوَةٌ: في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ

غِشَاوَةٌ ٢٠

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن باختلاف عنه، وزيد بن علي : غِشَاوَةٌ بضم الغين^٣ ورفع التاء"^٤.

ويلاحظ هنا تبادل الحركات الثلاث في فاء كلمة (غِشَاوَةٌ)، حيث إنها بمعنى واحد، وهو الغطاء.

(١) ينظر مثلاً: المثلث لابن السيد البطليوس (٥٢١-٤٤٤هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر ١٤٠١هـ=١٩٨١م، والمثلث لقطرب، وأدب الكاتب لابن قتيبة/٥٧٠-٥٧٣، وإكمال الإعلام بتثليث الكلام لمحمد بن عبد الله بن مالك الجيايبي (٦٧٢-٥٩٨هـ)، تحقيق ودراسة سعد بن حمدان الغامدي، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤، والغرر المثلثة والدرر المبثثة للفيروز آبادي، وغيرها.

(٢) الآية رقم ٧ من سورة البقرة.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى الحسن . ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠، وإعراب القرآن للنحاس ج١/١٨٦، والإتحاف ج١/٣٧٧، والقراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي/٥١٩، وإلى أبي حيوة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١/٢٩٢. وقرأ الحسن-أيضا-(غِشَاوَةٌ) بفتح الغين. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠، والإتحاف ج١/٣٧٧، والقراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي/٥١٩، ونسبت ذلك-أيضا-إلى أبي حيوة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج١/١٨٦.

(٤) البحر المحيط ج١/١٧٧.

وعلى هذا، فهي ثلاث لغات بمعنى واحد^١، عزا ابن عطية لغة الفتح إلى ربيعة، والضم إلى عكل^٢.

كما يلاحظ أيضاً أن ابن عطية رجح القراءة المتواترة (غشاوة) بالكسر، حيث قال: "وأصوب هذه القراءة المقروء بها ما عليه السبعة من كسر الغين على وزن عِمامة، والأشياء التي هي أبداً مشتملة، فهكذا يجيء وزنها كالضمامة، والعمامة، والكناية، والعصابة، والربابة، وغير ذلك"^٣.

وإلى هذا الترجيح ذهب النحاس، فقال: "وأجودها (غشاوة) بكسر الغين، كذلك تستعمل العرب في كل ما كان مشتملاً على الشيء نحو: عمامة، وقلادة"^٤.

وذهب إلى ذلك أيضاً السمين الحلبي، فقال: "وأصوب القراءات المشهورة؛ لأن الأشياء التي تدل على الاشتغال تجيء أبداً على هذه الزنة"^٥.

● ربيون: في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾^٦.

تبادلت الحركات الثلاث في فاء كلمة (ربيون)، وتناولتها القراءات، وإلى ذلك أشار أبو حيان، فقال: "وقرأ الجمهور بكسر الراء . وقرأ علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وأبو رجاء ، وعمرو بن عبيد ، وعطاء بن السائب بضم الراء^٧ ، وهو من تغيير

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري/٢٣.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ج ٥/٨٧.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٨٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٨٦.

(٥) الدر المصون ج ١/١١٣.

(٦) الآية رقم ١٤٦ من سورة آل عمران.

(٧) نسبت هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢٩، والمحتسب لابن جني ج ١/١٧٣، ونسبت إلى الحسن وعكرمة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٤١٠-٤١١، والمحتسب لابن جني ج ١/١٧٣، وإلى أبي رجاء، وعمر بن عبيد، وعطاء بن السائب. ينظر: المحتسب ج ١/١٧٣، والمحرر الوجيز ج ١/٥٢٠.

النسب . كما قالوا : دهري بضم الدال ، وهو منسوب إلى الدهر الطويل . وقرأ ابن عباس فيما روى قتادة عنه : بفتح الراء^١ . قال ابن جني^٢ : هي لغة تميم ، وكلها لغات^٣ .

ويقول القرطبي: " و(الريون) بكسر الراء قراءة الجمهور، وقرأ علي عليه السلام بضمها، وابن عباس بفتحها، ثلاث لغات^٤ .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن لفظة(الرِّيُون) إن كان النسب فيه إلى الرب^٥، فالفتح على هذا هو الأصل، وكل من الكسر والضم تبادلًا فيه، وقد أشار إلى ذلك ابن عطية نقلاً عن مكّي بن أبي طالب أنه يذهب إلى أن (رِيِّي) بكسر الراء منسوب إلى الرب، لكن كسرت راءه إتباعاً للكسرة والياء اللتين بعد الراء، وروي بضم الراء كذلك لكنهم ضموها كما قيل: دُهرِيّ، بضم الدال في النسب إلى الدهر^٦ .

وأما إن كان النسب فيه إلى (الرُّبَّة) وهي الجماعة^٧، فالضم هو الأصل، وكل من الفتح والكسر تبادلًا فيه، أشار إلى ذلك ابن جني^٨، والقرطبي^٩.

-
- (١) ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢٩، والجامع لأحكام القرآن ج٥/٣٥٣.
(٢) تصرف أبو حيان في نقله عن ابن جني تصرفاً يسيراً، والنص في المحتسب ج١/١٧٣: "الضم في (رِيُون) تميمية، والكسر أيضاً لغة" أ.هـ.
(٣) البحر المحيط ج٣/٨٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٥/٣٥٢.
(٥) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج١/٣٤٩، والدر المصون ج٣/٤٣١.
(٦) المحرر الوجيز ج١/٥٢١.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ج٥/٣٥٢، والدر المصون ج٣/٤٣١.
(٨) المحتسب لابن جني ج١/١٧٣-١٧٤.
(٩) الجامع لأحكام القرآن ج٥/٣٥٢.

● غلظة: في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور : غلظة بكسر الغين، وهي لغة أسد ، والأعمش وأبان بن ثعلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها^٢، وهي لغة الحجاز ، وأبو حيوة والسلمي، وابن أبي عبلة، والمفضل، وأبان أيضاً بضمها^٣ وهي لغة تميم ، وعن أبي عمرو ثلاثة اللغات^٤.

وعزا النحاس لغة الكسر إلى أهل الحجاز، وبني أسد، ولغة الضم إلى تميم^٥.

والملاحظ هنا عدة أمور، أهمها:

١- إن أبا حيان على معرفة تامة بشروط صحة القراءة، وقبولها، فعلى الرغم من ورود قراءة(غُلْظَةً) بالضم عن عاصم، وروايتها كذلك عن أبي عمرو، وقراءته أيضاً (غُلْظَةً) إلا أنهما قراءتان شاذتان، لأنهما روايتان عن غير راوييهما المعروفين، وبذلك تكون القراءة قد فقدت ركناً حصيناً من أركان القراءة وهو تواترها، وبذلك يحكم بشذوذها سواء أكانت عن أحد السبعة أم غيرهم، فالحكم بتواتر القراءة أو شذوذها ليس أساسه القارئ وإنما من تواتر القراءة وعدمه.

٢- إنه ليس من الضروري أن كل قراءة شذت من جانب الرواية أن تَشُدَّ من جانب اللغة، فقراءة(غُلْظَةً) و (غُلْظَةً)، وإن كانتا قد شذتا رواية، فإنهما لم يشذا لغة، فكل من الضم

(١) الآية رقم ١٢٣ من سورة التوبة.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٢٤٠، ومختصر شواذ القرآن/٦٠، والجامع لأحكام القرآن ج ١/٤٣٥-٤٣٦.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى السلمي، وابن أبي عبلة والمفضل. ينظر: الدر المصون ج ٦/١٤٠، والمحرر الوجيز ج ٣/٩٧،

وإلى أبان بن تغلب. ينظر: إعراب القرآن ج ٢/٢٤٠، ومختصر شواذ القرآن/٦٠.

(٤) البحر المحيط ج ٥/١١٨.

(٥) إعراب القرآن ج ٢/٢٤٠.

والفتح لغة واردة عن العرب، نسبت لغة الفتح إلى أهل الحجاز^١، وعزيت لغة الضم إلى تميم^٢.

٣- كما يلاحظ أيضا وقوع التبادل بين الحركات الثلاث في فاء لفظة (غلظة)، وهي لغات مسموعة، أشار إلى ذلك العكبري، فقال: " قوله تعالى: (غلظة)، يقرأ بضم الغين، وفتحها، وكسرهما، وهي لغات مسموعة"^٣، فهي على ذلك بمعنى واحد.

(١) الدر المصون ج٦/١٤٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ج٢/٢٤٠، والدر المصون ج٦/١٤٠.

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج١/٦٣٤-٦٣٥.

المبحث الخامس

الإشباع أو مطل الحركات

تمهيد:

الحركات في العربية نوعان: الأول: حركات قصيرة، وهي: (الفتحة، والكسرة، والضم)، والثاني: حركات طويلة (الألف، والياء، والواو)، وعلماء اللغة القدامى فطنوا إلى العلاقة الكامنة بينهما، ويتضح ذلك من خلال قول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو"^١.

وبناءً على هذا، فإن كلاً من الألف، والياء، والواو "توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة"^٢.

وهذه التبعية أو التنشئة للحركات الطوال عن الحركات القصيرة، هو ما أطلق عليه (الإشباع) كما هو ظاهر في سياق نص ابن جني السابق، أو "مطل الحركات"، وهذا المصطلح ذكره ابن جني عنوان باب من أبواب خصائصه^٣.

والإشباع في اللغة يطلق ويراد به: التوفية وبلوغ حد الكمال^٤، يقول الأزهري: "كل شيء توفره فقد أشبعته حتى الكلام يُشَبَعُ فيوفَّرُ حروفه"^٥.

وفي الاصطلاح: "عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف صيغة حرف المد أو اللين لمن له ذلك، وقد اصطالحوا على أنه بمقدار ألفين زيادة على المقدار الطبيعي بحيث يكون مقدار

(١) سر صناعة الإعراب ج ١/١٧.

(٢) المرجع السابق ج ١/٢٣.

(٣) الخصائص لابن جني ج ٣/١٢١.

(٤) الإضاءة في بيان أصول القراءة للعلامة المقرئ علي محمد الضباع/٢٧.

(٥) تهذيب اللغة ج ١/٤٤٧، وينظر كذلك لسان العرب ج ١٠/٣٦ م (شبع).

الحرف فيه ست حركات، أي بأن تمد صوتك بمقدار ثلاث ألفات، ولا يضبط إلا بالمشافهة والأخذ من أفواه المشايخ العارفين، ثم الإدمان عليه^١.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الإشباع وارد عن العرب في الحركات الثلاث (الفتحة، والكسرة، والضممة)، فتنشئ بعد "الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو"^٢.

وقد ذكر علماءنا القدامى أمثلة كثيرة، وارده عن العرب، تمثل الأنواع الثلاثة المشار إليها آنفاً، فمن الأمثلة التي تمثل إشباع الفتحة، قول عنتره:

يَنبَاعُ مِنْ ذَفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةَ زِيَاةٍ مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمَكْدَمِ^٣

ومن أمثلة إشباع الكسرة، قولهم: الصياريف في الصيارف^٤، والجلاعيد في الجلاعد^٥.

ومن الأمثلة الواردة عن العرب مشتملة على إشباع الضمة، قول الشاعر:

وَأَنْبِي حَيْثَ مَا يَشْرِي الْهَوَى بَصْرِي مِنْ حَيْثَ مَا سَلَكُوا أَدْنَا فَأَنْظُرُ^٦

(١) الإضاءة في بيان أصول القراءات/٢٧.

(٢) الخصائص لابن جني ج٣/١٢١.

(٣) هذا البيت لعنتره بن شداد، وموطن الشاهد فيه: قوله (ينباع)، ووجهه: أن أصله (ينبع)، فأشبعته الفتحة فتولدت بعدها ألف. ينظر: ديوان عنتره، المكتب الإسلامي، تحقيق محمد سعيد مولوي/٢١٠.

(٤) الصياريف: جمع صيرف على زنة جعفر وهو الخبير بالنقد الذي يتبادل بعضه ببعض، قال الفيومي: "الصرف فضل الدرهم في الجودة على الدرهم ومنه اشتقاق الصيرفي" المصباح المنير ج١/١٦٧ م (صرف).

(٥) الجلاعيد: جمع جْلَعْد، وهو الشديد. ينظر: الخصائص ج٣/١٢٣، والقاموس المحيط ج١/٢٨٢.

(٦) هذا البيت منسوب إلى إبراهيم بن هرمة بن حرث القرشي (ت١٧٦هـ)، والشاهد فيه قوله (أنظور)، ووجهه: أنه أراد (فأنظر) فأشبع الضم فنشأت الواو. ينظر: المحتسب ج١/٢٥٩، والخصائص ج٢/٣١٦.

*

وبعد...فهذه نبذة يسيرة عن تعريف الإشباع، وكيفيته، وصوره، وأمثلة وروده عن العرب، ذكرتها تمهيداً لمعرفة القراءات الشاذة في البحر المحيط، مشتملة على الإشباع، وفيما يأتي عرض ما ذكره أبو حيان في بحره المحيط من قراءات شاذة متناولة الإشباع، مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: إشباع الفتحة:

● تبياض-تسواد: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبو الجوزاء: تبياض وتسواد بألف^٢ فيهما"^٣.

ويلاحظ هنا أن أصل قراءة (تبياض) و (تسواد): (تبيضُّ) و (تسوُدُّ) إلا أنه أشبعت الفتحة التي على الياء والواو فتولدت عنها ألف، فصارت (تبياض) و (تسواد)، وهذا جائز في لغة العرب، قال أبو جعفر النحاس: "ويجوز (تبياض) وقد قرئ به"^٤، فالإشباع لغة، وقد أشار إلى ذلك كل من العكبري^٥، وابن عطية^٦.

(١) الآية رقم ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبي الجوزاء. ينظر: الدر المصون ج٣/٣٤٠، وإلى الزهري. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢٨، وفتح القدير للشوكاني ج١/٦٠٦، والجامع لأحكام القرآن ج٥/٢٥٥.

(٣) البحر المحيط ج٣/٢٥.

(٤) إعراب القرآن ج١/٣٩٩.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج١/٣٤٠.

(٦) المحرر الوجيز ج١/٤٨٧.

● متكأء: في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن: وابن هرمز: متكأء بالمد والهمز^٢، وهو مفتعل من الاتكأء، إلا أنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف"^٣.

ويتضح من كلام أبي حيان السابق ذكره أنه على وعي تام بما اشتملت عليه قراءة (متكأء) من المستوى الصوتي، حيث نص على أن ذلك من إشباع الحركة، أي حركة الكاف، وهي الفتحة، فتولدت منها الألف.

و(متكأء) هذه على زنة (مفتعال) أصلها: (متكأ) على زنة (مفتعل) من الاتكأء، إلا أنه أشبعت الفتحة التي على الكاف فتولدت عنها الألف، فصارت (متكأء)، أشار إلى ذلك ابن جني، حيث قال: "وأما متكأء) فعلى إشباع فتحة الكاف من (متكأ). وقد جاء نحو هذا، أنشدنا أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه:

فأنت من الغوائل حين تُرْمِي ومن ذم الرجال بمنزح

يريد بمنزح، وعليه قول عنتره، أنشدناه سنة إحدى وأربعين بالموصل:

ينباع من ذفري غضوب جسرة^٥.....

وقال: أراد ينبع، فأشبع الفتحة، فأنشأ عليها ألفا"^٦.

(١) الآية رقم ٣١ من سورة يوسف.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى الحسن. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٦٨، والمحتسب لابن جني ج ١/٣٣٩، والكشاف للزمخشري ج ٣/٦٧٧، ونسبت كذلك إلى ابن هرمز. ينظر: الدر المصون ج ٦/٤٧٨.

(٣) البحر المحيط ج ٥/٣٠٢.

(٤) هذا البيت منسوب إلى إبراهيم بن هرمة. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١/٣٤٠، والخصائص ج ٢/٣١٦، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ج ١/٦٩٧، والدر المصون ج ٦/٤٧٨.

وموطن الشاهد فيه قوله: (بمنزح)، ووجهه: أنه أشبعت حركة الفتحة التي على الزاي فتولدت عنها الألف، فصارت (بمنزح)، والمنزح: من النزح، وهو البعد.

(٥) هذا صدر البيت، وعجزه... ريادة مثل الفنيق المكدم. وهذا البيت سبق ذكره في صفحة ٢٠٧.

(٦) المحتسب ج ١/٣٤٠.

وبناء على هذا، فإن الألف في (متكأ) حركة طويلة تولدت عن إشباع الحركة القصيرة (الفتحة) التي على الكاف، وهذا ما يفهم من كلام أبي حيان في نقله هذه القراءة وتوجيهه لها، وإلى ذلك ذهب السمين الحلبي^١.

ثانياً: إشباع الضمة:

● فيهو: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن أبي إسحق^٣: فيهو بضم الهاء ووصلها بواو"^٤.

وأصل قراءة (فيه): (فيه) بضم الهاء على الأصل^٥، ثم أشبعت ضمة الهاء، فتولدت عنها الواو، وهذا جائز في العربية، وإلى ذلك أشار أبو جعفر النحاس، فقال:

"ويجوز فيهو هدى بالواو"^٦، وإلى ذلك ذهب القرطبي أيضاً^٧.

● أوتنا: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَاحِبُ اتِّنَانًا﴾^٨.

قال أبو حيان "وقرأ ورش والأعمش (أَنْ قَالُوا اتِّنَانًا) وأبو عمرو إذا أدرج بإبدال همزة فاء (اتِّنَانًا) واو الضمة حاء (صالح)، وقرأ باقي السبعة بإسكانها، وفي كتاب ابن عطية قال أبو حاتم:

(١) الدر المصون ج ٦/٤٧٨.

(٢) الآية رقم ٢ من سورة البقرة.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٨٤، ومعجم القراءات ج ١/٢٨.

(٤) البحر المحيط ج ١/١٦٠.

(٥) المحرر الوجيز ج ١/٨٤، والدر المصون ج ١/٨٨، وإعراب القراءات الشواذ ج ١/١٠٩-١١٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٧٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ج ١/٢٤٦.

(٨) الآية رقم ٧٧ من سورة الأعراف.

قرأ عيسى وعاصم أوتنا^١ بهمز وإشباع ضمّ انتهى ، فلعله عاصم الجحدري لا عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة^٢ .

قال السمين الحلبي: "وقرأ عاصم وعيسى بن عمر: أوتنا بهمز وإشباع ضم، ولعله عاصم الجحدري لا ابن أبي النجود، وهذه القراءة لا تبعد عن الغلط؛ لأن همزة الوصل في هذا النحو مكسورة، فمن أين جاءت ضمة الهمزة إلا على التوهّم؟"^٣ .

تعقيب على ما ذكره أبو حيان والسمين الحلبي:

ما ذكره أبو حيان والسمين الحلبي من ترجيح نسبة القراءة إلى عاصم الجحدري لا ابن أبي النجود ترجيح سديد، وافق الصواب، يؤيده ما في كتب القراءات، وغيرها، حيث لم يرد فيها نسبة (أوتنا) إلى عاصم ابن أبي النجود، وإنما نص بعضهم على نسبتها إلى عاصم الجحدري^٤ . ولكن ما ذكره السمين الحلبي من أن هذه "القراءة لا تبعد عن الغلط، لأن همزة الوصل في هذا النحو مكسورة، فمن أين جاءت ضمة الهمزة إلا على التوهّم؟"^٥ ، قول فيه تحامل على القراءة!! .

فالقراءة على الرغم من شدوذها رواية، إلا أنه يوجد من الأدلة ما يعاضدها ويؤيدها لغة، فقد روي عن أبي عمرو أنه يبدل الهمزة التي هي فاء (ائتنا) واواً إتباعاً للضمة التي على الحاء من (يا صالح)^٦ .

وبناء على هذا، يمكن القول بأن همزة الوصل سقطت، لأنها وقعت في درج الكلام، ثم ضمت الهمزة التي هي فاء (ائتنا) إتباعاً للضمة التي قبلها- كما حدث إبدالها واواً في قراءة أبي عمرو للإتباع أيضاً، ثم أشبعت هذه الضمة، فتولدت عنها واو .

(١) نسبت قراءة (أوتنا) بالهمزة وإشباع الضم إلى عيسى بن عمر، وعاصم الجحدري. ينظر: الدر المصون ج ٥/٣٦٧، ومعجم القراءات ج ٣/٩٨ .

(٢) البحر المحيط ج ٤/٣٣٤ .

(٣) الدر المصون ج ٥/٣٦٧ .

(٤) معجم القراءات ج ٣/٩٨ .

(٥) الدر المصون ج ٥/٣٦٧ .

(٦) ينظر: التذكرة في القراءات لابن غلبون/٩٧، وجامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو الداني/٢٤٠-٢٤١، والبدور الزهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي/١١٤ .

● سأوريكم: بالإشباع في قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن (سَأُورِيكُمْ) بواو ساكنة بعد الهمزة^٢ على ما يقتضيه رسم المصحف، ووجهت هذه القراءة بوجهين، أحدهما: ما ذكره أبو الفتح وهو أنه أشبع الضمة ومطلَّها فنشأ عنها الواو، قال: ويحسن احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصوت فيه"^٣.

ويلاحظ من نص أبي حيان السابق أنه ذكر القراءة، واحتج لها بكلام ابن جني، وتصرف أبو حيان فيما نقله عن ابن جني، فنص كلام ابن جني، هو: "ظاهر هذه القراءة مردود، لأنه سأفعلكم من رأيت، وأصله سأزئركم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأريكم. قالوا: وإذا لا وجه لها، ونحو من هذا قراءته أيضاً: (ولا أدزأتكم به)، إلا أن له وجهاً مّا، وهو أن يكون أراد: (سأريكم)، ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واواً، فصارت (سأوريكم). وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثراً ونظماً....^٤ فإذا جاز هذا ونحوه نظماً ونثراً ساغ أيضاً أن يُتأوَّلَ لقراءة الحسن (سأوريكم)، أراد سأريكم وأشبع ضمة الهمزة فأنشأت عنها واواً، وهو أبو سعيد، المأثور من فصاحته ومُتَعَالَمِ قُوَّةِ إِعْرَابِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ! فهذا مع ما فيه من نظائره أمثل من أن يتلقى بالرد صرفاً غير منظور له ولا مسعياً في إقامته. وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصوت فيه، وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه"^٥.

(١) الآية رقم ١٤٥ من سورة الأعراف.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى الحسن بن أبي الحسن. ينظر: المحتسب ج ١/٢٥٨، والكشاف ج ٢/٥٠٩، والمحرر الوجيز ج ٢/٤٥٣.

(٣) البحر المحيط ج ٤/٣٨٨.

(٤) هذه النقاط علامة لترك جزء كبير من نص ابن جني، وفيه أمثلة كثيرة للإشباع من النثر والنظم. ينظر: المحتسب ج ١/٢٥٨-٢٥٩.

(٥) المحتسب لابن جني ج ١/٢٥٨-٢٥٩.

كما يلاحظ أيضاً أن سياق عبارة ابن جني غير متناسق لعلتين: إحداهما: كيف يأتي القول بأن ظاهر " هذه القراءة مردود"، ثم يتبع ذلك بقوله: " وهو أبو سعيد المأثور فصاحته.. " فنص العبارة على هذا النسق لا يتأتى، إذ كيف تكون علة رد القراءة أنه أبو سعيد المأثور فصاحته، هذه واحدة.

الثانية: أن أبا سعيد-الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري- كان إمام زمانه عالماً وعملاً، فقد روي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال " لو أشاء أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت: لفصاحته"^١.

فإذا كان الرجل هذه شيمته، وتلك بعض فضائله، فلا يمكن أن يقبل العقل أن تُردّ القراءة لأجل أنها رويت عن أبي سعيد.

وفضلاً عن ذلك فإن الضابط العمدة في الحكم بقبول القراءة أو ردها هو تواترها عن رسول الله ﷺ أو عدم تواترها، وليس كونها مروية عن أبي سعيد أو غيره.

وبناء على ما سبق، يغلب على ظني أنه حدث سقط في العبارة سهواً من النساخ، وعليه لعل صواب العبارة هو: " ظاهر هذه القراءة مردود، إلا أن لها ما يؤيدها (أي لغة)، وهو أبو سعيد المأثور فصاحته".

هذا وللعلماء في تخريج قراءة (سأوريكم) وجهان:

الأول: أنها على الإشباع، وهو ما ذكره ابن جني، ونقله عنه أبو حيان.

ولكن أبا حيان ضعّف هذا التوجيه بقوله بعد نقله كلام ابن جني: " وهذا التوجيه ضعيف؛ لأن لإشباع بابه ضرورة الشعر"^١، وبهذا القول قال السمين الحلبي حيث قال: " لكن الإشباع بابه ضرورة عند بعضهم"^٢.

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ١/٢١٣.

في حين قال الألوسي: "واختار ابن جني في تخرّيج هذه القراءة، ولعله الأظهر، أنّها على الإشباع"^٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الحكم بأنّ الإشباع بابه الضرورة - كما نص على ذلك أبو حيان والسمين الحلبي - كلام يخالف الوارد المنصوص عليه من القراءات - المتواترة منها والشاذة - ومن منثور كلام العرب.

فمن القراءات المتواترة التي اشتملت على الإشباع:

قراءة ابن كثير بوصل الهاء - هاء الكناية - بياء، سواء كان قبلها ياء، أو واو، أو ألف، أو حرف ساكن، أو متحرك^٤، مثل (فيهي هدى)^٥، و (اجتباهو وهداهو)^٦، و (وما أنسانيهو إلا)^٧.

ومنها: رواية ورش عن نافع، وقراءة الكسائي: (أرجهي وأخاه)^٨.

ومن القراءات الشاذة التي وردت مشتملة على الإشباع تلك الأمثلة التي يشتمل عليها هذا المبحث، والتي أوردها أبو حيان - رحمه الله - في بحره المحيط.

(١) البحر المحيط ج ٤/٣٨٨.

(٢) الدر المصون ج ٥/٤٥٦.

(٣) روح المعاني ج ٩/٦٠.

(٤) السبعة لابن مجاهد/١٣٠.

(٥) الآية رقم ٢ من سورة البقرة.

(٦) الآية رقم ١٢١ من سورة النحل.

(٧) الآية رقم ٦٣ من سورة الكهف.

(٨) الآية رقم ١١١ من سورة الأعراف و٣٦ من سورة الشعراء. ينظر: السبعة لابن مجاهد/٢٨٩، والتذكرة لابن غلبون/٢٧٢، والتيسير لأبي عمرو الداني/٩٢.

وأما ما ورد من منشور كلام العرب، فيقول ابن جني: "وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثراً ونظماً، فمن المنشور، قولهم: بينا زيد قائم جاء عمرو، إنما يراد بين أوقات زيد قائم جاء فلان، فأشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفا. ومثله قول عنتره:

ينباع من ذفري غضوب جسرة.....

أراد ينبع...، ورى الفراء عن بعضهم أنه سمعه يقول: أكلت لحما شاة، وهو يريد لحم شاة، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً^١.

والذي يبدو مما سبق أن الإشباع ورد كثيراً في الشعر، ولعل هذا هو الذي دفع علماءنا إلى القول بأن الإشباع بابه الضرورة، في حين يقل وروده في النثر، يقول ابن جني: "ولعمري إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر، وقلما يجيء في النثر"^٢.

لكن ما دام قد ثبت وروده في المتواتر من القراءات، فلا يمكن رده أو الاعتراض عليه بأن بابه ضرورة الشعر.

الثاني: هو ما ذكره الزمخشري، حيث قال: "وقرأ الحسن (سأوريكم) وهي لغة فاشية بالحجاز، يقال: أوري كذا، وأوريت، ووجهه أن تكون من أوريت الزند، كأن المعنى: بينه لي وأنره لأستبينه"^٣.

وذكر أبو حيان ذلك أيضاً، وزاد عليه بأن قال: "وهي أيضاً في لغة أهل الأندلس كأنهم تلقفوها من لغة الحجاز، وبقيت في لسانهم إلى الآن، وينبغي أن ينظر في تحقق هذه اللغة، أهى في لغة الحجاز أم لا"^٤.

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٢٥٨.

(٢) المرجع السابق ج ١/٣٤٠.

(٣) الكشف ج ٢/٥٠٩.

(٤) البحر المحيط ج ٤/٣٨٨.

والذي أرجحه-والله أعلم- هو ما ذهب إليه ابن جني، وذلك لأن الموضع- كما ذكر ابن جني- موضع وعيد وإغلاظ، وأتى بالإشباع ليعبر عن ذلك.

المبحث السادس

تقصير الحركة الطويلة

تمهيد:

لم تكن البيئة العربية القديمة على وتيرة واحدة في نطقها بعض الألفاظ، وإنما اختلفت تبعاً لاختلاف طبيعتها، فالبيئة البدوية آثرت الهمز، والإدغام، وغير ذلك، في حين آثرت الحضرية التخفيف، والفك، إلى غير ذلك، وذلك في الغالب.

ومن هذا القبيل ظاهرة تقصير الحركة الطويلة، والاجتزاء عنها بالحركة القصيرة.

وبناءً على هذا، فإن تقصير الحركة الطويلة يتفق مع طبيعة القبائل البدوية، يشير إلى ذلك الدكتور/إبراهيم أنيس، حيث يقول: "تميل القبائل البدوية إلى السرعة في نطقها، وتلمس أيسر السبل، فتدغم الأصوات بعضها في بعض، وتسقط منها ما لا يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع"^١.

وقد اشتملت القراءات الشاذة على تقصير الحركة الطويلة، وفيما يأتي عرضها من البحر المحيط مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

• **وَرُبِعٌ**: في قوله تعالى: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ النخعي وابن وثاب: ورُبِع ساقطة الألف^٣، كما حذفت في قوله: وحلياناً برداً يريد بارداً"^٤.

ويذكر ابن جني قراءة تقصير الحركة الطويلة من (رباع) والاجتزاء عنها بالفتحة القصيرة، ثم يحتج لها بقوله: "ومن ذلك ما رواه الأعمش عن يحيى بن وثاب، والمغيرة عن إبراهيم

(١) في اللهجات العربية/١١٥.

(٢) الآية رقم ٣ من سورة النساء.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/١٨١، والجامع لأحكام القرآن ج ٦/٣٠، والمحرر الوجيز ج ٢/٧٠.

(٤) البحر المحيط ج ٣/١٧١.

قراءتهما (وربع)، مرتفعة الراء، منتصبه العين بغير ألف. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون محذوفاً من (رُباع) تخفيفاً، كما روينا عن قطرب:

ألا لا بارك الله في سهيلٍ إذا ما الله بارك في الرجال^١
فحذف ألف (الله)... ومما حذف ألفه تخفيفاً أيضاً قولهم: أم والله لأفعلن كذا، يريد أما...^٢،
وإلى ذلك أشار القرطبي^٣.

يقول العكبري: "قوله: (ورباع) بالألف، ويقرأ بغير ألف، حذفها تخفيفاً.."^٤، وقال ابن عطية: "وتلك لغة مقصدها التخفيف"^٥.

● ابنة: في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾^٦.

قال أبو حيان: "وقرأ عليّ، وعروة، وعليّ بن الحسين، وابنه أبو جعفر، وابنه جعفر: ابنه بفتح الهاء من غير ألف^٧، أي: ابنها مضافاً لضمير امرأته، فاكتفى بالفتحة عن الألف"^٨.

(١) الخصائص لابن جني ج ٣/١٣٤، والمحتسب ج ١/١٨١، ولسان العرب لابن منظور ج ١٧/٣٦٣ م (أله).

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/١٨١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٦/٣٠.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٣٦٦.

(٥) المحرر الوجيز ج ٢/٧.

(٦) الآية رقم ٤٢ من سورة هود.

(٧) هذه القراءة نسبت إلى علي بن أبي طالب، وعروة بن الزبير، وأبي جعفر، وجعفر بن محمد. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١/٣٢٢، والمحرر الوجيز ج ٣/١٧٣، وإلى وعروة بن الزبير، وأبي جعفر، وجعفر بن محمد. ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/١٧٣، وإلى هشام بن عروة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٦٥.

(٨) البحر المحيط ج ٥/٢٢٦.

ويحتج ابن جني لهذه القراءة، فيقول: "أما (ابنة) فإنه أراد (ابنها)، كما يروى عن عروة فيما قرأ: (ابنها)، يعني ابن امرأته، لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه: (وأهلك)، فحذف الألف تخفيفاً، كقراءة من قرأ (يا أبت)¹. قال أبو عثمان يريد: يا أبتاه...²".

وقد أشار القرطبي إلى هذه القراءة، فقال معللاً لها: "فأما: (ونادى نوح ابنه وكان) فقراءة شاذة، وهي مروية عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعروة بن الزبير. وزعم أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد "ابنها" فحذف الألف كما تقول: "ابنه" فتحذف الواو. وقال النحاس³: وهذا الذي قال أبو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه، لأن الألف خفيفة فلا يجوز حذفها، والواو ثقيلة يجوز حذفها"⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقصير الحركة الطويلة ثبت وروده في منظوم كلام العرب ومنثوره، واشتملت عليه القراءات، فلا حجة إذاً لمن ذهب إلى تخطئة من أجاز حذف الحركة الطويلة، أو إلى من ذهب بأن الألف خفيفة فلا حاجة إلى تخفيفها، فقد ذكرنا أن الفتح أخف الحركات الثلاث، ومع هذا فقد ورد عن العرب حذفه تخفيفاً في منثور كلامهم ومنظومه أيضاً، وسجلته القراءات.

فالأولى إذاً القياس والاحتجاج بما ورد في قراءات القرآن الكريم متواترها وشاذها لا الاحتجاج عليها.

(١) الآية رقم ٤ من سورة يوسف، ورقم ٤٢، و٤٣، و٤٤، و٤٥ من سورة مريم، ورقم ٢٦ من سورة القصص، ورقم ١٠٢ من سورة الصافات. فقرأ بفتح التاء في هذه المواضع كلها في السور الأربعة من السبعة ابن عامر الدمشقي، ومن العشرة أبو جعفر المدني. ينظر: النشر لابن الجزري ج ٢/٢٢٣، والبدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي/٢٣٩، والاتحاف ج ٢/١٣٩، ونسبت هذه القراءة أيضاً إلى الأعرج. ينظر: معجم القراءات ج ٤/١٧٢.

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/٣٢٢-٣٢٣.

(٣) إعراب القرآن ج ٢/٢٨٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١١/١٢٣.

• مَلِح: في قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا مَلِحٌ أَجَاجٌ ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ طلحة وقتيبة عن الكسائي (مَلِحٌ) بفتح الميم وكسر اللام^٢ وكذا في فاطر . قال أبو حاتم وهذا منكر في القراءة . وقال أبو الفتح أراد مالحاً وحذف الألف كما حذف من برد أي بارد . وقال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح : هي لغة شاذة قليلة . وقيل : أراد مالح فقصره بحذف الألف"^٣.

ذكر ابن جني هذه القراءة، ثم نقل كلام أبي حاتم، وحمله على أنه "يجوز أن يريد به أنه لم يسمع في اللغة، وإن كان سُمع فقليل وخبيث، ويجوز أن يكون ذهب فيه إلى أنه أراد مالح، فحذف الألف تخفيفاً"^٤.

ويذكر العكبري قراءة (مَلِح)، معللاً لها بقوله: "قوله تعالى (مَلِح)، يقرأ بفتح الميم وكسر اللام، وأصله مالحٌ، وقد قرئ به، فحذفت ألف فاعل، كما قالوا في: عارد عَرِد وفي بارد بَرِد"^٥.

(١) الآية رقم ٥٣ من سورة الفرقان.

(٢) ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠٦، وإلى طلحة بن مصرف. ينظر: المحتسب ج ٢/١٢٤.

(٣) البحر المحيط ج ٦/٤٦٤.

(٤) المحتسب ج ٢/١٢٤.

(٥) إعراب القراءات الشاذة ج ٢/٢٠٣.

المبحث السابع

حذف الصائت

تمهيد:

مالت بعض لهجات العرب إلى حذف أحد الصوائت المتجاورة، سواء أكانت متماثلة أم متقاربة، وسواء أكانت جزءاً من الشكل في بنية الكلمة أم كانت ذات وظيفة إعرابية^١، وذلك طلباً للخفة؛ لأن الساكن "أخف من المتحرك"^٢.

وقد فطن علماء اللغة القدامى إلى هذه الظاهرة فأشاروا إليها، من ذلك قول عيسى ابن عمر: "كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، مثل: عُسْر وعُسْر، ورُحْم ورُحْم، وحُلْم وحُلْم، ويُسْر ويُسْر، وعُصْر وعُصْر"^٣.

وعقد سيبويه لها باباً قال فيه:

" هذا باب ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك".

وذلك قولهم في فخذٍ: فخذٌ، وفي كبدٍ: كبدٌ، وفي عضدٍ: عضدٌ، وفي الرجلِ: رجلٌ، وفي كرمٍ الرجلِ: كرمٌ، وفي علمٍ: علمٌ، وهي لغة بكر بن وائل، وأناسٍ كثير من بني تميم"^٤.

ويذكر ابن جني أن ما كان متحركاً ثم أسكن يأتي على ضربين "متصل ومنفصل. فالمتصل، ما كان ثلاثياً مضموم الثاني أو مكسوره؛ فلك فيه الإسكان تخفيفاً، وذلك كقولك في علم: قد

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/عبده الراجحي/١٥٣.

(٢) خصائص اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/١١٥.

(٣) المزهر للسيوطي ج ٢/١٠٨-١٠٩.

(٤) الكتاب لسبويه ج ٤/١١٣.

عَلِمَ، وفي ظَرْفٍ: قد ظَرْفٌ، وفي رجلٍ: رَجُلٌ...^١، وذكر ابن جني أيضاً أنه "قد سُمِعَ شيءٌ من هذا الإسكان في المفتوح، قال الشاعر:

وما كل مبتاع ولو سلف صفقه براجع ما قد فاته برداد^٢

وقد جاء هذا فيما كان على أكثر من ثلاثة أحرف، قال العجاج:
فبات منتصباً وما تكردسا^٣.

وأشار ابن جني أيضاً إلى النوع الثاني مما كان متحركاً ثم أسكن، وهو المنفصل، فقال: "وأما المنفصل فإنه شبه بالمتصل"^٤، وذكر له من الأمثلة "قراءة بعضهم:

﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّقُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ﴾ وذلك أن قوله (تق و) بوزن عَلِمَ فأسكن، كما يقال: عَلِمَ^٥.

وعُزِّي حذف الصائت إلى القبائل البدوية، كتميم^٦، وبكر بن وائل^٧، وتغلب^٨، وأسد^٩، وغيرها.

(١) الخصائص ج ٢/٣٣٨.

(٢) هذا البيت للأخطل وروايته في ديوانه، هكذا:

وما كل مغبون ولو سلف صفقه * براجع ما قد فاته برداد

وموطن الشاهد فيه: (سَلْفٌ)، ووجهه: أنه خفف فتحة اللام، لتوسطها بين مثيلتيها، بإسكانها.

والبيت في ديوان الأخطل التغلبي، شرح/مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١،

١٤١٤هـ=١٩٩٤/٨٤.

(٣) الخصائص ج ٢/٣٣٨.

(٤) المرجع السابق ج ٢/٣٣٩.

(٥) الآية رقم ٩٠ من سورة يوسف.

(٦) الخصائص ج ٢/٣٣٩.

(٧) الكتاب لسبويه ج ٤/١١٣، والاتحاف ج ١/٤٠٦.

(٨) الكتاب لسبويه ج ٤/١١٣.

(٩) اللهجات في الكتاب د/صالحة راشد غنيم/١٣٧.

(١٠) الاتحاف ج ١/٤٠٦.

وبعد، فإذا كان حذف الصائت قد ورد وقوعه في اللهجات العربية، فإن القراءات الشاذة قد اشتملت على حذف الصائت، وفيما يأتي عرضها من البحر المحيط مع تحليلها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: حذف الضم:

لما كان الضم أثقل الحركات العربية الثلاث، تُخَفَّفُ منه بعضُ العرب بحذفه، فراراً من ثقله، وقد وردت قراءات شاذة تناولت حذف الصائت القصير، ومنها:

● ظلمات: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^١.

قال أبو حيان "وقرأ الجمهور: في ظلمات بضم اللام، وقرأ الحسن، وابن السماك: بسكون اللام..."^٢.

ويذكر ابن جني أن علة حذف الصائت المرسوم بالضم من لام (ظلمات) هو التخفيف، حيث قال: "ومن استثقل اجتماع الثقيلين... يسكن، فيقول: ظلمات"^٣.

وبناءً على هذا، فإن الضم لما كان في حالة انفراده عن مثيله ثقيلًا ويتخفف منه، فهو في حالة اجتماعه مع مثيله يعد أكثر ثقلاً. وقد زاد في ثقلهما في لفظ (ظلمات) ونحوها، اجتماعهما في الجمع المؤنث، وكل من الجمع والتأنيث ثقيل، لذ حسن حذف الضم من لام (ظلمات) ونحوه، وهو لغة مسموعة عن العرب، أشار إلى ذلك كل من ابن جني^٤، والعكبري^٥.

● حَسَنَ: في قوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَادِكَ رَفِيقًا﴾^٦.

(١) الآية رقم ١٧ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٢١٥، نسبت هذه القراءة إلى الحسن وأبي السمال. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠، والمحتسب ج ١/٥٦، والمحور الوجيز ج ١/١٠٠، ونسبت كذلك إلى الأعمش. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ج ١/٣٢٣.

(٣) المحتسب ج ١/٥٦.

(٤) المحتسب ج ١/٥٦.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٢٨.

(٦) الآية رقم ٦٩ من سورة النساء.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور : وحسُن بضم السين ، وهي الأصل ، ولغة الحجاز . وقرأ أبو السمال : وحسُن بسكون السين^١ وهي لغة تميم"^٢ .

يقول العكبري معللاً لهذه القراءة: " قوله (وحسُن)، يقرأ بإسكان السين، وتسكين المضموم والمكسور جائز، فراراً من ثقل الضمة والكسرة"^٣ .

والملاحظ هنا أنه قد تم حذف الضمة من السين في لفظ (حسُن) على الرغم من توسطها بين خفيفتين، وهما الفتحتان، ولعل العلة في الحذف في مثل (حسُن) راجعة إلى كراهة الانتقال من أخف الحركات، وهو الفتح إلى أثقل الحركات، وهو الضم، لذلك حذف الضم فراراً من ثقله، حتى يتم الانتقال مما هو خفيف إلى ما هو أخف منه، وهو السكون، لأن الساكن " أخف من المتحرك"^٤ .

● ابنه: في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾^٥ .

ورد عن العرب حذف الصائت المرسوم بالضم من هاء الكناية من المذكر في نحو (ابنه)، وقد أشار إلى ذلك أبو حيان، فقال: " وقرأ ابن عباس : (ابنه) بسكون الهاء^٦ ، قال ابن عطية وأبو الفضل الرازي^٧ : وهذا على لغة لأزد السراة ، يسكنون هاء الكناية من المذكر"^٨ .

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج١/٤٦٩، والمحزر الوجيز ج٢/٧٦، ونسبت- كذلك- إلى قعنب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٣.

(٢) البحر المحيط ج٣/٣٠١.

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج١/٣٩٤.

(٤) خصائص اللغة العربية أ.د/محمد حسن حسن جبل/١١٥.

(٥) الآية رقم ٤٢ من سورة هود.

(٦) المحتسب ج١/٣٢٢، والدر المصون ج٦/٣٢٨، ومعجم القراءات ج٤/٥٦.

(٧) المحزر الوجيز ج٣/١٧٣، لم أجد قراءة ابن عباس- كما ذكره أبو حيان- في تفسير الرازي، ولا كلام الرازي أنه على لغة الأزد السراة.

(٨) البحر المحيط ج٥/٢٢٦.

ويذكر ابن جني أن من العرب " من يسكن الهاء المضمره إذا وصلها فيقول: مررت به أمس، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزد السراة... وروينا عن قطرب قول الآخر^١:

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا لأن عيونه سيل واديبها^٢

وعزي حذف الصائت من هاء الضمير أيضا إلى عقيل، وبني كلاب^٣، ويذهب الكسائي إلى أنه لغة أعراب عقيل وبني كلاب، حيث قال: " سمعت أعراب عقيل وكلاب، يقولون: (لربة لكنود) بالجزم"^٤.

هذا، وعلى الرغم مما سبق ذكره من أن حذف الصائت من هاء الضمير لغة واردة عن العرب، فإن أبا حيان ذكر أن "من النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة"^٥.

وخطأ أبو عبيد إسكان هاء الضمير في قراءة (يؤدّه)^٦ في قوله تعالى: ﴿يَقْنَطَارِ يُؤَدِّهِ﴾^٧ وإيالك^٨، وما شاكلها، حيث قال: " من أسكن الهاء فقد أخطأ، لأن الهاء اسم والأسماء لا تجزم"^٩، وذهب كذلك كل من الزجاج^{١٠}، والنحاس^{١١} إلى القول بتغليب إسكان هاء الضمير في (يؤده) ونحوها.

(١) هذا البيت منسوب لدريد بن الصمة. ينظر: المحتسب ج ١/٢٤٤، والخصائص ج ١/١٢٨، والدر المصون ج ٦/٣٢٨.

(٢) المحتسب ج ١/٢٤٤.

(٣) البحر المحيط ج ٥/٢٢٦، والدر المصون ج ٦/٣٢٨.

(٤) معاني القرآن للكسائي/١٠١.

(٥) البحر المحيط ج ٥/٢٢٦.

(٦) نسبت هذه القراءة المتواترة إلى أبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وحمزة. ينظر: التذكرة لابن غلبون/٢٢١، والتيسير لأبي عمرو الداني/٧٤.

(٧) الآية رقم ٧٥ من سورة آل عمران.

(٨) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ج ١/١١٥.

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١/٤٣٢.

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ج ١/٣٨٧.

والحقيقة التي لا تنكر هي أن إسكان هاء الضمير لغة واردة عن العرب، ولها ما يؤيدها من الجانب الصوتي، وقد ورد في المتواتر من القراءات^١.

وبناءً على هذا، فإن القول بأن حذف الصائت من هاء الضمير خطأ أو غلط، قول فيه نظر؛ لأن ما تواتر عن النبي ﷺ لا شك أنه فصيح صحيح، وليس بخطأ أو غلط.

وأما عن القول بأن حذف الصائت من هاء الضمير مخصوص بالضرورة، فهو قول غير مقبول ولا يصح؛ لأنه لا ضرورة في القرآن ولا في قراءاته.

والذي يبدو لي من خلال تتبع اعتراضات بعض اللغويين على إسكان هاء الضمير، أن اعتراضهم ليس من قبيل الجرأة أو الهجوم على القراءات، وإنما هو من قبيل خوفهم وحرصهم على الإعراب، ولا شك أن في ذلك محافظة على القرآن وقراءاته، فهم ظنوا أن القراءة بالإسكان في نحو (يؤده) علامة على جزم الفعل مع أن ذلك ليس وارداً أبداً، لأنه ليس كل إسكان علامة جزم، وقد فطن إلى ذلك ابن خالويه حيث ذكر أن القراءة بإسكان هاء الضمير في (يؤده) وما شاكلها ليست "غلطاً"، وذلك أن الهاء لما اتصلت بالفعل فصارت معه كالشيء الواحد خففوها بالإسكان، وليس كل سكون جزماً^٢.

والذي يؤكد ما سبق ويدل عليه أنني لم أجد أحداً على حد بحثي من العلماء القدامى، أنه اعترض على قراءة (ابنه) في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ اللهم إلا ما ذكره أبو حيان من أن "من النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة"^٣، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما ذكرنا من أن اعتراضهم على إسكان هاء الضمير في نحو (يؤده) كان من أجل المحافظة على الإعراب، ولكن مع هذا فهُمْ قد جانبوا الصواب فيما ذهبوا إليه؛ لأنه لم يرد عن أحد القول بأن الإسكان هنا علامة جزم، فضلاً عن ذلك فإن الإسكان قد ثبت تواتره عن النبي ﷺ، وورد عن الفصحاء من العرب، فلا وجه إذن لرده أبداً، أو الاعتراض عليه.

(١) كقراءة (يؤده) المنسوبة إلى أبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وحمزة، المذكور آنفاً، وغيرها.

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ج ١/١١٥-١١٦.

(٣) البحر المحيط ج ٥/٢٢٦.

ومما سبق يتضح جلياً أن القراءة الشاذة، وإن كانت قد شذت في الرواية، إلا أنها لم تشذ في الغالب، عن المعروف والموثوق به من لغة العرب.

ثانياً: حذف الكسر:

ورد عن العرب حذف الصائت الموسوم بالكسر، فراراً من ثقله، سواء أكان مسبوqاً بصائت مماثل له أم لا؟، فقد أشار سيبويه إلى ثقله في حالة ما إذا سبق بكسر، وكراهية العرب له، فقال: " وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان، وذلك قولك في إِبِلٍ: إِبِلٌ"¹.

وعدَّ ابن جني إسكان المكسور نوعاً من أنواع الإسكان المتصل، وذكر أن لك فيه "الإسكان تخفيفاً، وذلك كقولك في عِلْمٍ: قد عِلْمٌ"².

وفي القراءات الشواذ أمثلة عديدة مشتملة على حذف الكسر، وأورد أبو حيان في البحر المحيط عدداً منها، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● مَلِكٌ: في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾³.

قال أبو حيان: " وقرأ مَلِكٌ على وزن سهلٌ أبو هريرة وعاصم المجذري، ورواها الجعفي وعبد الوارث عن أبي عمرو، وهي لغة بكر بن وائل".

وقد احتج لهذه القراءة ابن خالويه، فقال: " فأما ما رواه عبد الوارث عن أبي عمرو (مَلِكٌ يوم الدين)، فإنه أسكن اللام تخفيفاً، كما يقال في فَحَدٌ: فَحَدٌ، وقال الشاعر⁴:

(١) الكتاب لسيبويه ج ٤/١١٥.

(٢) الخصائص ج ٢/٣٣٨.

(٣) الآية رقم ٤ من سورة الفاتحة.

(٤) هذه القراءة نسبت إلى أبي عمرو بهذه الرواية. ينظر: السبعة لابن مجاهد/١٠٥، ومختصر شواذ القرآن/٩، والمحرر الوجيز ج ١/٦٨، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ج ١/٣٥، والدر المصون ج ١/٥٠ بدون نسبة.

(٥) هذا موجود في إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه/٣٤ بلا نسبة.

من مِشِيَةٍ فِي شَعْرٍ تَرَجَلَهُ تَمَشِي الْمَلِكِ عَلَيْهِ حَلَلُهُ^١

وإلى ذلك ذهب ابن الأنباري^٢.

وبناء على هذا، فأصل (مَلِك) بكسر اللام على فَعِل، إلا أنه حذفت منه كسرة العين تخفيفاً، "كما قالوا في كَتِف: كَتَف، وفي فَعِد: فَخَذ"^٣، وقد ورد هذا الحذف في المنظوم من كلام العرب، كما ورد في المنشور، من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

وَأَيَّامٌ لَنَا غَرَّ طَوَالَ عَصِينَا الْمَلِكِ فِيهَا أَنْ نَدِينَا^٤

ويرى ابن مجاهد أن إسكان لام (مَلِك) إنما هو "من اختلاس^٥ أبي عمرو الذي كان يفعله كثيراً، وهو كقول العرب في كَبِد: كَبَد، يسكنون وسط الاسم في الضم والكسر استثقالا"^٦.

• كلمة: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ﴾^٧.

(١) إعراب القراءات السبع وعللها ج ١/٤٨.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٣٥.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٣٥.

(٤) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم. ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق وشرح الدكتور/اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م/٧١.

(٥) الاختلاس في اللغة: الاختطاف، يقال: "خلست الشيء خلساً من باب ضرب اختطفته بسرعة على غفلة" أ.هـ المصباح المنير ج ١/٨٨.

ويعرف الاختلاس في الاصطلاح بأنه: "وقيل الاختلاس عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن.

=وقيل هو: عبارة عن النطق بثلاثي الحركة، والصحيح أنهما مترادفان وأهما عبارة عن النطق بثلاثي الحركة، ولذا عبروا بكل منهما عن الآخر.. ينظر: الإضاءة في بيان أصول القراءة/٣٩-٤٠.

(٦) السبعة لابن مجاهد/١٠٥.

(٧) الآية رقم ٦٤ من سورة آل عمران.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو السمال: كلمة^١، كضربة، و: كلمة، كسدره"^٢.

ويقول ابن عطية معللاً لهذه القراءة: "وقرأ جمهور الناس: (إلى كلمة) بفتح الكاف وكسر اللام، وروى أبو السمال (كلمة) بفتح الكاف وسكون اللام، وروي عنه أنه قرأ: (كلمة) بكسر الكاف وسكون اللام، وذلك على إلقاء حركة اللام على الكاف، كما قالوا في كبد: كبد بكسر الكاف وسكون الباء"^٣.

وعُزي النطق بإسكان اللام إلى تميم، أشار إلى ذلك ابن منظور، فقال: "وتميم تقول هي كلمة بكسر الكاف، وحكى الفراء فيها ثلاث لغات: كلمة، وكلمة، وكلمة مثل: كبد وكبد و كبد وورق و ورق وورق.. والكلمة لغة تميمية، والكلمة اللفظة حجازية"^٤.

• ولتصغي، وليرضوه، وليقتروا: في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن بسكون اللام في الثلاثة"^٦.

وقيل عنه في (ليرضوه) (وليقتروا) بالكسر في (ولتصغي).

وقال أبو عمرو الداني: "قراءة الحسن إنما هي (ولتصغي) بكسر الغين" انتهى"^٧.

قال ابن عطية وهو يذكر هذه القراءة وعلتها: "قال أبو الفتح: قرأها الحسن بالتسكين في الثلاثة وهي لام كي، وهي معطوفة على قوله: (غوراً)، التقدير لأجل الغرور (ولتصغي) وإسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال قوي في القياس.

(١) نسبت هذه القراءة إلى أبي السمال. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٤٤٨-٤٤٩، والدر المصون ج ٣/٢٣١، ونسبت -

أيضاً- إلى قعنب. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ج ٥/١٦١، والدر المصون ج ٣/٢٣١.

(٢) البحر المحيط ج ٢/٥٠٦.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٤٤٨-٤٤٩.

(٤) لسان العرب ج ١٥/٤٢٨ م (كلم).

(٥) الآية رقم ١١٣ من سورة الأنعام.

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٩٢، ومختصر شواذ القرآن/٤٦، والمحتسب ج ١/٢٢٧، ونسبت كذلك إلى ابن

شرف. ينظر: المحتسب ج ١/٢٢٧.

(٧) البحر المحيط ج ٤/٢١١.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر أن تحمل قراءة الحسن بسكون اللامات الثلاثة على أنها لام الأمر المضمن الوعيد والتهديد، والخط على هذه القراءة (ولتصغ) ذكر أبو عمرو الداني أن تسكينه في اللامات الثلاثة، وكذلك قال أبو الفتح، وذكر أن الحسن إنما يسكن اللامين الثانية والثالثة.

قال القاضي أبو محمد: وذلك يخالفه خط المصحف في (ولتصغ)^١.

والملاحظ هنا أن ابن عطية يرجح أن تكون اللام المسكنة في الثلاثة (ولتصغ)، وليرضوه، وليقتروا) لام الأمر المتضمنة معنى الوعيد والتهديد، لأن إسكان لام الأمر كثر في كلام العرب، بخلاف لام كي فإنه كثر فيها التحريك.

وقد ذكر المبرد علة إسكان لام الأمر، فقال: "و اعلم أن هذه اللام مكسورة إذا ابتدئت، فإذا كان قبلها فاء أو واو فهي على حالها في الكسر. وقد يجوز إسكانها، وهو أكثر على

الألسن. تقول: قم وليقم زيد ﴿فَلَنَقُومَ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾

﴿مَعَكَ﴾^٢ ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾^٣. وإنما جاز ذلك؛ لأن الواو والفاء لا ينفصلان، لأنه لا يتكلم بحرف واحد. فصارتا بمنزلة ما هو في الكلمة، فأسكنت اللام هرباً من الكسرة. كقولك في عِلْمٍ: عِلْمٌ، وفي فَعْدٍ: فَعْدٌ^٤.

وبناء على هذا، فإن الواو لما اتصلت بالأفعال الثلاثة (ولتصغ)، وليرضوه، وليقتروا) صارت معها كأنها منها، وصار أولها على وزن (فَعِل) فأشبههن بذلك (عِلْم) ونحوه، فخفف الكسر فيها، لكرامية الانتقال من الأخف إلى الأثقل، فأسكنت اللام، أشار إلى ذلك ابن يعيش، فقال: "وأما إسكانهم أول هو، وهي متصلتين بالواو، والفاء، ولام الابتداء، وهمزة الاستفهام، ولام الأمر متصلة بالفاء والواو"^٥.

(١) المحرر الوجيز ج ٢/٣٣٦.

(٢) الآية رقم ١٠٢ من سورة النساء.

(٣) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٤) المقتضب للمبرد ج ٢/١٣١.

(٥) شرح المفصل ج ٩/١٣٩.

والذي يغلب على الظن أنه إنما قرئ في الشواذ: (وَلْتَصْغَى، وَلْيَرْضَوْه، وَلْيَقْتَرِفُوا) بسكون لام الأمر، لبيان الوجه الآخر المجاز في لام الأمر، وليس المراد بيان كونها أكثر، بدليل أنه عندما وردت لام الأمر ساكنة في المتواتر، كقوله تعالى (فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ)^١، وقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)^٢ ورد في الشواذ القراءة بها متحركة^٣، لا لأن التحريك أكثر، وإنما لبيان أن لها وجهاً آخر مجازاً في لغة العرب. هذا، وقد أجاز ابن جني أن تكون اللام في (ولتصغى، وليرضوه، وليقترفوا) لام كي، وسكنت (إجراءً لها مع ما بعدها مجرى كَيْدٍ وَتَمْرٍ"^٤. وبناء على هذا، فلام كي هنا أسكنت تخفيفاً من ثقل الكسرة فيها^٥، وللتخفيف من ثقل توالي الحركات^٦. ولذا وصف ابن جني إسكان لام كي بأنه "شاذ في الاستعمال على قوته في القياس"^٧، ووصفه العكبري بأنه ضعيف^٨، ووصفه أبو حيان بالشذوذ^٩.

ثالثاً: حذف الفتح:

الفتح أخف الحركات العربية الثلاث، ولما كان الفتح بهذه الحالة رأى سيبويه أنه ليس بحاجة إلى التخفيف، حيث قال: "وأما ما تواتر فيه الفتحان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء"^{١٠}.

(١) الآية رقم ١٠٢ من سورة النساء.

(٢) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٣) نسبت قراءة (فَلْتَقُمْ) بكسر اللام إلى الحسن، ويحيى. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٥، وإلى الحسن، وابن أبي إسحاق. ينظر: البحر المحيط ج٣/٣٥٤، ونسبت قراءة (وَلْتَكُنْ) بالكسر إلى أبي عبد الرحمن، والحسن، والزهرى، وعيسى بن عمر، وأبي حيوة. ينظر: البحر المحيط ج٣/٢٣، وروح المعاني بدون نسبة ج٤/٢٠.

(٤) الدر المصون ج٥/١٢١.

(٥) المحتسب لابن جني ج١/٢٢٧.

(٦) التبيان في إعراب القرآن ج١/٣٥٥.

(٧) المحتسب ج١/٢٢٧.

(٨) إعراب القراءات الشواذ ج١/٥١٠.

(٩) البحر المحيط ج٤/٢١١.

(١٠) الكتاب لسيبويه ج٤/١١٥.

ومما هو جدير بالذكر أن حذف الفتح مسموع عن العرب، وقد حكى ذلك ابن جني، فقال: "وقد سمع شيء من هذا الإسكان في المفتوح قال الشاعر^١
وما كل مبتاع ولو سلف صفة براجع ما قد فاته برداد^٢

ومع اعتراف ابن جني بأن حذف الفتح مسموع عن العرب إلا أنه حكم عليه تارة بالشذوذ، فقال: "وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذاً ولا يقاس عليه"^٣، وأخرى بأنه من قبيل الضرورة، حيث قال: "وقد أسكنوا المفتوح، وهو ضرورة"^٤.

ويلاحظ مما سبق أن علماء اللغة القدامى حكموا بعدم جواز حذف الفتح، وحكموا بشذوذ ما ورد منه عن العرب، ولعل حكمهم هذا جاء بناءً على نظرهم إلى ذات الحركة من حيث الثقل والخفة فقط، ولم ينظروا إلى مجاورتها لما قبلها أو ما بعدها، فحذف الصائت قد يكون نتيجة توالي الصوائت في الكلمة.

وقد أشار أبو حيان إلى ذلك، فقال عند توجيهه قراءة (شَجَرَ): "وكأنه فَرَّ من توالي الحركات"^٥.

هذا، وإن ورود كثير من متواتر^٦ القراءات وشاذها مشتقاً على حذف الفتح دليل واضح على صحته، وأنه إذا كان الفتح خفيفاً، فإنه باجتماعه مع أمثاله أو غيرها قد يستثقل، فيتخفف منه بما هو أخف منه وهو السكون.

وقد أورد أبو حيان عدداً من القراءات الشاذات، موضوع البحث، التي تمثل حذف الفتحة، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

(١) هو الأخطل، وقد سبق توثيق البيت فيما مضى.

(٢) الخصائص لابن جني ج ٢/٣٣٨.

(٣) المحتسب ج ١/٥٣.

(٤) المرجع السابق ج ١/٥٦.

(٥) البحر المحيط ج ٣/٢٩٧.

(٦) كقراءة أهل الكوفة (الدُّرْك) في الآية رقم ١٤٥ من سورة النساء، وقراءة نافع والكوفيين (ومن المعز) في الآية رقم ١٤٣ من سورة الأنعام، وقراءة ابن عامر والكوفيين (يوم ظَعْنُكُمْ) في الآية رقم ٨٠ من سورة النحل.

● أمانة: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ النخعي وابن محيصن: أمانة بسكون الميم^٢، بمعنى الأمن"^٣.

ويقول ابن عطية: "وقرأ جمهور الناس (أمانة) بفتح الميم، وقرأ ابن محيصن والنخعي: (أمنة) بسكون الميم، وهما بمعنى الأمن، وفتح الميم أفصح"^٤.

وبناءً على ذلك فإن أصل (أمنة): (أمنة)، حذفت منها الفتحة التي على الميم فقبل: (أمنة).

● شجر: في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو السمال: (فيما شجر) بسكون الجيم^٦، وكأنه فرّ من توالي الحركات، وليس بقوي لخفة الفتحة بخلاف الضمة والكسرة، فإن السكون بدلها مطرد على لغة تميم"^٧.

ويذكر أبو جعفر النحاس قراءة (شجر)، فيقول: "وقرأ أبو السمال (فيما شجر بينهم) بإسكان الجيم، وهذا لحن عند الخليل وسيبويه، لا تحذف الفتحة عندهم لخفتها"^٨.

(١) الآية رقم ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى إبراهيم النخعي. ينظر: المحتسب ج ١/١٧٤، والدر المصون ج ٣/٤٤٤، وإلى ابن محيصن. ينظر: مختصر شواذ القراءات/٢٩، والدر المصون ج ٣/٤٤٤، والاتحاف ج ١/٤٩١، وإلى يحيى بن وثاب. ينظر: المحتسب ج ١/١٧٤.

(٣) البحر المحيط ج ٣/٩٢.

(٤) المحرر الوجيز ج ١/٥٢٧.

(٥) الآية رقم ٦٥ من سورة النساء.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/٧٤، وإعراب القرآن للنحاس ج ١/٤٦٨، والدر المصون ج ٤/٢٠.

(٧) البحر المحيط ج ٣/٢٩٧.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ج ١/٤٦٨.

وتأثر السمين الحلبي بما ذهب إليه الخليل وسيبويه فرمى حذف الفتح بالضعف، حيث قال: "وقرأ أبو السَّمَال: (شَجَرَ) بسكون الجيم، هرباً من توالي الحركات، وهي ضعيفة، لأن الفتح أخو السكون"^١.

وقد ذكر العكبري في تعليقه قراءة (شَجَرَ) ما حكاه ابن جني عن العرب من حذف الفتح، ثم قال: "...ويحتمل أن يكون سَكَّنَ المفتوح، لأن السكون أخف من الفتحة على كل حال"^٢.

● فَأُوَارِي: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ

فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي ٣﴾.

قال أبو حيان: "وقرأ طلحة بن مصرف والفياض بن غزوان: (فأواري) بسكون الياء^٤، فالأولى أن يكون على القطع"^٥.

وقد علل العكبري لها، فقال: "قوله (فأواري) يقرأ بإسكان الياء، وهو من تسكين الياء المفتوحة، وهو ضعيف، وذلك نظير قول الشاعر:

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقُ^٦.

وقول الآخر^٧:

(١) الدر المصون ج ٤/٢٠.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٣٩٤.

(٣) الآية رقم ٣١ من سورة المائدة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى طلحة بن مصرف. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٨، والدر المصون ج ٤/٢٤٦، وإلى الفياض بن غزوان. ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/١٨١، والدر المصون ج ٤/٢٤٦، وإلى طلحة بن سليمان. ينظر: المحتسب ج ١/٢٠٩.

(٥) البحر المحيط ج ٣/٤٨١.

(٦) هذا رجز منسوب إلى رؤبة بن العجاج. ينظر: ديوان رؤبة بن العجاج/١٧٩، والمحتسب ج ١/١٢٦، والخصائص ج ١/٣٠٦.

(٧) هو رؤبة بن العجاج، وموطن الشاهد فيه: (سَوَى مَسَاحِيهِنَّ) ووجهه أنه سكن الياء مع أن حقهها النصب، ينظر: ديوانه/١٠٦، والكتاب لسيبويه ج ٣/٣٠٦، والمقتضب ج ٤/٢٢، وشرح المفصل ج ١٠/١٠٣.

سوى مساحيهم تقطيط الحقق" ١ .

وذهب ابن عطية إلى أنها "لغة لتوالي الحركات" ٢

وذهب الزمخشري إلى جواز أن يكون حذف الفتح من الياء في لفظ (أواري) محمولاً على القطع، أي " فأنا أواري، أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف" ٣ .

ورجح أبو حيان الأول منهما، حيث قال: " فالأولى أن يكون على القطع، أي فأنا أواري سوءة أخي" ٤، ثم عقب أبو حيان على ابن عطية والزمخشري، فقال: " ولا ينبغي أن يُخَرَّجَ على النصب؛ لأن نصب مثل هذا هو بظهور الفتحة ، ولا تستثقل الفتحة ، فتحذف تخفيفاً ، كما أشار إليه الزمخشري ، ولا ذلك لغة كما زعم ابن عطية ، ولا يصلح التعليل بتوالي الحركات ، لأنه لم يتوال فيه الحركات ٥ .

(١) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٤٣٥-٤٣٦ .

٢ المحرر الوجيز ج ٢/١٨١ .

٣ الكشاف ج ٢/٢٢٧ .

٤ البحر المحيط ج ٣/٤٨١ .

٥ البحر المحيط ج ٣/٤٨١ .

المبحث الثامن

الإمالة

تمهيد:

تُعَدُّ الإمالة مظهراً من مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية، وهي كذلك " ضرب من ضروب التأثير^١ الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب"^٢، أشار إلى ذلك سيبويه، فقال: " وإنما أمالوها (أي الألف في نحو عابد) للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوا منها"^٣.

وعَدَّ ابن جني الإمالة ضرباً من ضروب الإدغام الأصغر، فقال: " وأما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادغام يكون هناك، وهو ضربٌ، فمن ذلك: الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت"^٤.

والإمالة في اللغة: مصدر أميله إمالة^٥، أي عدل به عن الاستواء، يقال: " مال الشيء، ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء، وكذلك الإمالة في العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوحُ به إلى الياء"^٦.

(١) يصفها القدماء بأنها ضرب من ضروب التقريب. ينظر: الكتاب لسيبويه ج ٤/١١٧، والتكملة لأبي علي الفارسي/٥٣٦، والخصائص لابن جني ج ٢/١٤١، أو التناسب، التكملة لأبي علي الفارسي/٥٣٦، أو التشاكل، المقتضب للمبرد ج ٣/٤٦، وأسرار العربية لابن الأنباري/٤٠٦، أو الكسر، وذلك على سبيل المجاز والانساع، والبطح والاضطجاع، حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ٤/٣٠٩.

والمحدثون يصفون التأثير الموجود في الإمالة بأنه نوع من الانسجام الصوتي والتماس الخفة أو المشاكلة، أو التوافق الحركي. اللهجات في الكتاب. د/صالحه راشد غنيم.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/ عبده الراجحي /١٣٤.

(٣) الكتاب لسيبويه ج ٤/١١٧.

(٤) الخصائص لابن جني ج ٢/١٤١.

(٥) القاموس المحيط ج ٤/٥٢-٥٣ م (مال)، والصحاح/١٨٢٢ م (ميل).

(٦) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩/٥٣-٥٤.

وفي الاصطلاح: يعرفها القراء والنحاة بقولهم: "الإمالة أن تميل الألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة"^١.

والإمالة على درجتين، قد أشار إلى ذلك الإمام الداني، فقال: "والإمالة.. على ضربين: إمالة متوسطة، وإمالة شديدة، والقراء يستعملونها معاً، والإمالة المتوسطة حقها أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة، والإمالة الشديدة حقها أن تقرب الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ"^٢، وإلى ذلك أشار أبو شامة^٣.

وبناءً على هذا، فإن درجتي الإمالة هما:

١- الإمالة المتوسطة، وهي أولى درجات تحويل الفتحة نحو الكسرة، وتسمى أحياناً بالتقليل، أو التلطيف، أو بين بين^٤، أو الصغرى^٥.

٢- الإمالة المحضة، أو الشديدة، وهي تقرب الفتحة قصيرة أو طويلة نحو الكسرة قصيرة أو طويلة أكثر من الإمالة المتوسطة، وتسمى الكبرى، أو الاضطجاع، أو البطح^٦.

وعزيت الإمالة إلى تميم، وأسد، وقيس، وعامة أهل نجد في الغالب، يقول أبو حيان مشيراً إلى ذلك: "أصحاب الإمالة تميم، وقيس، وأسد، وعامة أهل نجد"^٧.

وبعد، فقد أفاض كثير من العلماء قديماً وحديثاً في الحديث عن الإمالة، وتعريفها، وأسبابها، وموانعها، ما أغنى عن الإسهاب في الحديث عنها هنا.

(١) أسرار العربية لابن الأنباري/٤٤٢، والنشر لابن الجزري ج ٢/٢٦، والاتحاف ج ١/٢٤٧.

(٢) الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني، تحقيق وتخريج وتعليق/أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي/١٤.

(٣) إبراز المعاني/٢٠٤.

(٤) شرح طيبة النشر لابن الجزري/١١٥.

(٥) الاتحاف ج ١/٢٤٧.

(٦) الاتحاف ج ١/٢٤٧.

(٧) إرتشاف الضرب ج ٢/٥١٨.

وفيما يأتي عرض وتحليل ما أورده أبو حيان في بحره المحيط من قراءات شاذة تمثل الإمالة، وذلك على النحو الآتي:

● **فِاصْطَادُوا:** في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو واقد، والجراح، ونبيح، والحسن بن عمران: فِاصْطَادُوا بكسر الفاء"^٢.

قال ابن عطية: "...وهي قراءة مشكلة"^٣.

ويفسر ابن جني الإشكال الكامن في هذه القراءة، فيقول: "هذه القراءة ظاهرة الإشكال، وذلك أنه لا داعي إلى إمالة فتحة هذه الفاء كما أميلت فتحة الراء الأولى من (الضَّرَر) لكسرة الثانية، وكما أميلت فتحة النون من قولهم: وإنا إليه راجعون، لكسرة الهمزة، ونحو ذلك. فمن هنا أشكل أمر هذه الإمالة، إلا أن هنا ضرباً من التعلل صالحاً، وهو أنه لك أن تقول: فاصْطَادُوا، فتميل الألف بعد الطاء إذ كانت منقلبة عن ياء الصيد. فإن قلت: فهناك الطاء، فهلا منعت الإمالة، وكذلك الصاد. قيل: إن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل، إنما تمنع منها في الاسم... فإن قلت: فإنه لم يحك في الطاء إمالة، قيل: هي وإن لم تسمع معرضة، والكلمة لها معرضة فكأنها لذلك ملفوظ، كما أن من قال في الوقف هذا ماش، فأمال مع سكون الشين نظراً إلى الكسرة إذا وصل، فقال: هذا ماش"^٤.

(١) الآية رقم ٢ من سورة المائدة.

(٢) البحر المحيط ج ٣/٤٣٦، ونسبت هذه القراءة إلى أبي واقد، وأبي الجراح. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٧، وإلى أبي واقد، والجراح، و نبيح، والحسن بن عمران والمحتسب لابن جني ج ١/٢٠٥، والمحزر الوجيز ج ٢/١٤٨.

(٣) المحزر الوجيز ج ٢/١٤٨.

(٤) المحتسب ج ١/٢٠٥-٢٠٦.

وما ذكره ابن جني في توجيه إمالة الفاء من (فاصطادوا) له وجاهته، ويفهم منه أن الإمالة هنا لإمالة متوقعة أو معرضة لها الألف التي تلي الطاء في (فاصطادوا) وإن لم تسمع قراءتها بالإمالة.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن الإمالة في فاء (فاصطادوا) قد تكون جيء بها للدلالة على همزة الوصل التي سقطت في درج الكلام، وهي مكسورة، كما أن الإمالة المعرضة لها الألف في (فاصطادوا) تمال لأنها منقلبة عن الياء، لأنها من (صيد) فإمالتها للدلالة على هذا الأصل.

ويذكر ابن جني أيضاً أن لهذه القراءة وجهاً آخر، فقال: "وإن شئت قلت: لما كان يقول في الابتداء: اصطادوا، فيكسر همزة الوصل، نظر إليها بعد حذف الهمزة، فقال: (فاصطادوا، تصوراً لكسرة الهمزة إذا ابتدأت فقلت: اصطادوا"^١.

وإلى هذا أشار ابن عطية فقال: "ومن توجيهها (أي قراءة فاصطادوا بكسر الفاء)، أن يكون راعي كسر ألف الوصل إذا بدأت فقلت: اصطادوا، فكسر الفاء مراعاة وتذكراً لكسر ألف الوصل"^٢.

ويذكر العكبري أكثر من وجه في تعليل كسر الفاء من (فاصطادوا)، فيقول: "قوله: (فاصطادوا)، يقرأ بكسر الفاء، توهم أنه يماثل بها همزة الوصل المحذوفة، وقيل: الصاد ساكنة، فكسر الفاء لالتقاء الساكنين، كما كسرت همزة الوصل. وقيل: الإمالة جائزة في هذا الفعل فكُسر لتوهم الإمالة"^٣.

(١) المختب ج ١/٢٠٦.

(٢) المحرر الوجيز ج ٢/١٤٨.

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٤٢٦.

سِالْهَا: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا

كُفْرِينَ ﴿١﴾

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور (سألها) بفتح السين والهمزة ، وقرأ النخعي بكسر السين^٢ من غير همز، يعني: بالكسر والإمالة ، وجعل الفعل من مادة (سين) وواو ولام لا من مادة سين وهمزة ولام ، وهما لغتان ذكرهما سيوييه ، ومن كلام العرب هما يتساولان بالواو، وإمالة النخعي (سأل) مثل إمالة حمزة (خاف^٣)"^٤.

وما ذهب إليه أبو حيان في توجيه هذه القراءة هو ما ذهب إليه ابن جني، حيث يقول موجهاً لهذه القراءة: " ومن تلك قراءة إبراهيم (قد سألها) بكسر السين. قال أبو الفتح: يعني ويريد الإمالة؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها أبداً إلا مفتوحاً، ووجه الإمالة أنه على لغة من: سَلَّتْ تسال، فهي في هذه اللغة كَخِفَّتْ تخاف، فالإمالة إذاً إنما جاءت لانكسار ما قبل اللام (سَلَّتْ) كمجيئها في (خاف) لمجيء الكسرة في خاء خفت. ويدلك على أن هذه اللغة من الواو لا من الهمزة ما حدثنا به أبو علي من قوله: هما يتساولان"^٥.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن استدلال أبي حيان -رحمه الله- بإمالة حمزة (خاف) على جواز إمالة النخعي (سال) إنما هو قياسي من ناحية الاستدلال اللغوي فقط، أما من جانب الرواية، فمعلوم أن قراءة النخعي (سالها) بالإمالة شاذة، لأنها فقدت شرط تواترها عن النبي ﷺ، وأما قراءة حمزة (خاف) بالإمالة فمتواترة.

(١) الآية رقم ١٠٢ من سورة المائدة.

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/٢١٩، والمحزر الوجيز ج ٢/٢٤٦.

(٣) تفرد حمزة من بين القراء بإمالة عشرة أفعال، وهي: (جاء، شاء، زاد، ران، خاف، طاب، خاب، حاق، ضاق، وزاغ). ينظر: التيسير لأبي عمرو الداني/٤٨.

(٤) البحر المحيط ج ٤/٣٧.

(٥) المحتسب لابن جني ج ١/٢١٩-٢٢٠.

وبناءً على ما سبق يتضح أن الإمالة في (سال) إنما هي من أجل الكسرة التي تعرض في بعض أحوالها، وذلك لأن الفاء تكسر منها" إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب، ونون جماعة الإناث" ، فيقال: "سِلْتُ، وسِلْتِ، وسِلْنِ".

ملاحظات:

- ١- يلاحظ أن أبا حيان أشار إلى أن الإمالة لغة لبعض العرب، لكنه لم يعزها.
- ٢- أفادت القراءات الشاذة أن الإمالة قد يؤتى بها لأجل إمالة بعدها متوقعة، أو قد تعرض، أو متوهمة في نفس الكلمة، اتضح ذلك من خلال تحليل قراءة (فاصطادوا) بإمالة فتحة الفاء نحو الكسرة.
- ٣- إن من فوائد الإمالة الدلالة على حركة الحرف المحذوف بعدها، كما في قراءة (فاصطادوا)، أميلت فتحة الفاء للدلالة على حركة همزة الوصل المحذوفة لوقوعها في درج الكلام.
- ٤- إن ما يرد من استدلال علمائنا القدامى في توجيههم القراءات الشاذة بالقراءات المتواترة إنما هو محمول على الجانب اللغوي فقط لا على صحة النقل والرواية، إذ القياس ليس له مدخل في جانب الرواية.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/ عبده الراجحي /١٣٧.

المبحث التاسع

الوقف

تمهيد:

الوقف من السنن الفطرية التي جُبلَ عليها جهاز النطق لدى الإنسان، لأنه لا يتصور أبداً أن يُخْرِجَ الإنسانُ كلامه مُتَّسِلًا مُتَّابِعًا بدون استراحة فاصلة بين كلامه.

ويعرف الوقف في اللغة: بأنه الحبس^١، ويقول الجوهري: "أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أي أفلعت"^٢.

وفي الاصطلاح: عبارة عن "قطع الكلمة عما بعدها... أي أن تسكت على آخرها قاصداً لذلك مختاراً، لجعلها آخر الكلام، سواء كان بعدها كلمة أو كانت آخر الكلام"^٣.

ويقول أبو حيان: "الوقف: قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة"^٤.

والملاحظ مما سبق أن الوقف لا يكون إلا على آخر الكلمة "استراحة عن الكلال الذي يلحق من تتابع حروفها وحركتها، ولهذا يكون الوقف آخر الكلمة دون غيره"^٥.

(١) المصباح المنير للفيوميح ٢/١٦٠-١٦١، ولسان العرب لابن منظور ج ١١/٢٧٦ م (وقف).

(٢) الصحاح للجوهري ج ٤/١٤٤٥ م (وقف).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج ٢/٢٧١.

(٤) إرتشاف الضرب ج ٢/٧٩٨.

(٥) الموضح في وجوه القراءات وعللها: ابن أبي مريم: هو نصر بن علي بن محمد، فخر الدين، صدر الإسلام، أبو عبد الله، الشيرازي، الفارسي الفسوي النحوي. من مؤلفاته: (الكشف والبيان في تفسير القرآن، والإفصاح في شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي، وعيون التصريف، والمنتقى من الشواذ ويسمى: المنتقى في علل القراءات، وقد بين فيه وجوه القراءات الشاذة وعللها، والموضح في وجوه القراءات وعللها، ويسمى: "الموضح في القراءات الثمان" لأنه بين فيه وجوه القراءات الثمان (القراءات السبعة المعروفة، وقراءة يعقوب الحضرمي)/تحقيق/عمر حمدان الكبيسي ج ١/٢١٥. لم تنص أكثر المصادر التي ترجمت للمؤلف -رحمه الله- على سنة وفاته بالتحديد، قال ياقوت: قرئ عليه سنة ٥٦٥ هـ وتوفي بعدها. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٦/٢٧٤٩.

والوقف كما يقول السيوطي: " فنُّ جليل به يعرف كيف أداء القراءة"^١، لذا اهتم به كثير من علماء العربية والقراءات اهتماماً كبيراً، وعنوا به عناية فائقة، فقد أفرد له بالتصنيف كثير من العلماء، منهم: (أبو جعفر النحاس، وابن الأنباري، والزجاجي، والدايني، والعماني، والسجاوندي، وغيرهم)^٢.

والوقف على آخر الكلمة ليس على حالة واحدة، وإنما له حالات كثيرة، وأنواع مختلفة، فتارة يكون الوقف بالسكون، أو بالزيادة، أو بالإشباع، أو بهاء السكت، أو بالتضعيف، أو بنقل الحركة الأخيرة إلى ما قبلها، والسكون هو الأصل والأغلب الأكثر، لأنه سلب الحركة وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة"^٣.

والقراءات الشاذة التي أوردها أبو حيان في بحره المحيط اشتملت على كثير من أنواع الوقف، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الوقف بالسكون:

السكون في اللغة: ضد الحركة، يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهبته حركته وأسكن هو، وسكَّنه غيره تسكيناً^٤.

والسكون في الاصطلاح: " هو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك، فعدم الحركة عما ليس من شأنه الحركة لا يكون سكوناً، فالموصوف بهذا لا يكون متحركاً ولا ساكناً"^٥.

(١) الإتيقان في علوم القرآن ج ١/٨٥.

(٢) المرجع السابق/ الموضع نفسه.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج ٩/٦٧.

(٤) لسان العرب لابن منظور ج ١٧/٧٣ م (سكن).

(٥) كتاب التعريفات للفاضل العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (١١٦-٧٤٠هـ)، مكتبة

لبنان، ط ١٩٨٥/١٢٥-١٢٦.

والوقف بالسكون هو الأصل في الوقف، وقد أشار إلى ذلك الإمام الداني، فقال: "اعلم أن الأصل أن يوقف على الكلم المتحركة في حالة الوصل بالسكون، لأن معنى الوقف على الحركة: أي تترك"^١.

وقد اشتملت القراءات الشاذة على هذا النوع من أنواع الوقف، وأورده أبو حيان في بحره المحيط، من ذلك:

● حاش: في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن: حاش بسكون الشين^٣ وصلاً، ووقفاً بلام الجر"^٤.

والملاحظ هنا أن (حاش) حذفت فيها الحركة وأسكنت للوقف، ثم أجري الوصل مجرى الوقف، وقد أشار إلى ذلك السمين الحلبي، فقال: "وقرأ الحسن: (حاش) بسكون الشين وصلاً ووقفاً، كأنه أجرى الوصل مجرى الوقف"^٥، وهذا ما قرره أبو حيان بقوله: "بلام الجر"^٦، في حين ذهب ابن عطية إلى ضعف هذه القراءة، فقال: "وقرأ الحسن (حاش) بسكون الشين وهي ضعيفة"^٧.

● هيهات هيهات: في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^٨.

(١) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة/٣٨١.

(٢) الآية رقم ٣١ من سورة يوسف.

(٣) المحرر الوجيز ج٣/٢٣٩، والدر المصون ج٦/٤٨٧، ونسبت كذلك إلى القطعي. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٦٨.

(٤) البحر المحيط ج٥/٣٠٣.

(٥) الدر المصون ج٦/٤٨٧.

(٦) البحر المحيط ج٥/٣٠٣.

(٧) المحرر الوجيز ج٣/٢٣٩.

(٨) الآية رقم ٣٦ من سورة المؤمنون.

قال أبو حيان: "وقرأ خارجة بن مصعب عن أبي عمرو والأعرج وعيسى أيضاً بإسكانهما"^١. وذكر ابن جني قراءة (هيئات هيئات) بإسكان التاء، ثم احتج لها، فقال: "وأما (هيئات هيئات) ساكنة بالتاء فينبغي أن يكون جماعة، وتكتب بالتاء... فبقاء التاء في الوقف مع السكون دليل على أنها تاء"^٢.

وهذا ما ذهب إليه ابن عطية فقال: "وقرأ عيسى الهمداني: (هيئات هيئات) بتاء ساكنة، وهي على هذا جماعة لا مفرد"^٣.

● ثانياً: الوقف بالتضعيف:

وهو أن "تضعف الحرف الموقوف عليه بأن تزيد عليه حرفاً مثله فيلزم الإدغام، نحو: هذا خالدٌ، وهذا فرجٌ، وهذا التضعيف إنما هو من زيادات الوقف، فإذا وصلت وجب تحريكه وسقطت هذه الزيادة"^٤.

وللوقف بالتضعيف شروط ثلاثة، وهي:

١- ألا يكون الحرف الذي يوقف عليه همزة كخطأ°، لأن تضعيف الهمزة غير جائز، ولم يرد عن العرب إلا إذا كانت عيناً، نحو: سأل، أو لعل تضعيف الهمزة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر، فهو ثقيل^٦.

(١) البحر المحيط ج٦/٣٧٤. نسبت هذه القراءة إلى خارجة بن مصعب عن أبي عمرو، والأعرج. ينظر: الدر المصون ج٨/٣٣٨، ونسبت كذلك إلى أبي عمرو. ينظر: المحتسب ج٢/٩٠، وإلى عيسى = الهمداني. ينظر: المحتسب ج٢/٩٠، والمحرر الوجيز ج٤/١٤٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٥/٤١.

(٢) المحتسب ج٢/٩١.

(٣) المحرر الوجيز ج٤/١٤٣.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج٩/٦٧.

(٥) المفصل للزمخشري/٣٣٨.

(٦) اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي ج٢/٤٨٧.

٢- أن يكون صحيحاً، فقد ذكر الزمخشري أن الوقف بالتضعيف " مختص بما ليس بهمزة من الصحيح.."^١، وذلك لأنه "يستثقل تضعيف حرف العلة لثقله بنفسه، فإذا ضعف ازداد ثقلاً، والوقف موضع استراحة"^٢.

٣- أن يكون الحرف الذي قبل آخر الكلمة متحركاً^٣، كالجمل، فتقول: الجمل^٤.

والوقف بالتضعيف ورد في لغة العرب، فقد عزاه الشيخ خالد الأزهري إلى قبيلة سعد، حيث قال: " والوقف بالتضعيف لغة ساعدية"^٥.

ويذهب د/إبراهيم أنيس إلى أنها قبيلة سعد بن بكر^٦، في حين يرجح د/أحمد علم الدين الجندي أنها سعد من تميم، حيث قال بعد أن ناقش ما جاء في التصريح على التوضيح من عزو الوقف بالتضعيف إلى قبيلة سعد، وما جاء في اللهجات العربية من عزوه إلى قبيلة سعد بن بكر "... لا يمكن أن تنطق سعد بن بكر بهذا التضعيف؛ لأن سعد بن بكر ديارها أقرب إلى البيئة الحجازية، وبيئة الحجاز لم يؤثر عنها قط ظاهرة الوقف بالتضعيف، وإذاً لا بد أن نبحت عن سعد أخرى غير سعد بن بكر.. ولا أرى عزو الوقف بالتضعيف إلا لسعد من تميم..."^٧.

وقد اشتملت القراءات الشاذة على هذا النوع من أنواع الوقف، وأورده أبو حيان في تفسيره(البحر المحيط)، فمن ذلك:

(١) المفصل للزمخشري/٣٣٨.

(٢) اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي ج٢/٤٨٧.

(٣) المفصل للزمخشري/٣٣٨.

(٤) اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي ج٢/٤٨٧.

(٥) التصريح على التوضيح للشيخ/خالد الأزهري ج٢/٦٢٤.

(٦) في اللهجات العربية/١٢٨-١٢٩.

(٧) اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي ج٢/٤٨٨.

• المرّ: في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^١

قال أبو حيان: "وقرأ الزهري أيضاً: المرّ بفتح الميم وإسقاط الهمز وتشديد الراء"^٢.

ويوجه ابن جني هذه القراءة بقوله: "وأما قراءة الزهري (المرّ) بتشديد الراء، فقياسه: أن يكون أراد تخفيف المرء على قراءة الحسن وقتادة، إلا أنه نوى الوقف بعد التخفيف، فصار (المرّ) ثم ثقل للوقف على قول من قال: هذا خالد، وهو يجعل، ومررت بفرج، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقر التثقيب بحاله"^٣.

وإلى ذلك ذهب العكبري، فقال: "ويقرأ... بتشديد الراء، ووجهه أن يقال: وقف على الراء الخفيفة فشددتها، كما قالوا في خالد خالد، ثم أجروا الوصل مجرى الوقف"^٤.

• مستطرّ: في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ الأعمش وعمران بن حدير وعصمة عن أبي بكر: بِشَدِّ راء (مستطرّ)"^٦.

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٥٠٠. نسبت هذه القراءة إلى الزهري- كما قال أبو حيان-، ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٦، والمحتسب ج ١/١٠١، ونسبت كذلك إلى قتادة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٦.

(٣) المحتسب ج ١/١٠١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٩٣-١٩٤.

(٥) الآية رقم ٥٣ من سورة القمر.

(٦) البحر المحيط ج ٨/١٨٢. نسبت هذه القراءة إلى عصمة عن أبي بكر عن عاصم، وعمران بن جبير. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٤٩.

ويرى العكبري أن تشديد الراء من (مستطرّ) فيه وجهان: أحدهما: أنه نوى الوقف عليه فشدّد، كما يقال: فرجّ، وجعفرّ. والثاني: أنه مستفعل من طرّ شاربه إذا ظهر: أي الأمور ظاهرة في ذلك اليوم".^١

ثالثاً: الوقف بالإبدال:

(١) الوقف بإبدال التاء هاءً:

• بثلاثه: في قوله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن: (بثلاثة آلاف) يقف على الهاء^٣، وكذلك بخمسة آلاف"^٤.

ذكر ابن عطية في معرض تفسيره هذه الآية الكريمة أن الحسن بن أبي الحسن قرأ (بثلاثة آلاف) يقف على الهاء، وكذلك (بخمسة آلاف)، ثم قال: "ووجه هذه القراءة ضعيف، لأن المضاف والمضاف إليه يقتضيان الاتصال، إذ هما كالاسم الواحد، وإنما الثاني كمال للأول، والهاء إنما هي أمانة وقف، فيقلق الوقف في موضع إنما هو للاتصال"^٥.

ومع اعتراف ابن عطية بضعف وجه الوقف في قراءة: (بثلاثة آلاف) إلا أنه يحاول الاحتجاج لها، حيث قال: "لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع، فمن ذلك ما حكاه الفراء أنهم يقولون: أكلت لحماً شاة، يريدون لحم شاة فمطلوا الفتحة حتى نشأت عنها ألف، كما قالوا في الوقف: قالوا يريدون قال، ثم مطلوا الفتحة في القوافي ونحوها من مواضع الروية والتثبت، ومن ذلك في الشعر قول الشاعر:

ينباع من ذفرى غضوب جسرة...

يريد ينبع فمطل، ومنه قول الآخر^٦:

(١) إعراب القراءات الشواذ ج ٢/٥٣٥.

(٢) الآية رقم ١٢٤ من سورة آل عمران.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى الحسن. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١/١٦٥، والمحرر الوجيز ج ١/٥٠٣.

(٤) البحر المحيط ج ٣/٥٣.

(٥) المحرر الوجيز ج ١/٥٠٣.

(٦) المحتسب لابن جني ج ١/١٦٦، والبحر المحيط ج ٣/٥٣، ولسان العرب لابن منظور ج ١٤/١١٧ م (كلل).

أقول إذ جرت على الكلكال يا ناقنا ما جلت من مجال

يريد على الكلكل فمطل، ومنه قول الآخر^١:

فأنت من الغوائل حين تُرْمِي ومن ذم الرجال بِمُنْتَرَح

يريد: بمنترح، قال أبو الفتح^٢: فإذا جاز أن يعترض هذا التماذي بين أثناء الكلمة الواحدة، جاز التماذي والتأني بين المضاف والمضاف إليه، إذ هما في الحقيقة اثنان^٣.

وقد نقل أبو حيان كلام ابن عطية، ثم عقب عليه، بقوله: "وهو تكثير وتنظير بغير ما يناسب، والذي يناسب توجيه هذه القراءة الشاذة أنها من إجراء الوصل مجرى الوقف، أبدلها هاء في الوصل، كما أبدلوها هاء في الوقف، وموجود في كلامهم إجراء الوصل مجرى الوقف، وإجراء الوقف مجرى الوصل، وأما قوله: : لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع، وجميع ما ذكر إنما هو من باب إشباع الحركة، وإشباع الحركة ليس نحو إبدال التاء هاء في الوصل، وإنما هو نظير قولهم: ثلاثة أربعة أبدل التاء هاء، ثم نقل حركة همزة أربعة إليها، وحذف الهمزة، فأجرى الوصل مجرى الوقف في الإبدال. ولأجل الوصل نقل، إذ لا يكون هذا النقل إلا في الوصل"^٤، وإلى ذلك ذهب السمين الحلبي^٥.

(١) إبدال الألف واواً:

ورد عن العرب إبدال الألف في الوقف ك(أفَعَوْ) في (أفَعَى)، أشار إلى ذلك سيبويه، فقال: "وزعموا أن بعض طيبي يقول: أفَعَوْ، لأنها أبيض من الياء، ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في

(١) هذا البيت منسوب إلى إبراهيم بن هرمة القرشي. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١/١٦٦، والخصائص ج ٢/٣١٦.

(٢) تصرف ابن عطية في نقله عن ابن جني في هذا الموضع. ينظر: المحتسب ج ١/١٦٥-١٦٦.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٥٠٣-٥٠٤.

(٤) البحر المحيط ج ٣/٥٣-٥٤.

(٥) الدر المصون ج ٣/٣٨٤-٣٨٥.

سعة المخرج والمدّ، ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء، وتبدلان مكان الألف أيضاً، وهن أخوات^١.

وإلى هذا النوع من أنواع الوقف وجهت قراءة الحسن (يُدَعَوُ)، وقد أشار إليها أبو حيان، فقال: "والحسن-أي وقرأ- فيما ذكر أبو عمرو الداني (يُدعى) مبنياً للمفعول (كُلّ) مرفوع به، وفيما ذكر غيره (يُدَعَوُ) بالواو^٢ وُخْرِجَ على إبدال الألف واواً على لغة من يقول: أفعَوُ في الوقف على أفعى، وإجراء الوصل مجرى الوقف. وكل مرفوع به، وعلى أن تكون الواو ضميراً مفعولاً لم يسم فاعله، وأصله يدعون فحذفت النون..^٣.

ويذكر ابن جني هذه القراءة، ويحتج لها، فيقول: "ومن ذلك قراءة الحسن: (يوم يُدَعَوُ كل أناس)^٤ بضم الياء وفتح العين. قال أبو الفتح: هذا على لغة من أبدل الألف في الوصل واواً، نحو أفعَوُ، وحبلَوُ... وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف، لأن الوقف من موضع التغيير، وهو أيضاً في الوصل محكي عن حاله في الوقف"^٥.

وبناءً على هذا، فإن قراءة الحسن إجراء للوصل مجرى الوقف، أشار إلى ذلك العكبري حيث قال: "قوله تعالى: (يوم ندعو كلّ) يقرأ بضم الياء وفتح العين وواوٍ بعدها، و(كلّ) بالرفع، والأصل يُدَعَى ثم إنه وقف على لغة من قال: هذه أفعَوُ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف"^٦.

وإبدال الألف واواً في الوقف عزي إلى طيبي^٧، وإلى أهل الحجاز^٨.

(١) الكتاب لسبويه ج٤/١٨١-١٨٢.

(٢) ينظر: مختصر شواذ القرآن/٨٠، والمحتسب ج٢/٢٢، والاتحاف ج٢/٢٠٢، وإلى السجستاني، وقتادة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٨٠.

(٣) البحر المحيط ج٦/٦٠.

(٤) الآية رقم ٧١ من سورة الإسراء.

(٥) المحتسب ج٢/٢٢.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج١/٧٩٦.

(٧) الكتاب لسبويه ج٤/١٨١.

(٨) لسان العرب لابن منظور ج٢٠/١٨ م(فعا).

(٣) الوقف بإبدال التنوين ألفاً:

* سوى: في قوله تعالى: ﴿ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾^١.

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن أيضاً (سوى) بضم السين من غير تنوين^٢ في الحالين أجرى الوصل مجرى الوقف لا أنه منعه الصرف؛ لأن فعلاً من الصفات متصرف كحُطْمٍ ولُبْد^٣.

وما ذكره أبو حيان في توجيه هذه القراءة هو ما ذهب إليه ابن جني أيضاً، حيث قال: " ومن ذلك قراءة الحسن (مكانا سُوًى) غير منون. قال أبو الفتح: ترك صرف (سوى) هنا مشكل، وذلك أنه وصف على فُعل، وذلك مصروف عندهم: كمالٍ لُبْد، ورجل حُطْم، ودليل حُتَع، وسُكَع، إلا أنه ينبغي أن يحمل عليه أنه محمول على الوقف عليه، فجاء بترك التنوين. فإن وصل على ذلك فعلى نحو من قولهم: سَبَسَبًا وَكَلْكَلًا، فجرى في الوصل مجراه في الوقف"^٤، وإلى ذلك ذهب السمين الحلبي^٥.

رابعاً: الوقف بهاء السكت:

● ثمّه: في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾^٦.

قال أبو حيان: " ووقف ابن أبي ليلي (ثمّه) بهاء السكت"^٧.

(١) الآية رقم ٥٨ من سورة طه.

(٢) ينظر: مختصر شواذ القرآن/٩٠، والدر المصون ج٨/٥٧، وروح المعاني ج١٦/٢١٧.

(٣) البحر المحيط ج٦/٢٣٦.

(٤) المحتسب ج٢/٥٢.

(٥) الدر المصون ج٨/٥٧.

(٦) الآية رقم ٧٢ من سورة مريم.

(٧) البحر المحيط ج٦/١٩٨، وينظر في توثيق هذه القراءة: مختصر شواذ القرآن/٨٩، وإعراب القرآن للنحاس

ج٣/٢٦، والمحرر الوجيز ج٤/٢٨، والجامع لأحكام القرآن ج١٣/٥٠٠.

ويعلل العكبري هذه القراءة قائلاً: " ويقرأ(ثمه) بفتح الثاء وزيادة هاء السكت، وأجرى الوصل مجرى الوقف"^١.

ويقول القرطبي: " وقرأ ابن أبي ليلى(ثمه) بفتح الثاء، أي: هناك... والهاء يجوز أن تكون لبيان الحركة فتحذف في الوصل، ويجوز أن تكون لتأنيث البقعة فتثبت في الوصل تاء"^٢.

• طَهْ: في قوله تعالى: ﴿طَه﴾^٣.

قال أبو حيان: " وقرأت فرقة منهم الحسن وعكرمة وأبو حنيفة وورش في اختياره (طَهْ)٤ ، قيل : وأصله(طأ)، فحذفت الهمزة بناء على قلبها في يطاءً على حد (لا هَنَّاكَ المرتع) بُنِيَ الأمرُ عليه، وأدخلت هاء السكت، وأجرى الوصل مجرى الوقف ، أو أصله (طأ)، وأبدلت همزته هاءً فقليل:(طه)"٥.

وذكر العكبري هذه القراءة معللاً لها بقوله: " ويقرأ(طَهْ) بغير ألف فيهما وسكون الهاء، قيل: هو عبراني بمعنى يا رجل، وقيل: الهاء بدل من الألف، وقيل: هي هاء السكت، أجرى الوصل فيها مجرى الوقف"^٦.

ويقول القرطبي: " وقرأت طائفة(طَهْ) وأصله(طأ) بمعنى: طأ الأرض، فحذفت الهمزة وأدخلت هاء السكت"^٧.

(١) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٥٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٣/٥٠٠.

(٣) الآية رقم ١ من سورة طه.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى الحسن. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٨٩، والجامع لأحكام القرآن ج١٤/١١-١٢.

(٥) البحر المحيط ج٦/٢١٢.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٦٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ج١٤/١٢.

خامساً: الوقف بالنقل:

هو: تحويل الحركة من الحرف الأخير للكلمة إلى الساكن قبله، ومثاله: هذا بَكْرٌ، ومررت بَبَكْرٍ^١.

ووصف هذا النوع من أنواع الوقف بأنه قليل، لأنه "يؤدي إلى تغيير بناء الكلمة في الظاهر بتحريك عينه الساكنة مرة بالضم، ومرة بالكسر، ومرة بالفتح، وأيضاً لاستكراه انتقال الإعراب الذي حقه أن يكون على الحرف الأخير إلى الوسط"^٢.

وللوقف بالنقل شروط لا بد من توافرها، أهمها^٣:

١- أن يكون ما قبل الآخر ساكناً.

٢- أن يكون الحرف الأخير الذي ستنتقل حركته صحيحاً.

٣- ألا يؤدي النقل إلى بناء معدوم النظير في العربية أو نادر فيها^٤.

ويلاحظ مما سبق أن علة الوقف بالنقل هو كراهية التقاء الساكنين، أشار إلى ذلك سيبويه، فقال: "هذا باب الذي يكون آخر الحروف فيحرك، لكراهيتهم التقاء الساكنين، وذلك قول بعض العرب، هذا بَكْرٌ، وَمِنْ بَكْرٍ"^٥.

وقد عزي الوقف بالنقل إلى تميم^٦.

واشتملت القراءات الشاذة على هذا النوع من أنواع الوقف، وأورد أبو حيان منها، قراءة:

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج٩/٧٠.

(٢) اللهجات العربية في التراث ج٢/٤٨٩.

(٣) شرح ابن عقيل ج٤/١٧٤.

(٤) اللهجات العربية في التراث ج٢/٤٨٩-٤٩٠.

(٥) الكتاب لسيبويه ج٤/١٧٣.

(٦) شرح التصريح على التوضيح ج٢/٦٢٧.

• والعَصْرِ-بالصَبْرِ: في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ سلام: (والعَصْرِ) بكسر الصاد^٢ ، (والصَبْرِ) بكسر الباء^٣ . قال ابن عطية^٤ : وهذا لا يجوز إلا في الوقف على نقل الحركة . وروي عن أبي عمرو : (بالصَبْرِ) بكسر الباء إشماعاً ، وهذا (أيضاً) لا يكون إلا في الوقف"^٥.

وقد ذكر ابن مجاهد قراءة سلام (والعَصْرِ)، واحتج لها، فقال: "حدثني علي ابن سهل، قال: حدثنا عفان، قال: سمعت سلاماً أبا المنذر يقرأ (والعَصْرِ) فكسر الصاد. وهذا لا يجوز إلا في الوقف، لأنه ينقل حركة الراء إلى الصاد، ويسكن الراء"^٦.

وإلى ذلك ذهب ابن خالويه أيضاً، حيث ذكر أن قراءة سلام بكسر الصاد" إنما يكون في نقل الحركة عند الوقف كقولك: مررت ببيكْر، نقلوا كسرة الراء إلى الكاف عند الوقف"^٧.

(١) الآية رقم ١ ، ورقم ٣ من سورة العَصْرِ.

(٢) السبعة لابن مجاهد/٦٩٦، ومختصر شواذ القرآن/١٧٩.

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ج٢/٥٢٦.

(٤) المحرر الوجيز ج٥/٥٢٠.

(٥) البحر المحيط ج٨/٥٠٧.

(٦) السبعة لابن مجاهد/٦٩٦.

(٧) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه/١٨٧.

المبحث العاشر

المعاقبة

المعاقبة في اللغة: مصدر عاقبه إذا جاء بعقبه أي بعده^١، يقال: "عاقبه معاقبة، فهو معاقب، وعقيب إذا جاء بعده"^٢.

وفي اصطلاح اللغويين: عبارة عن دخول " الواو على الياء، والياء على الواو من غير علة"^٣.

ويتضح من هذا التعريف أن المعاقبة لا تتحقق إلا بأمرين:

الأول: أن يكون الانتقال من الواو إلى الياء، والعكس ليس ناشئاً عن علة صرفية موجبة، فلا يدخل في المعاقبة نحو: ميزان، وميقات، من الوزن، والوقت؛ لأن الواو قلبت ياء لعله صرفية هي سكونها وانكسار ما قبلها^٤.

الثاني: أن يتحد معنى الصيغتين الواوية واليائية، ولذا، "لا يعد من التعاقب ما اختلف معناه"^٥.

وعُزِي النطقُ بالياء إلى أهل الحجاز، والنطق بالواو إلى تميم، أشار إلى ذلك السيوطي، حيث ذكر أن أهل الحجاز يقولون: "قلنسية وتميم قلنسوة"^٦.

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٢/١٠٢-١٠٣ م (عقب)، والمصباح المنير ج ٢/٣٤ م (عقب).

(٢) المصباح المنير ج ٢/٣٤ م (عقب) مع تصرف يسير.

(٣) المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ج ١٤/١٩.

(٤) اللهجات العربية نشأة وتطوراً د/ عبد الغفار حامد هلال/٢٣٨.

(٥) المرجع السابق / ٢٤٠.

(٦) المزهري في علوم العربية وأنواعها ج ٢/٢٧٦.

ولما كانت المعاقبة ظاهرة لغوية، وصورة من صور اختلاف اللهجات، لم تُغفل القراءات الشاذة تناولها، وإنما اشتملت بعض القراءات الشاذة على تعاقب كل من الياء والواو، وأورد أبو حيان في بحره المحيط قراءات شاذة تمثل المعاقبة، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها صوتياً، وذلك على النحو الآتي:

● القِيَام: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وعلقمة، والنخعي والأعمش: (القيام)^٢".

ويعلل ابن جني لهذه القراءة، فيقول: "أما (القِيَام) ففيعال من قام يقوم، لأن الله تعالى هو القيم على كل نفس، ومثله من الصفة على فيعال: الغيداق والبيطار. وأصله: القيوم، فلما التقت الواو والياء، وسبقت الأولى بالسكون، قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء، فصارت القِيَام، ومثله قولهم: (ما بالدار دِيَار)، وهو فيعال من دار يدور وأصلها دِيَوَار، وأهل الحجاز يقولون للصَوَاغ: الصِّيَاغ. فعلى هذا ينبغي أن يحمل لا على فَعَّال، لأنه كان يجب أن يكون صَوَاغًا. هذا هو الباب"^٣.

وإلى ذلك ذهب العكبري، فقال: "ويقرأ (القِيَام) بالألف على فَيَعَال... ولا يجوز أن يكون فَعَّالًا، إذ لو كان كذلك، لكانت القراءة قَوَّامًا، لأن عين الكلمة واو"^٤.

(١) الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى النبي-صلى الله عليه وسلم. ينظر: المحتسب ج ١/١٥١، وكذلك إلى عمر بن الخطاب. ينظر: معاني القرآن للفراء ج ١/١٩٠، والمحتسب ج ١/١٥١، ومختصر شواذ القرآن/٢٥، وإلى عثمان بن عفان. ينظر: المحتسب ج ١/١٥١، وإلى ابن مسعود والأعمش والنخعي. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٣٤٠، والجامع لأحكام القرآن ج ٤/٢٦٩، وفتح القدير ج ١/٤٦٤، وإلى أصحاب عبد الله، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد، وأبي رجاء بخلاف. ينظر: المحتسب ج ١/١٥١.

(٣) البحر المحيط ج ٢/٢٨٧.

(٤) المحتسب ج ١/١٥١.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٢٦٥.

وبناءً على هذا، فإن الياء تعاقبت مع الواو في لفظ (قِيَام) كصَوَّاعٍ وصَيَّاعٍ، والنطق بالياء لغة أهل الحجاز^١، كرهوا التقاء الواوين- لا سيما فيما كثر استعماله- فأبدلوا الأولى من العينين ياء- كما قالوا في أمَّا: (أَيِّمًا) ونحو ذلك- فصار تقديره: الصَيِّوَاعُ، فلما التقت الواو والياء على هذا، أبدلوا الواو للياء قبلها، فقالوا: (الصَيِّيَاعُ)^٢.

• يَضْرُكُم- وَيَضْرِكُم: في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ

مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن بضم الضاد وسكون الراء^٤ من ضار يضور، وقرأ النخعي بكسر الضاد وسكون الراء^٥ من ضار يضير وهي لغات"^٦.

ويلاحظ مما ذكره أبو حيان أن الياء والواو تعاقبتا في مضارع (ضار)، وهما لغتان، أشار إلى ذلك ابن جني^٧، والعكبري^٨.

يقول العكبري: "قوله (لا يضركم)... يقرأ بتخفيف الراء أي بالسكون، فمنهم مَنْ يكسر الضاد، ومنهم من يضمها، وأصله ضار يضور ويضير لغتان"^٩.

(١) معاني القرآن للفراء ج ١/١٩٠، والخصائص لابن جني ج ٢/٦٥.

(٢) الخصائص لابن جني ج ٢/٦٥.

(٣) الآية رقم ١٠٥ من سورة المائدة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى الحسن. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٤١، والمحتسب ج ١/٢٢٠.

(٥) ينظر: مختصر شواذ القرآن/٤١، والمحتسب ج ١/٢٢٠، ونسبت كذلك إلى يحيى بن وثاب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٤١.

(٦) البحر المحيط ج ٤/٤٢.

٧ المحتسب ج ١/٢٢٠.

٨ التبيان في إعراب القرآن ج ١/٤٦٦.

٩ إعراب القراءات الشواذ ج ١/٤٦٢.

وعزي النطق بالواو في (يضور) إلى بعض أهل العالية. أشار إلى ذلك ابن سيدة، فقال: " ويقال: ضاره يضيره، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول لا ينفعني ذلك ولا يضورني"^١.

ومثل يضرُكم ويضرُكم في تعاقب الياء والواو في عينها، غرته وغرته^٢، وقد ورد وقوع ذلك في النظم العربي، قال الشاعر:

ما ذا يغير ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بوسى لمن رقدا^٣

ووردت المعاقبة كذلك في الموائق والميائيق، قال الشاعر:

حمى لا يحلّ الدهر إلا بإذننا ولا نسأل الأقسام عهد الميائيق^٤

١ المخصص لابن سيدة ج ١٤/٢٠.

٢ المرجع السابق/ الموضوع نفسه.

٣ المرجع السابق/ الموضوع نفسه.

٤ هذا البيت منسوب إلى عياض بن أم درة الطائي. ينظر: شرح المفصل ج ٥/١٢٢.

المبحث الحادي عشر

التقاء الساكنين(*)^١

تمهيد:

التقاء الساكنين مسألة من المسائل اللغوية المهمة التي شغلت أفكار كثير من القراء واللغويين، فقد تناولوها بالبحث والدراسة، وبيان موقف اللسان العربي منها.

واعترف القراء بأن التقاء الساكنين ثقیل فيما إذا كان الأول منهما حرفاً صحيحاً، ولاشك أنه عسير في الكلام. أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى، فقال:

وإدغام حرف قبله صح ساكن عسير وبالإخفاء طبق مفصلاً^٢
وأما اللغويون فإن كثيراً منهم أنكروا التقاء الساكنين، ذكر ابن يعيش أنه غير ممكن، فقال: "التقاء الساكنين لا يجوز، بل هو غير ممكن، وذلك من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحال الابتداء بساكن"^٣.

ولما كان أمر التقاء الساكنين على هذه الصفة المذكورة آنفاً من الثقل والعسر، كان لابد من التخلص من اجتماع الساكنين، وقد سلك العرب عدة طرق لكي تتخلص من النطق بساكنين، لجأوا تارة إلى تحريك الساكن الأول، وأخرى بتحريك الثاني الساكن، وقد اشتملت القراءات الشاذة على أمثلة التخلص من التقاء الساكنين، وذكر أبو حيان عدداً منها في تفسيره، وفيما يأتي عرضها، وذلك كالآتي:

(١) للوقف على مزيد من الاتساع والإسهاب في بحث التقاء الساكنين يمكن الرجوع إلى: شرح المفصل لابن يعيش ج٩/١٢٠-١٣١، وشرح الشافية للرضي ج٣/٣٠٤-٣١٣، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي د/عبد الصبور شاهين/٣٩٢-٤١٦.

(٢) حرز الأمانى ووجه التهاني/١٣.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ج٩/١٢٠.

أولاً: التحريك:

وهو عبارة عن تحريك الساكن الأول بالكسر لا غير، في كلمة أو في كلمتين، نحو: (قم الليل)^١، وكم المال، ونحو: اضرب، واصنع، في الابتداء، ألف الوصل كسرت لسكونها وسكون ما بعدها، عند بعض النحويين^٢.

والأصل في التحريك هو الأول إلا إذا أدى تحريكه إلى نقص الغرض من إسكانه، ففي هذه الحالة يحرك الثاني، أشار إلى ذلك الرضي، فقال: "إذا لم يكن الأول مدة، حرك الأول إلا إذا حصل من تحريك الأول نقص الغرض، وهذا في الفعل فقط، نحو: انطلق، وأصله: انطلق، أمرٌ من الانطلاق، فشبهه طَلِقَ كَتِفَ في لغة تميم، فسكن اللام، فالتقى ساكنان، فلو حرك الأول على ما هو حق التقاء الساكنين لكان نقصاً للغرض، وكذا الكلام في لم يَلِدْه، قال^٣:

عجبت لمولود وليس له أب وذو ولد لم يَلِدْه أبوان^٤

أراد "لم يَلِدْه، فأسكن اللام استثقلاً للكسرة، وكانت الدال ساكنة فحركها لالتقاء الساكنين"^٥.

والتحريك يشتمل على الحركات الثلاث (الكسرة، والضمة، والفتحة).

١- التحريك بالكسر:

وهي الأصل^٦ في تحريك الساكن الأول^٧.

واشتملت القراءات الشاذة على تحريك أحد الساكنين-الأول أو الثاني- بالكسر، من أجل التخلص من ثقل اجتماعهما.

(١) الآية رقم ٢ من سورة المزمل.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ج ١/٢٧٦.

(٣) هذا البيت منسوب لرجل من أزد السراة، ويروى:

ألا ربّ مولود وليس له أب * وذو ولد لم يَلِدْه أبوان.

ينظر: الكتاب لسبويه ج ٢/٢٦٦، والخصائص لابن جني ج ٢/٣٣٣، والأصول في النحو لابن السراج ج ٣/١٥٨.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج ٢/٢٣٨.

(٥) الخصائص لابن جني ج ٢/٣٣٣.

(٦) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ج ٢/٢٣٥، والكشف لمكي ج ١/٢٧٤.

(٧) المرجعان السابقان/ نفس الموضوع منهما.

(أ) تحريك الساكن الأول بالكسر:

* ألم: في قوله تعالى: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^١ .
قال أبو حيان: "وقرأ أبو حيوة بكسر الميم^٢ ، ونسبها ابن عطية إلى الرؤاسي^٣ ، ونسبها
الزمخشري^٤ إلى عمرو بن عبيد..^٥ ."

يشير أبو الحسن الأخفش إلى كسر الميم من (الم)، قائلاً: "وقال: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
، فالميم مفتوحة، لأنها لقيها حرف ساكن فلم يكن من حركتها بد. فإن قيل: فهلا حركت
بالجر؟ فإن هذا لا يلزم فيها، وإنما أرادوا الحركة، فإذا حركوها بأي حركة كانت، فقد وصلوا
إلى الكلام بها، ولو كانت كسرت لجاز، ولا أعلمها إلا لغة"^٦ .

وقد غلط الزجاج ما ذهب إليه الأخفش، حيث قال: "وذكر أبو الحسن الأخفش أن الميم لو
كسرت لالتقاء الساكنين، فقيل ﴿الْمَ اللَّهُ﴾ لجاز، وهذا غلط من أبي الحسن؛ لأن قلب
الميم ياءً مكسوراً ما قبلها، فحقها الفتح لالتقاء الساكنين؛ وذلك لثقل الكسرة مع الياء"^٧ ،
وإلى ذلك أشار كل من النحاس، وابن عطية، وأبي حيان^٨ . لذلك وصف ابن عطية كسر
الميم بأنه رديء، حيث قال: "وذلك رديء؛ لأن الياء تمنع من ذلك"^٩ . ووصفها العكبري
بالضعف، فقال: "قوله تعالى ﴿الْمَ اللَّهُ﴾ ، يقرأ بكسر الميم، على أصل التقاء الساكنين،
وفيه ضعف، لأجل الياء والكسرة قبلها"^{١٠} .

(١) الآية رقم ٢٠١ من سورة آل عمران.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى أبي حيوة، وجعفر الرؤاسي. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٣٩٧، وإلى عمرو بن عبيد. ينظر:
مختصر شواذ القرآن/٢٥، والكشاف ج ١/٥٢٦.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٣٩٧.

(٤) الكشاف ج ١/٥٢٦.

(٥) البحر المحيط ج ٢/٣٨٩.

(٦) معاني القرآن للأخفش ج ١/٢٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١/٣٧٣.

(٨) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٣٥٣-٣٥٤، والمحرر الوجيز ج ١/٣٩٧، والبحر المحيط ج ٢/٣٨٩-٣٩١.

(٩) المحرر الوجيز ج ١/٣٩٧.

(١٠) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٢٩٩.

ومع هذا الذي وُصِفَتْ به هذه القراءة الشاذة ﴿الْمَ اللَّهُ﴾ ، وكذلك ما رُمِيَتْ به من الغلط وغيره، فإن لها قيمتها اللغوية، ذلك أنها تمثل واقعاً لغوياً، وصورة لبعض ألسنة العرب التي كانت موجودة قبل ذلك.

(ب) تحريك الثاني الساكن بالكسر:

* **عَصَايَ، وَعَصَايَ:** في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الحسن (عَصَايَ) بكسر الياء^٢ وهي مروية عن ابن أبي إسحق أيضاً وأبي عمرو معاً ، وهذه الكسرة لالتقاء الساكنين.

وعن أبي إسحق والجحدري (عَصَايَ)^٣ بسكون الياء"^٤.

ويحتج ابن جني لكل من قراءة (عصايَ)، و(عصايِ)، فيقول: "ومن ذلك قراءة الحسن وأبي عمرو، بخلاف عنهما، (هي عصايِ) بكسر الياء، مثل غلامي، وقرأ (عصايِ) ابن أبي إسحق أيضاً. قال أبو الفتح: كسر الياء في نحو هذا ضعيف، استثقلاً للكسرة فيها، وهرباً إلى الفتحة، (كهْدَايِ)، و(يابشْرَايِ)، إلا أن للكسرة وجهاً مآ. وذلك أنه قد قرأ حمزة: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيِّ)، فكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أن قبلها كسرة وياء، والفتحة والألف في (عصايِ) أخف من الكسرة والياء في (مصرخيِّ)... وقول ابن مجاهد: مثل غلامي لا وجه له، لأن الكسرة في ياء (عصايِ) لالتقاء الساكنين، والكسرة في ميم (غلامي) هي التي تحدثها ياء المتكلم. أفترى أن في (عصايِ) بعد ياء المتكلم ياء له أخرى حتى يكون

(١) الآية رقم ١٨ من سورة طه.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى الحسن. ينظر: المحتسب ج ٤٨/٢، والمحزر الوجيز ج ٤١/٤، والجامع لأحكام القرآن ج ٤٢/١٤، وإلى أبي عمرو بخلاف عنه. ينظر: المحتسب ج ٤٨/٢، والمحزر الوجيز ج ٤١/٤.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى ابن أبي إسحق. ينظر: المحتسب ج ٤٩/٢، والمحزر الوجيز ج ٤١/٤، والجامع لأحكام القرآن ج ٤٢/١٤.

(٤) البحر المحيط ج ٢٢٠/٦.

(٥) من الآية رقم ٢٢ من سورة إبراهيم. وهي قراءة متواترة. ينظر: التيسير للداني/١٠٩.

للمتكلم ياءان؟ وهذا محال، وإنما غرضه أن الياء في (عصاي) مكسورة كما أن ميم غلامي مكسورة^١.

وبناء على هذا، فإن قراءة(عصاي) قد اشتملت على الجمع بين ساكنين، وهذا الجمع على الرغم من أنه مغتفر، لأن أول الساكنين حرف مد إلا أنه ورد الهروب منه، بكسر الثاني وهو ما صورته قراءة(عصاي)، يشير إلى ذلك العكبري، فيقول: " قوله تعالى:(عصاي)... ويقرأ بتخفيف الياء وكسرها على أصل التقاء الساكنين"^٢.

٢- التحريك بالضم:

من الوسائل التي لجأ إليها العربي في تخلصه من التقاء الساكنين تحريك أولهما بالضم، وسجلت القراءات الشاذة ذلك، وأورد أبو حيان منها:

• **لَوْ اسْتَطَعْنَا:** في قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا

مَعَكُمْ^٣.

قال أبو حيان: " وقرأ الأعمش وزيد بن علي: (لَوْ اسْتَطَعْنَا) بضم الواو^٤ ، وفرّ من ثقل الكسرة على الواو، وشبهها بواو الجمع عند تحريكها لالتقاء الساكنين"^٥.

وقد علل سيبويه لهذه القراءة بقوله: " وقد قال قوم:(لَوْ اسْتَطَعْنَا) شبهوها بواو اخشؤا الرجل ونحوها"^٦.

(١) المحتسب ج ٤٨/٢ - ٥٠.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ج ٦٨/٢.

(٣) الآية رقم ٤٢ من سورة التوبة.

(٤) هذه القراءة نسبت إلى الأعمش. ينظر: المحتسب لابن جني ج ٢٩٢/١، والمحمر الوجيز ج ٣٨/٣، وإلى زيد بن

علي. ينظر: الدر المصون ج ٥٤/٦.

(٥) البحر المحيط ج ٤٧/٥.

(٦) الكتاب لسيبويه ج ١٥٥/٤.

ويقول ابن جني محتجاً لضم الواو من (لو) "شبهت واو (لو) هذه بواو جماعة ضمير المذكورين، فضمت كما تلك مضمومة في قول الله تعالى: (فتمنوا الموت...)"^١،

وإلى ذلك ذهب أبو حيان^٢.

ومثلها: قراءة:

- لَوِ اطَّلَعْتَ: في قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن وثاب والأعمش: (لَوِ اطَّلَعْتَ) بضم الواو؛ وصلاً. وقرأ الجمهور: بكسرهما، وقد ذكر ضمها عن شيبه وأبي جعفر ونافع"^٤.

- وَلَوْ اتَّبَعَ: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾^٥.

قال أبو حيان: "قرأ ابن وثاب (وَلَوْ اتَّبَعَ) بضم الواو"^٦.

٣- التحرك بالفتح:

حُرِّكَ الساكن الأول من الساكنين المجتمعين بالفتح لدى بعض العرب، وتناولت ذلك القراءات الشاذة، وأورد منها أبو حيان في تفسيره، منها:

(١) المحتسب ج ١/٢٩٢.

(٢) البحر المحيط ج ٥/٤٧.

(٣) الآية رقم ١٨ من سورة الكهف.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٤٥١، ومختصر شواذ القرآن/٨٢، والمحرر الوجيز ج ٣/٥٠٤، والدر المصون ج ٧/٤٦١.

(٥) البحر المحيط ج ٦/١٠٦.

(٦) الآية رقم ٧١ من سورة المؤمنون.

(٧) البحر المحيط ج ٦/٣٨٢. ونسبت هذه القراءة إلى ابن وثاب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠٠، والمحتسب ج ٢/٩٧، ونسبت كذلك إلى ابن أبي إسحاق، وعيسى والجحدري. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠٠.

● اشتروا الضلالة: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو السماك قعنب العدوي: (اشتروا الضلالة) بالفتح"^٢.

ويعلل ابن جني لهذه القراءة، فيقول: "في هذه الواو ثلاث لغات: الضم، والكسر، وحكى أبو الحسن فيها الفتح (اشتروا الضلالة)، ورويناه أيضا عن قطرب، والحركة في جميعها لسكون الواو وما بعدها، والضم أفشى، ثم الكسر، ثم الفتح"^٣.

ويذكر العكبري أن فتح الواو طلب "للخفة لثقل الضمة والكسرة، ولأنها بعد فتحة فأتبع ما قبلها"^٤، وإلى ذلك أشار كل من ابن الأنباري^٥، والقرطبي^٦.

ومثلها: قراءة:

● فتمنوا الموت: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ

خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٧.

قال أبو حيان: "وحكى أبو علي الحسن بن إبراهيم بن يزداد، عن أبي عمرو، أنه قرأ: فتمنوا الموت، بفتح الواو^٨، وحركها بالفتح طلباً للتخفيف، لأن الضمة والكسرة في الواو ينقلان"^٩.

(١) الآية رقم ١٦ من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط ج ١/٢٠٤. وينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠، وإعراب القرآن للنحاس ج ١/١٩٢.

(٣) المحتسب ج ١/٥٤.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ١/١٢٥.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٥٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج ١/٣١٨.

(٧) الآية رقم ٩٤ من سورة البقرة.

(٨) هذه القراءة نسبت إلى أبي عمرو. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/١٨١، والدر المصون ج ٢/٨.

(٩) البحر المحيط ج ١/٤٧٨.

ومثلها: قراءة:

• ياسين: في قوله تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن أبي إسحق وعيسى بفتح النون"^٢.

وقد ذكر كثير من العلماء أن في فتح النون من ﴿يَسَّ﴾ وجهين، وهما:

الأول: إن النون حركت بالفتح لالتقاء الساكنين، أشار إلى ذلك ابن جني معللاً الفتح بأنه هرب "إلى خفة الفتحة لأجل ثقل الياء قبلها والكسرة"^٣، وإلى ذلك ذهب كل من العكبري^٤، والشوكاني^٥.

الثاني: أن يكون منصوباً على حذف حرف القسم، أو طلباً للتخفيف^٦، أو على إضمار اتل ياسين^٧.

ومثلها: قراءة:

• صاد: في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^٨.

(١) الآية رقم ١-٢ من سورة يس.

(٢) البحر المحيط ج٧/٣١٠. نسبت هذه القراءة إلى ابن أبي إسحاق. ينظر: المحتسب لابن جني ج٢/٢٠٣، والمحرر الوجيز ج٤/٤٤٦، وإلى عيسى بن عمر. ينظر: المحتسب لابن جني ج٢/٢٠٣، ومختصر شواذ القرآن/١٢٥.

(٣) المحتسب ج٢/٢٠٣.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٣٥٤.

(٥) فتح القدير ج٤/٤٧٤.

(٦) البحر المحيط ج٧/٣١٠.

(٧) قال سيبويه: "فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: أذكر ياسين" أ.هـ الكتاب ج٣/٢٥٨، وينظر كذلك إعراب القرآن للنحاس ج٣/٣٨١، والجامع لأحكام القرآن ج١٧/٤٠٧.

(٨) الآية رقم ١ من سورة ص.

قال أبو حيان: "وقرأ عيسى ، ومحبوب عن أبي عمرو ، وفرقة: (صاد) بفتح الدال^١ . ، وكذا قرأ: (قاف) و(نون) بفتح الفاء والنون ، فقليل : الفتح لالتقاء الساكنين طلباً للتخفيف ؛ وقيل : انتصب على أنه مقسم به ، حذف منه حرف القسم نحو قوله : الله لأفعلن".
وفي توجيه فتح الدال من (صاد) أوجه ثلاثة:

الأول: أنه حركت بالفتح لالتقاء الساكنين^٢ ، واختير "الفتح للإتباع، ولأنه أخف الحركات"^٣.
الثاني: أن تكون(صاد) اسماً للسورة ولم يصرف، أي اتلُ صاد^٤.

الثالث: أن تكون منصوبة على القسم بغير حروف^٥

ثانيا: التخلص من التقاء الساكنين بالحذف:

قال الآن: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾^٦
قال أبو حيان: "وقرأ نافع^٧ : بحذف همزة وإلقاء حركتها على اللام ، وعنه روايتان: إحداهما : حذف واو قالوا ، إذ لم يعتد بنقل الحركة ، إذ هو نقلٌ عارض ، والرواية الأخرى : إقرار الواو اعتداداً بالنقل ، واعتباراً لعارض التحريك ، لأن الواو لم تحذف إلا لأجل سكون اللام بعدها . فإذا ذهب موجب الحذف عادت الواو إلى حالها من الثبوت"^٨.

(١) نسبت هذه القراءة إلى عيسى بن عمر الثقفي. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٢٩، والمختصب ج٢/٢٣٠، وإلى محبوب عن أبي عمرو. ينظر: فتح القدير ج٤/٥٥٢.

(٢) المختصب لابن جني ج٢/٢٣٠، والجامع لأحكام القرآن ج١٨/١٢١-١٢٢، وفتح القدير ج٤/٥٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٨/١٢٢.

(٤) البحر المحيط ج٧/٣٦٦، والجامع لأحكام القرآن ج١٨/١٢٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ج٣/٤٤٩، والجامع لأحكام القرآن ج١٨/١٢٢.

(٦) الآية رقم ٧١ من سورة البقرة.

(٧) هذه قراءة متوترة من رواية ورش عن نافع، وهي من باب نقل حركة همزة إلى الساكن قبلها، ولذلك جعلها مكى بن أبي طالب بابا خاصا لورش، فقال: "باب علل نقل حركة همزة على الساكن قبلها لورش" أ.هـ الكشف ج١/٨٩. وينظر: البدور الزاهرة للشيخ/ عبد الفتاح القاضي.

(٨) البحر المحيط ج١/٤٢٢.

وقد ذكر الزجاج أن في قوله تعالى: (قالوا الآن) أربعة أوجه، أجودها (قالوا الآن) بإسكان اللام وحذف الواو من اللفظ^١.

ويعلل النحاس لحذف الواو من (قالوا الآن) بأنه من أجل التقاء الساكنين، حيث ذكر أنه قرئ بتخفيف "الهمزة مع حذف الواو لالتقاء الساكنين"^٢، وإلى ذلك ذهب ابن الأنباري، فقال: "حذفت الواو من (قالوا) لالتقاء الساكنين، وهما الواو واللام من (الآن)^٣.

ثالثاً: التخلص من التقاء الساكنين باختلاس الحركة:

● فتمنوا الموت باختلاس الضم: في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾^٤. قال أبو حيان: "وحكي أيضاً عن أبي عمرو: اختلاس ضمة الواو"^٥.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١/١٥٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ج ١/١٣٦-٢٣٧.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١/٩٤.

(٤) الآية رقم ٩٤ من سورة البقرة.

(٥) ينظر: الدر المصون ج ٨/٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج ٢/٢٩٦.

تمهيد:

الدلالة-بفتح الدال وكسرها- في اللغة مصدر الفعل الثلاثي (دَلَّ)، يقول الجوهري مشيراً إلى ذلك: "وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى"^١، ويقال: "ودلّه على الشيء يدُلُّه دَلًّا ودَلَالَةً فاندَلَّ: سدّده إليه، ودلّته فاندَلَّ"^٢، ويقال أيضاً: "دللت على الشيء وإليه من باب قتل... والاسم الدلالة بكسر الدال وفتحها، وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه"^٣.

وذكر ابن مكي الصقلي أن قوماً فرقوا بين الدلالة بالكسر والدلالة بالفتح فقالوا: دليل من أدلة العلم بين الدلالة بالفتح إذا كان واضحاً، ودلّال، أي سمسار، بين الدلالة، بالكسر، جعلوه من الصناعات. وكذلك: دليل الطريق بين الدلالة بالكسر أيضاً"^٤.

ومصطلح الدلالة عند علماء العربية هو: "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب"^٥.

ويعرفها الجرجاني بقوله "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، واقتضاء النص"^٦.

(١) الصحاح للجوهري ج ١٦٩٨/٥ م (دلل).

(٢) لسان العرب ج ٢٦٤/١٣ م (دلل).

(٣) المصباح المنير ج ٩٩/١.

(٤) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان للإمام الفقيه أبي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي اللغوي (ت ٥٠١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١/١٠٤١٠هـ=١٩٩٠م/١٩٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان/١٧١.

(٦) التعريفات للجرجاني/١٠٩.

الفصل الأول

الترادف في القراءات الشاذة

الترادف في اللغة: التتابع^١، يقال: " وكل شيء تَبَعَ شيئاً فهو رَدْفُهُ،

وإذا تَتَابَعَ شيء خلف شيء فهو التَّرَادْفُ"^٢.

وفي الاصطلاح: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد^٣.

غير أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن القول بترادف كلمتين أو كلمات محمول على التوسع والمجاز، وغير ذلك، وليس على سبيل الحقيقة، ذلك أنه لا توجد كلمتان

تؤديان معنى واحداً (حذو النعل بالنعل، والقُدَّة بالقُدَّة)^٤.

وقد اختلف العلماء- قديماً وحديثاً- في قضية الترادف، بين مؤيد له، ومنكر، واحتج صاحب كل مذهب بما يؤيد مذهبه.

ومن المؤيدين الذين أثبتوا وجود ظاهرة الترادف من القدامى سيبويه، أشار إلى ظاهرة الترادف^٥، كما أشار إليها ابن جني وبَوَّبَ له بقوله: ((باب في تلافي المعاني على اختلاف الأصول والمباني))، ومثل لها بالخليقة والسجية، والطبيعة، والغريزة، والسليقة^٦، وكذلك السيوطي كما مر من تعريفه للترادف^٧، ومن المنكرين لهذه الظاهرة أحمد بن فارس، حيث

(١) العين للخليل ج ٢٢/٨، ومقاييس اللغة لابن فارس ج ٥٠٣/٢، والقاموس المحيط ج ١٣٨/٣.

(٢) لسان العرب ج ١٣/١١ م (ردف).

(٣) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ج ٤٠٢/١.

(٤) هذا مثل يضرب في الشئيين المتماثلين اللذين يستويان ولا يتفاوتان، والقُدَّة: ريش السهم، والنعل ما يلبس في القدم، والنعل أيضاً: الجلدة التي على ظهر السية من القوس. ينظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (٥١٨هـ)، تحقيق وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١/١٩٥، والمستقصى في أمثال العرب للزحشري/٢٠٤، ولسان العرب ج ١٤/١٩٢-١٩٣ م (نعل)، وج ٣٨/٥ م (قذذ).

(٥) الكتاب لسيبويه ج ٧/١.

(٦) الخصائص ج ٢/١١٣-١١٨.

(٧) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ج ٤٠٢/١.

قال: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو (السيف، والمهتد، والحسام)، ثم قال: والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو (السيف)، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها، وإن اختلفت ألفاظها، فإنها ترجع إلى معنى واحد... وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى، وذهب، وانطلق... إلى أن قال: وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب^١، ومن المنكرين لهذه الظاهرة شيخ ابن فارس ثعلب^٢، وأبو علي الفارسي^٣، وأبو هلال العسكري، وقد ألف كتابه (الفروق اللغوية) لإبطال الترادف، وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعى ترادفها. وقد بدأ كتابه بعنوان (في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة، والقول في الدلالة على الفروق بينها)^٤.

وقد اختلف المحدثون كذلك في إثبات ظاهرة الترادف وإنكارها^٥

وذكر المحدثون أن الترادف نوعان^٦:

الأول: الترادف الكامل، وهذا النوع يتم "حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ولا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما؛ ولذا يبادلون بحرية بينهما في كل السياقات"^٧.

الثاني: شبه الترادف، وذلك "حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً لدرجة أنه يصعب معها- بالنسبة لغير المتخصص- التفريق بينهما؛ ولذا يستعملهما الكثيرون دون تحفظ، مع إغفال هذا الفرق"^٨.

(١) الصاحبي في فقه اللغة/٦٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق/الموضع نفسه، والمزهر للسيوطي ج ١/٤٠٣.

(٣) المزهر للسيوطي ج ١/٤٠٥.

(٤) الفروق اللغوية/٢٢.

(٥) ينظر: علم الدلالة د/أحمد مختار عمر، عالم الكتب/٢٢٤-٢٣١.

(٦) المرجع السابق/٢٢٠-٢٢١.

(٧) المرجع السابق/٢٢٠.

(٨) المرجع السابق/٢٢٠-٢٢١.

وفيما يأتي عرض القراءات الشاذة التي اشتملت على الترادف وأوردها أبو حيان في البحر المحيط، وذلك كالاتي:

● **مَشَوْا- وَمَرُّوا- وَمَضَوْا:** في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾^١.

قال أبو حيان: وفي مصحف أبيّ: مرّوا فيه، وفي مصحف ابن مسعود^٢: مضوا فيه^٣.

والملاحظ هنا أن أبا حيان ذكر قراءة:(مرّوا) وقراءة:(مضوا) دون تعليق عليهما أو تعقيب، وكأن ذلك إشارة منه إلى أنهما جميعا بمعنى واحد، وإلى ذلك أشار صاحب معجم القراءات، فقال: " وفي مصحف أبي بن كعب(مروا فيه)، وفي مصحف ابن مسعود(مضوا فيه)، وقراءة الجماعة(مشوا فيه) وكلها بمعنى واحد"^٤.

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبين أن القول بترادف الألفاظ الثلاثة(مشوا، مروا، ومضوا) من قبيل التسامح، أما عند التدقيق اللغوي، فيتبين أن الكلمتين تلتقيان في جزء من المعنى من الترادف الجزئي.

فمشى من المشي، وهو: " الانتقال من مكان إلى مكان آخر بإرادة". قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾^٥، يقال: " مشى يمشي مشياً إذا كان على رجله، سريعاً كان أو بطيئاً فهو ماش، والجمع مشاة"^٥.

ويقول ابن فارس: " الميم والشين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على حركة الإنسان وغيره، والآخر النماء والزيادة، والأول مشى يمشي مشياً، وشربتُ مشوّاً ومشياً، وهو الدواء الذي يُمشي..."^٦

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة البقرة.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى أبيّ بن كعب، وابن مسعود. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١١، والمحزر الوجيز ج١/١٠٤.

(٣) البحر المحيط ج١/٢٢٨.

(٤) معجم القراءات ج١/٥٩.

(٥) المصباح المنير ج٢/١١٢.

(٦) مقاييس اللغة لابن فارس ج٥/٣٢٥.

ومرّوا من المرور وهو "المضي والاجتياز بالشيء"^١، يقال: "مررت بزيد وعليه مرّاً ومروراً وممرّاً: اجتزت"^٢.

وأما مضوا، فهو من المضي، و"المضيّ والمضاء: النفاذ"^٣،

يقول ابن فارس: "الميم والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على نفاذ ومرور، ومضى يمضي مضياً، والمضاء: النفاذ في الأمر، والمضواء: التقدم..."^٤.

ويقال: "مضى الشيء يمضي مضياً ومضاء بالفتح والمد: ذهب.. ومضى الأمر مضاء: نفذ"^٥، ويقول ابن منظور: "مضى في الأمر مضاء نَقَدَ وأمضى الأمر أنفذه وأمضيت الأمر أنفذته"^٦.

ومما سبق يمكن ملاحظة أن الألفاظ الثلاثة (مشوا-ومروا-ومضوا) يشتركن في معنى الحركة والانتقال.

وبناء على هذا، فإن إطلاق الترادف عليها جميعاً من هذا الجانب، وهو ملحوظ اشتراكها في معنى واحد مقبول، أو من باب التسامح في إطلاق الألفاظ المتقاربة بعضها من بعض.

● نفس-ونسمة: في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^٧.

(١) المفردات في غريب القرآن/٤٦٥.

(٢) المصباح المنير ج ٢/١٠٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن/٤٦٩.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ج ٥/٣٣١.

(٥) المصباح المنير ج ٢/١١٣.

(٦) لسان العرب ج ٢٠/١٥٢ م(مضى).

(٧) الآية رقم ٤٨ من سورة البقرة.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو السرار الغنوي^١: لا تجزي نسمة عن نسمة"^٢.

وبالنظر في بعض المعاجم العربية، يتبين أن كلمة (نسمة) قد أطلقت على كلمة (نفس)، فقد قال ابن الأثير عقب ذكره حديث النبي ﷺ: "من أعتق نسمة أو فك رقبة"^٣، "النسمة: النفس والروح، أي من أعتق ذا روح"^٤.

ويقول ابن منظور: "وفي الحديث أَنَّ النبي ﷺ قال: مَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةً مُؤْمِنَةً وَقَى اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ" قال خالد: النَّسَمَةُ النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَكُلُّ دَابَّةٍ فِي جَوْفِهَا رُوحٌ فَهِيَ نَسَمَةٌ"^٥.

ومما يمكن ملاحظته هنا هو أن المعنى الجامع بين (النفس والنسمة) هو: النفس، يقول ابن فارس: "النون والسين والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على خروج نَفْسٍ، أو رِيحٍ غير شديدةٍ

(١) هذه القراءة نسبت إلى أبي السرار الغنوي. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٣، والكشاف للزمخشري ج ١/٢٦٤، وروح المعاني لآلوسي ج ١/٢٥١، ومعجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ج ١/٩٤، ونسبها ابن عطية إلى أبي حنيفة، وأبي السوار الغنوي في تفسير الآية رقم ٧٢ من سورة البقرة. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/١٦٥.

(٢) البحر المحيط ج ١/٣٤٨.

(٣) هذا الحديث لم أجده باللفظ المروي في غريب الحديث لابن الأثير، لكنه مروي من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بلفظ: "من أعتق نسمة مسلمة أو مؤمنة وقى الله بكل عضو منه عضواً منه من النار". ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠-٢٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وآخرين، دار الحرمين ١٤١٥هـ=١٩٩٥، ج ٤/١١٠، وسنن النسائي الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق وتخريج حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ج ٥/٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، وآخرين، مؤسسة التاريخ العربي ج ٥/٤٩.

(٥) سبق توثيق هذا الحديث، والحديث مروي بلفظ آخر في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: "من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه". ينظر: صحيح البخاري ج ٨/١٤٥، وأخرجه مسلم بنفس لفظ البخاري لكن بدون لفظة (مسلمة)، وأخرجه أيضاً بلفظ: "من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار"، ولفظ "أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار". ينظر: صحيح مسلم ج ٤/٢١٧-٢١٨.

(٦) لسان العرب ج ١٦/٥٣ م (نسمة).

الهبوب. ونَفَس الإنسان نَسِيم. وكذا الرِّيح اللَّيِّنة الهُبُوب. ويقولون: من أين مَنَسِمُكَ؟ أي من أين وجهتُكَ. والقياس واحد؛ لأنَّه إذا أَقبلَ أَقبلَ نَسِيمُهُ. ولذلك سَمَّيت النَّفْسُ نَسَمَةً" ١. ويقول ابن فارس أيضاً: "النون والفاء والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خُروج النَّسِيم كيف كان، من رِيح أو غيرها، وإليه يرجعُ فروعه. منه التَّنْفُوسُ: خُروج النَّسِيم من الجوف" ٢.

● الناس - والبشر: في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ٣.

قال أبو حيان: "وفي قراءة أبي ٤ : كان البشر" ٥.

ويلاحظ هنا أن كلمة (البشر) قد ترادفت مع كلمة (الناس) في قراءة الجمهور (كان الناس). والبشر "الخلق يقع على الأنثى والذكر، والواحد والاثنين والجمع، لا يثنى ولا يجمع، يقال: هي بشر، وهو بشر، وهما بشر، وهم بشر. ابن سيده البَشْرُ الإنسان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء وقد يثنى وفي التنزيل العزيز (أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) ٦، والجمع أبشارٌ والبَشْرَةُ أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد من الإنسان... والبشرة والبشر: ظاهر جلد الإنسان" ٧.

(١) مقاييس اللغة ج ٥/٤٢١.

(٢) المرجع السابق ج ٥/٤٦٠.

(٣) الآية رقم ٢١٣ من سورة البقرة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن ج ٣/٤٠٦، ومعجم القراءات ج ١/٢٩٠.

(٥) البحر المحيط ج ٢/١٤٤.

(٦) الآية رقم ٤٧ من سورة المؤمنون.

(٧) لسان العرب ج ٥/١٢٥ م (بشر).

ويقول ابن فارس إن الباء والشين والراء: " أصل واحد: ظهور الشيء مع حُسْنٍ وجمال. فالبَشْرَةُ ظاهرٌ جلد الإنسان، ومنه باشَرَ الرَّجُلُ المرأةَ، وذلك إفضاؤه ببشْرته إلى بَشْرَتِهَا. وسُمِّيَ البَشْرُ بَشْرًا لظهورهم. والبَشِيرُ: الحَسَنُ الوَجْهَ " ١.

لأجل ذلك عُبِّرَ عن لفظ الناس والإنسان بالبشر في كثير من الأحيان، وقد أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني، فقال: " البشرية: ظاهر الجلد... وعُبِّرَ عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر " ٢.

ولذا " حُصِّ في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر " ٣.

وإذا كانت لفظة البشر قد ورد إطلاقها على لفظ الناس والإنسان من قِبَل ظهور جلد الإنسان وعدم تغطيته بالشعر كالحوانات وغيرها، فكذلك إطلاق لفظة الناس والإنسان على البشر من قِبَل الظهور أيضاً؛ لأنه لا يؤنس ويستأنس إلا بما هو ظاهر، يشير إلى ذلك ابن فارس قائلاً: " الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهور الشيء، وكلُّ شيءٍ خالفَ طريقة التوحُّش. قالوا: الإنس خلاف الجِنِّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال آنستُ الشيء إذا رأيته " ٤.

ويقول أبو هلال العسكري ذاكراً الفرق بين الناس والبشر: " الفرق بين البشر والناس: أن قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة، وذلك أنه مشتق من البشارة، وهي حسن الهيئة، يقال: رجل بشير، وامرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة؛ فسمي الناس بشراً لأنهم أحسن الحيوان هيئة، ويجوز أن يقال: إن قولنا بشر يقتضي الظهور، وسُموا بشراً لظهور شأهم، ومنه قيل لظاهر الجلد: بشرة، وقولنا: الناس يقتضي النؤس وهو الحركة " ٥.

(١) مقاييس اللغة ج ١/٢٥١.

(٢) المفردات في غريب إعراب القرآن/٤٧.

(٣) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٤) مقاييس اللغة ج ١/١٤٥.

(٥) الفروق اللغوية للأديب اللغوي الحسن بن عبد الله بن سهل أبي هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار المعرفة والثقافة/٢٧٦.

• تعقيب على كلام أبي هلال العسكري:

ما ذكره العلامة أبو هلال العسكري في الفرق بين البشر والناس كلام وجيه إلا أن ما ذكره في تحليله لكلمة (البشر) من أنها إما لحسن الهيئة أو للظهور، يحتاج إلى تعقيب، ذلك أن البشر ما سمو بشراً إلا لظهورهم، من البشرة التي هي ظاهرة الجلد- كما ذكر أنفأ- وإلى الظهور ترجع المشتقات الأخرى التي هي رجل بشير، وامرأة بشيرة، باعتبار أن البشارة تحدث تغييراً ببشرة المبشّر، والمبشّر له يكون ظاهراً على وجهه، وإلى ذلك أشار أبو البقاء الكفوي، فقال: "البشارة: اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقاً، ساراً كان أو محزناً، إلا أنه غلب استعمالها في الأول، وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره" ١.

• يؤلون- يُقسمون: في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ٢.

قال أبو حيان: "وقرأ أبي ، وابن عباس ٣ : للذين يقسمون" ٤.

يلاحظ هنا ترادف كلمة (يقسمون) مع كلمة (يؤلون) في قراءة الجمهور: (للذين يؤلون من نسائهم)، وقد أشار القرطبي إلى ذلك فقال: "قوله تعالى: (للذين يؤلون) (يؤلون) معناه: يخلفون، والمصدر إيلاءٌ وألية وألوة وإلوة. وقرأ أبي وابن عباس (للذين يقسمون) ومعلوم أن (يقسمون) تفسير (يؤلون)" ٥.

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٢٨-١٠٩٤هـ)، تحقيق د/عدنان درويش، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٤١، ٢٠١٤، ٢٣٩/م ١٩٩٨.

(٢) الآية رقم ٢٢٦ من سورة البقرة.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى ابن عباس. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢١، ونسبت إليه وإلى أبي بن كعب. ينظر: الجامع

لأحكام القرآن ج ٤/٢١، وروح المعاني ج ٢/١٢٩.

(٤) البحر المحيط ج ٢/١٩١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج ٤/٢١.

ويقسمون من " أقسم بالله إقساماً إذا حلف " ١ ، ويقول أهل اللغة: أصل القسم من " القسامة وهي الأيمان تقسم على أولياء المقتول إذا ادّعوا دم مقتولهم على ناس واتهموهم به " ٢ ، ثم صار القسم " اسماً لكل حلف قال ٣: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ٤ .

فالمعنى الجامع إذاً بين كل من: (يقسمون) و(يؤلون) هو: الحلف.

غير أن حقيقة الإيلاء والألية: " الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يُحلف عليه، وجعل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة " ٥ .

● **تَيَمَّمُوا-وَتَأَمَّمُوا:** في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ ٦ .

قال أبو حيان: " وقرأ عبد الله : (ولا تأمّموا) ٧ من : أمت أي : قصدت... وحاكى الطبري ٨ أن في قراءة عبد الله ولا تأمّموا ، من : أمت ، أي : قصدت " ٩ . ويقول الطبري مشيراً إلى ذلك: " يعني جل ثناؤه بقوله : (ولا تيمموا الحيث): ولا تعمدوا ولا تقصدوا.

(١) المصباح المنير ج ٢/٧٧ .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج ٥/٨٦ .

(٣) الآية رقم ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٤) المفردات في غريب إعراب القرآن/٤٠٣ .

(٥) المرجع السابق/٢٢ .

(٦) الآية رقم ٢٦٧ من سورة البقرة .

(٧) نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٤/٦٩٨، والمحرر

الوجيز ج ١/٣٦٢، ونسبت كذلك إلى أبي صالح صاحب عكرمة. ينظر: مختصر شواذ القرآن ٢٣-٢٤ .

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٤/٦٩٨ .

(٩) البحر المحيط ج ٢/٣٣١ .

وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (ولا تؤموا) من (أمت)، وهذه من (تيممت)، والمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ، يقال: تأمت فلاناً، وتيممته، وأمته. بمعنى: قصده وتعمدته. كما قال ميمون بن قيس الأعشى ١:

تيممت قيساً وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن ٢

وذكر ابن جني أن فيها لغات: " أَمْتُ الشيء وَيَمَّمْتُهُ وَأَمَّمْتُهُ وَيَمَّمُّهُ وَتَيَمَّمْتُهُ، وكله: فَصَدْتُهُ ٣.

وعلى هذا، فإن (تأمموا) من (أمت)، يقال: " أمه أمّا من باب قتل: قصده، وأمّه وتأممه أيضاً: قصده " ٤.

وأما (تيمموا) من " تيممت فلاناً بسهمي ورمحي إذا قصده " ٥، و" يممته: قصده، وتيممته تقصده، وتيممت الصعيد تيمماً وتأممت أيضاً، قال ابن السكيت: قوله تعالى: (فتيمموا صعيداً طيباً) ٦ أي اقصدوا الصعيد الطيب، ثم كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم في عرف الشرع عبارة عن استعمال التراب في الوجه واليدين على هيئة مخصوصة ٧.

بيد أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن المراد بالتيمم مجرد القصد والتوجه، بخلاف التأمّم أو الأمّم فإنه يراد به " القصد المستقيم، وهو التوجه نحو مقصود " ٨، أشار إلى ذلك ابن فارس، فقال: " الياء

(١) هذا البيت من قصيدة للأعشى بعنوان: طول الحياة عناء، وهو يمدح فيها قيس بن معديكرب. ينظر: ديوان الأعشى/١٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٤/٦٩٨.

(٣) المحتسب ج ١/١٣٨.

(٤) المصباح المنير ج ١/١٣.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ج ٦/١٥٢.

(٦) الآية رقم ٤٣ من سورة النساء، ورقم ٦ من سورة النساء.

(٧) لسان العرب لابن منظور ج ٤/٢٨٨ م (أمم)، والمصباح المنير للفيومي ج ٢/١٦٦.

(٨) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني/٢٤.

والميم: كلمة تدلُّ على قَصْدِ الشيء، وتعمُّده وقصده. ومنه قوله تعالى: (فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً)^١. قال الخليل: يقال تَيَمَّمْتُ فلاناً بَسْهَمِي ورُحْمِي، إذا قَصَدْتَهُ دون مَنْ سِوَاهُ. وأنشد:
يَمَّمْتَهُ الرُّمَحَ شَرّاً ثُمَّ قَلْتُ لَهُ هَذَا الْبَسَالَةَ لَا لِعَبِّ الرَّحَالِقِ^٢

قال الخليل: ومن قال في هذا البيت أممته فقد أخطأ، لأنه قال (شَرّاً). ولا يكون الشَّرُّ إلا من ناحية، وهو لم يقصد به أمامه فيقول أممته "٣".

إناثا - وأوثانا: في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾^٤.

قال أبو حيان: "وفي مصحف عائشة رضي الله عنها : (إلا أوثانا) ه جمع وثن ، وهو الصنم "٦".

والملاحظ هنا ترادف كل من لفظ(الإناث) و(الأوثان) في الدلالة على معنى الأصنام، وقد أشار إلى ذلك ابن جني، فقال: "... (إلا إناثاً) يعني به الأصنام. قال الحسن: الإناث كل شيء ليس فيه روح: خشبة يابسة وحجر يابس، قال: وهو اسم صنم لحي من العرب، كانوا يعبدونها ويسمونها أنثى بني فلان، وعليه القراءة: (إلا أوثانا)"^٧.

وعلى هذا فإن الحجارة لما كانت حجارة فاقدة للأهمية المنوطة بها من إعمار الأرض، وإفادة الناس من وهج الحرّ وشدة البرد، أو غير ذلك، أصبحت بذلك لا عمل لها ولا قيمة، لذا أطلق عليها أنثى من قبيل أن الأنتى في جميع الأحوال تضعف عن الذكر، فاعتبر فيها ذلك

(١) ينظر توثيق هذه الآية من نفس هذه الصفحة.

(٢) مقاييس اللغة ج٦/١٥٢، ولسان العرب ج١٤/٢٨٨ م (أمم) وفيه (صدراً) بدل (شَرّاً).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ج٦/١٥٢-١٥٣.

(٤) الآية رقم ١١٧ من سورة النساء.

(٥) ينظر: مختصر شواذ القراءات/٣٥، والمحرم الوجيز ج٢/١١٣، والجامع لأحكام القرآن ج٧/١٣٣.

(٦) البحر المحيط ج٣/٣٦٧.

(٧) المحتسب لابن جني ج١/١٩٩.

الضعف، " ففيل لِمَا يَضْعَفُ عملُه: أنثى، ومنه قيل: حديد أنيث " ١، وإذا كان يطلق على من يضعف عمله (أنثى)، فإطلاق لفظ (إناث) على من لا عمل له أولى.

● الأيدي - والأيمان: في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾ ٢ .

قال أبو حيان: " وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله^٣ (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهم) " ٤ .

ويشير كثير من علماء اللغة والمفسرين إلى أن المراد باليد: اليمين من الكرسوع، فقد روي عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين أن المراد بالأيدي: اليمين^٥، وإلى ذلك أشار الفراء، فقال: " وقد يجوز أن تقول في الكلام: السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما، لأن المعنى اليمين من كل واحد منهما " ٦ .

● خوار - وجوار: في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ ﴾ ٧ .

(١) المفردات في غريب القرآن/٢٧.

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٣٩، والمحرر الوجيز ج٢/١٨٨، و روح المعاني للآلوسي ج٦/١٣٣.

(٤) البحر المحيط ج٣/٤٩٤.

(٥) روح المعاني للآلوسي ج٦/١٣٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ج١/٣٠٧.

(٧) الآية رقم ١٤٨ من سورة الأعراف.

قال أبو حيان: " وقرأ علي وأبو السَّمأل وفرقة (جؤار) ^١ : بالجيم والهمز من جأر إذا صاح بشدّة صوت ^٢ .

والملاحظ هنا اجتماع كل من الخوار والجؤار في الدلالة على: الصوت، فالجؤر: الصوت ^٣ ، من " جأر يجأر جأراً وجؤاراً: رفع صوته مع تضرعه واستغاثته، وفي التنزيل ^٤: (إذا هم يجأرون) ^٥ .

والخوار: الصوت ^٦ ، يشير إلى ذلك ابن فارس، فيقول: "خار الثور يخور، وذلك صوته ^٧ .

فالجؤار والخوار إذا بمعنى الصوت، يقول ابن منظور مشيراً إلى ذلك:

" جأر الثور والبقرة يَجْأُرُ جُؤاراً صاحاً، وخَارَ يَخُورُ بمعنى واحد، رفعا صوتهما ^٨ .

بيد أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك فروقاً دقيقة بين الخوار والجؤار، وتتمثل في الآتي:

١- أن الخوار " مختص بالبقرة، وقد يستعار للبعير ^٩ .

٢- وأن الجؤار صياح أو صوت فيه شدة، كما ذكر أبو حاتم ^{١٠} يقول الراغب الأصفهاني: "

جأر: إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجؤار الوحشيات، كالظباء ونحوها ^{١١} .

(١) هذه القراءة نسبت إلى أبي السمال. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٥١، وهي مذكورة بدون نسبة في المحرر الوجيز ج٢/٤٥٥.

(٢) البحر المحيط ج٤/٣٩٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج١/٤٩٣.

(٤) الآية رقم ٦٤ من سورة المؤمنون.

(٥) لسان العرب ج٥/١٨١ م (جأر).

(٦) المرجع السابق/ج٥/٣٤٥ م (خور).

(٧) معجم مقاييس اللغة ج٢/٢٢٧.

(٨) لسان العرب ج٥/١٨١ م (جأر).

٩ المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/١٦١.

١٠ المحرر الوجيز ج٢/٤٥٥.

١١ المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/١٠٣.

• الوجل - والفرق - والفرع: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^١.

قال أبو حيان: " وقرأ ابن مسعود (فرقت)^٢. وقرأ أبي^٣ (فزعت)^٤.

وبالرجوع إلى بعض معاجم اللغة العربية، تبين أن الوجل يطلق ويراد به: الخوف، ويقول الراغب الأصفهاني: " الوجل: استشعار الخوف. يقال: وجِلَّ يُوْجَلُ وجلاً.

فهو وجِلٌّ. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^٥.

﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا نُوْجَلُ ﴾^٦، ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾^٧.

ويقول الفيومي: " وجِلَّ وَجلاً فهو وجِلٌّ، والأنتى وجلة من باب تعب إذا خاف"^٨.

ويقول ابن منظور: " الوجل: الفرع والخوف"^٩.

وأما الفرع، فهو: " انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فزعت من الله، كما يقال: خفت منه"^{١٠}.

١ الآية رقم ٢ من سورة الأنفال.

٢ هذه القراءة نسبت إلى ابن مسعود. ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/٥٠١، وروح المعاني ج ٩/١٦٥.

٣ نسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب. ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/٥٠١.

٤ البحر المحيط ج ٤/٤٥٤.

٥ الآية رقم ٢ من سورة الأنفال.

(٦) الآية رقم ٥٢، و٥٣ من سورة الحجر.

(٧) الآية رقم ٦٠ من سورة المؤمنون.

(٨) المفردات في غريب القرآن/٥١٣.

(٩) المصباح المنير ج ٢/١٥٠.

(١٠) لسان العرب ج ١٤/٢٤٨ م (وجل).

(١١) المفردات في غريب القرآن/٣٧٩.

وأما الفَرْق، فهو " تفرق القلب من الخوف"^١.

ويقول ابن منظور: " والفَرْقُ: بالتحريك الخوف وفَرِقَ منه بالكسر فَرَقًا: جَزَع... وفَرِقَ عليه فزع وأشفق"^٢.

فالفرق على هذا، هو الخوف والجزع والفرع الشديد الذي يفرِّق القلب، يقال: " رجل فَرِقٌ وفَرِقٌ وفَرُوقٌ وفَرُوقَةٌ وفَرُوقٌ وفَرُوقَةٌ وفاروق وفاروقَةٌ: فَرَعٌ شديد الفَرْق"^٣.

وبعد، فمن خلال ما سبق يتضح أن الكلمات الثلاث (وجل-وفرق-وفزع) يشتركن في معنى الخوف، غير أن الوجل استشعار الخوف الذي يؤدي إلى القلق وعدم الطمأنينة، وأما الفرع فهو خوف مشتمل على انقباض وذعرٍ ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف؛ ولهذا لا يقال: فزعت من الله، لأنه لا يفر مؤمن بالله من الله أبدا، وقد يؤدي الفرع الناتج عن مفاجأة الخوف إلى الفرق الذي هو تفرق بالقلب.

وأما الفرق فهو خوف مصحوب بجزع وفزع شديد يفرق القلب.

ويذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الخوف والفرع، فيقول: "الفرع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة؛ وما أشبه ذلك، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل، وتقول فزعت منه فتعديه بمن، وخفته فتعديه بنفسه، فمعنى خفته أي هو نفسه خوفي، ومعنى فزعت منه أي هو ابتداء فزعي"^٥.

(١) المرجع السابق/٣٧٨.

(٢) لسان العرب ج ١٢/١٧٩ م (فرق).

(٣) لسان العرب ج ١٢/١٧٩ م (فرق)، والهاء في كل ذلك ليست لتأنيث الموصوف بما هي فيه إنما هي إشعار بما أُريد من تأنيث الغاية والمبالغة.

(٤) الهدة: صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط، أو ناحية جبل. وقيل: الهدة: صوت ما يقع من السماء. ينظر: لسان العرب ج ٤/٤٤٣-٤٤٤.

(٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري/٢٤٢.

ويذكر الفرق بين الخوف والوجل، فيقول: "الفرق بين الخوف والوجل: أن الخوف خلاف الطمأنينة، وجل الرجل يوجل ورجلاً: إذا قلق ولم يطمئن"^١.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن أبا حيان يذهب إلى أنه "ينبغي أن تُحمل هاتان القراءتان على التفسير"^٢.

• أَوْضِعُوا - وَأَوْفِضُوا - وَأَرْفِضُوا ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ بَغْوَكَمُ الْفِئْتَةِ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ مجاهد ومحمد بن زيد: وَلَا وَفُضُوا أي أسرعوا، كقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾^٤، وقرأ ابن الزبير: (ولاً رفضوا)^٥ بالراء من رفض أسرع في مشيه رفضاً ورفضاناً، قال حسان^٦:

بزجاجة رفضت بما في جوفها رفض القلوص براكب مستعجل"^٨

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري/٢٤٣.

(٢) البحر المحيط ج٤/٤٥٤.

(٣) الآية رقم ٤٧ من سورة التوبة.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى محمد بن زيد. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٥٨، والدر المصون ج٦/٦٠، ونسبت كذلك إلى مجاهد. ينظر: المحرر الوجيز ج٣/٤١، والدر المصون ج٦/٦٠.

(٥) الآية رقم ٤٣ من سورة المعارج.

(٦) نسبت هذه القراءة إلى ابن الزبير. ينظر: المحتسب لابن جني ج١/٢٩٣، والمحرر الوجيز ج٣/٤١، والدر المصون ج٦/٦٠.

(٧) ديوان حسان بن ثابت، شرح الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١٤١٤هـ=١٩٩٤م/١٨٥، و المحتسب لابن جني ج١/٢٩٣، ولسان العرب لابن المنصور ج٨/٣٠٨م(رقص) إلا أن في هذه المراجع كلها بلفظ: "رقصت" و(رقص).

(٨) البحر المحيط ج٥/٥١.

والملاحظ مما سبق أن أبا حيان يشير إلى اتفاق الكلمات الثلاث (أوضعوا-وأوفضوا-وأرفضوا) في إفادة معنى الإسراع.

وبالنظر إلى بعض مصادر العربية يتبين لنا أن (أوضعوا) من "وضعت الدابة تضع في سيرها: أسرع، ودابة حسنة الموضوع، وأوضعئها حملئها على الإسراع. قال الله عز وجل: ﴿وَلَا أَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ﴾ ، والوضع في السير استعارة كقولهم: ألقى باعه وثقله، ونحو ذلك".^١

ويقول ابن فارس: "الواو والضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على الحَفْض للشَّيءِ وَحَطِّه. وَوَضَعْتُهُ بِالْأَرْضِ وَضَعًا، وَوَضَعْتُ الْمَرْأَةَ وَلَدَهَا. وَوُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ يُوضَع: حَسِر"^٢ ويقول الفيومي: "وضعت أضعه وضعاً والموضع بالكسر والفتح لغة مكان الوضع ووضعت عنه دينه: أسقطته... وضعت الشيء بين يديه وضعا تركته هناك"^٣.

وأما (أرفضوا)، فيقول ابن فارس: "الراء والفاء والضاد أصلٌ واحد، وهو التَّرْك، ثم يشتقُّ منه. يقال رَفَضْتُ الشَّيْءَ: تَرَكْتَهُ. هذا هو الأصل، ثم يشتقُّ منه اِرْفَاضٌ الدَّمْعُ من العين: سال، كأنه تَرَكَ موضِعَهُ"^٤.

ويقول ابن منظور: "الرَّفْضُ تَرَكُّ الشَّيْءِ تقول رَفَضَنِي فَرَفَضْتُهُ رَفَضْتُ الشَّيْءَ أَرَفُضُهُ وَأَرْفُضُهُ رَفُضًا وَرَفُضًا تَرَكْتُهُ وَفَرَقْتُهُ"^٥.

(١) المفردات في غريب القرآن/٥٢٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٦/١١٧.

(٣) المصباح المنير ج٢/١٧٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ج٢/٤٢٢.

(٥) لسان العرب ج٩/١٦م (رفض).

وأما (أوفضوا) فهي من الوفض، يقول ابن فارس: "الواو والفاء والضاد: ثلاث كلمات متباينة: الأولى أَوْفُضَ إيفاضاً: أسرع. وجاءَ على وَفُضَ وأوفاض، أي عَجَلَة. والثانية الأوفاض: الفَرَقَ من النَّاسِ. والثالثة الوَفُضَة: الكنانة، وجمعها وَفَاضٌ"^١. ويقول الراغب الأصفهاني: "الإيفاض: الإسراع، وأصله أن يَعْدُوَ مَنْ عَلَيْهِ الوفضة، وهي الكنانة تَتَحَشَّشُ عليه، وجمعها: الوفاض. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾^٢، أي: يسرعون، وقيل: الأوفاض الفرق من الناس المستعجلة. يقال: لقيته على أوفاض أي: على عجلة، الواحد: وفض"^٣.

● الخمر-والعنب: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^٤.

قال أبو حيان: "وقرأ أبي وعبد الله ° : أعصر عنباً"^٥.

ويحتج ابن جني لإطلاق (الخمر) على (العنب) في الآية، فيقول: "ومن ذلك قراءة ابن مسعود: (إني أراي أعصر عنباً). قال أبو الفتح: هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة: (إني أراي أعصر خمراً)، وذلك أن المعصور حينئذ هو العنب، فسماه خمراً لما يصير إليه من بعد حكاية لحالة المستأنفة"^٦، وإلى ذلك أشار القرطبي^٧.

(١) معجم مقاييس اللغة ج٦/١٣٠.

(٢) سبق توثيق الآية.

(٣) المفردات في غريب القرآن/٥٢٨.

(٤) الآية رقم ٣٦ من سورة يوسف.

(٥) نسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود. ينظر: المحتسب لابن جني ج١/٣٤٣، والجامع لأحكام القرآن ج١١/٣٤٨،

ونسبت كذلك إلى أبي. ينظر: الدر المصون ج٦/٤٩٦، وروح المعاني ج١٢/٢٣٩.

(٦) البحر المحيط ج٥/٣٠٨.

(٧) المحتسب لابن جني ج١/٣٤٣-٣٤٤.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ج١١/٣٤٨.

ويذكر ابن منظور أن العنب يسمى خمراً في بعض اللغات، فيقول: "والعنبُ الخمرُ حكاها أبو حنيفة، وزعم أنها لغة يمانية، كما أنّ الخمرَ العنبُ أيضاً في بعض اللغات. قال الراعي في العنب التي هي الخمر^١:"

ونازعني بها إخوانُ صدقٍ * شواءَ الطيرِ والعنبِ الحقيناً^٢.

● الكوز-واللكز-والنكر: في قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾^٣.

قال أبو حيان: "وقرأ عبد الله: (فلكزه) باللام، وعنه: (فنكزه) ^٤ بالنون"^٥.

ويذكر العكبري أن المعنى بينهما متقارب، فيقول: "قوله تعالى: (فوكزه)، يقرأ بلام مكان الواو، ونون مكانها أيضاً، والمعنى متقارب، إلا أن الأكثر في نكر برأس الحية أو ناهها، ولكن شبه تلك الوكزة به"^٦.

وبالنظر في بعض معاجم العربية يتبين أن الكلمات الثلاث يشتركن في جزء كبير من المعنى إلا أن بينها فروقاً دقيقة، فالوكز: الطعن، يقول ابن فارس: "الواو والكاف والزاء بناء صحيح، يقال: وكزه: طعنه. ووكزه: ضربه بجمع كفه"^٧.

ويقول الراغب الأصفهاني: "الوكز: الطعن، والدفع، والضرب بجميع الكف، قال تعالى:

﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾^٨.

(١) لسان العرب ج ٢/١٢١-١٢٢ م(عنب)، وتاج العروس للزبيدي ج ٣/٤٤٠ م(عنب).

(٢) لسان العرب ج ٢/١٢١-١٢٢.

(٣) الآية رقم ١٥ من سورة القصص.

(٤) هاتان القراءتان نسبتا إلى ابن مسعود. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١١٤، والمحزر الوجيز ج ٤/٢٨٠، وفتح القدير ج ٤/٢١٥.

(٥) البحر المحيط ج ٧/١٠٥.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج ٢/٢٥٥.

(٧) معجم مقاييس اللغة ج ٦/١٣٩.

(٨) المفردات في غريب القرآن/٥٣١.

وأما لكز فهو من اللکز، يقول الأزهري: " قال الليث: اللکز: الوجع في الصدر بجمع اليد. وكذلك في الحنك"^١.

ويقول الفيومي: " لكزه لكزاً من باب قتل ضربه بجمع كفه في صدره، وربما أطلق على جميع البدن"^٢.

وأما النكر فهو من (نكز)، يقول ابن فارس: " النون والكاف والزاء أصيلٌ يدلُّ على عَزَزِ شيءٍ ممدّد في شيء. يقال: نَكَزْتُهُ بالحديد أنكزُهُ، وذلك كالعَزَز. ونَكَزَت الحَيَّةُ بأنفِها. ومنه: نَكَزَ الماءُ: غاصَ، كأنَّه كالشَّيءِ يدخُلُ في الأرض"^٣.

وبناء على هذا، يتضح أن كلاً من الوكز واللکز يشتركان في معنى الضرب بجمع اليد، لكن الوكز يقع فيه الضرب على الذقن، أو غيره، أما اللکز، فقليل يقع على الصدر، أو على جميع البدن.

ولما كان الضرب بأطراف الذراع وهي اليد مجموعة قد يؤدي إلى الألم الذي يظهر منه شيء كالغرز أطلق عليه (النكز). فالمعنى بين الكلمات الثلاث متقارب.

● صغت-وزاغت: في قوله تعالى: ﴿إِنْ نُنُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^٤.

قال أبو حيان" (فَقَدْ صَغَتْ) مالت عن الصواب. وفي حرف عبد الله^٥: زاغت"^٦.

يلاحظ مما ذكره أبو حيان اشتراك كل من (صغت) و(زاغت) في إفادة معنى واحد، وهو: الميل، وبالرجوع إلى بعض المعاجم العربية ندرك أن(صغت) من (الصغو)، وهو: "الميل. يقال:

(١) تهذيب اللغة للأزهري ج ١٠/٩٧.

(٢) المصباح المنير ج ٢/١٠٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج ٥/٤٧٦.

(٤) الآية رقم ٤ من سورة التحريم.

(٥) نسبت هذه القراءة إلى ابن مسعود. ينظر: المحرر الوجيز ج ٥/٣٣١، والدر المصون ج ١٠/٣٦٥، ونسبت كذلك

إلى علي، والأعمش. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٥٩، وروح المعاني ج ٢٨/١٥٢.

(٦) البحر المحيط ج ٨/٢٨٦.

صغت النجوم والشمس صغوا: مالت للغروب، وصغيت الإناء وأصغيته، وأصغيت إلى فلان:
ملتُ بسمعي نحوه^١.

وأما قراءة (زاغت) فهي من (الزيغ)، وهو: (الميل عن الاستقامة، والتزيغ: التمايل، ورجل
زائغ، وقوم زاغة، وزائغون، وزاغت الشمس، وزاغ البصر^٢، ويقال: "زاغت الشمس تزيغ
زيغاً: مالت^٣".

(١) المفردات في غريب القرآن/٢٨٢.

(٢) المرجع السابق/٢١٧.

(٣) المصباح المنير ج ١/١٢٩.

الفصل الثاني

التضاد في القراءات الشاذة

تمهيد:

التضاد هو: اللفظ الدال على معنيين متقابلين دلالة مستوية، كالصارخ المغيث والمستغيث،

والقشيب للخلق والجديد^١، وهو نوع من المشترك اللفظي^٢.

وقد أشار سيبويه إلى التضاد فقال: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف

المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"^٣.

وقد اختلف علماء اللغة في التضاد بين مثبت له وناف، فمن القائلين بإثباته الخليل وسيبويه

وقطرب وغيرهم، "وهم يعدون الأضداد من باب الاتساع في كلام العرب، فالعرب تصرفت

في الكلام لعل منها ما نعلمه ومنها ما نجهله، ولهم في كل ذلك حكمة"^٤.

ومن النافين له ابن درستويه وغيره، وقد احتجوا بأنه "ليس من الحكمة أن تقع الكلمة على

الشيء وضده بما فيه من اللبس على السامع، والحكمة تقتضي غير ذلك"^٥.

وقد ردت حجة النافين له بأن "كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا

يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة

(١) اللهجات العربية د/إبراهيم محمد نجا/١١٠.

(٢) في اللهجات العربية د/إبراهيم أنيس/١٧٦.

(٣) الكتاب لسيبويه ج ١/٢٤.

(٤) مدخل إلى فقه اللغة العربية د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط ٢،

١٤٢٠هـ=١٩٩٩م/٢٨٨.

(٥) الأضداد في اللغة لابن الدهان، تحقيق د/ محمد حسين آل ياسين/٩٢.

على المعنيين المتضادين، لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر^١.

وبعد، فقد أفاض علماء اللغة قديماً وحديثاً في الحديث عن التضاد مما أغنى عن الإسهاب فيه هنا، ولم أقف في شواذ القراءات الواردة في البحر المحيط لأبي حيان إلا على قراءة واحدة تمثل ظاهرة التضاد، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها:

● أمامهم: في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور (وراءهم)، وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناه هنا أمامهم . وكذا قرأ ابن عباس وابن جبير"^٣.

ويعلل الفراء لهذه القراءة، فيقول: "وقوله: (وكان وراءهم ملك) يقول: أمامهم ملك،

وهو كقوله: ﴿مِنْ وِرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾^٤ أي أنها بين يديه، ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك: هو بين يديك، ولا لرجل هو بين يديك: هو وراءك، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والليالي والدهر أن تقول: وراءك برد شديد: وبين يديك برد شديد؛ لأنك أنت وراءه فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنك إذا لحقت صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك، فلذلك جاز الوجهان"^٥.

(١) المزهر في علوم العربية للسيوطي ج١/٣٩٧-٣٩٨.

(٢) الآية رقم ٧٩ من سورة الكهف.

(٣) البحر المحيط ج٦/١٤٥.

(٤) الآية رقم ١٦ من سورة إبراهيم.

(٥) معاني القرآن للفراء ج٢/١٥٧.

ويحتج القرطبي لهذه القراءة، فيقول: "وراء) أصلها بمعنى خلف، فقال بعض المفسرين: إنه كان خلفه، وكان رجوعهم عليه، والأكثر على أن معنى(وراء) هنا أمام، يعضده قراءة ابن عباس وابن جبير: ﴿وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةً غَضَبًا﴾^١.

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في معنى(وراء) هل هو على بابه أم هل هو بمعنى(أمام)، فإن ابن عطية قد ذهب إلى أن (وراء) هنا على بابه، حيث قال: "وقوله:(وراءهم) هو عندي على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعىً بها الزمن، وذلك أن الحادث المقدم الوجود هو الأمام، وبين اليد: لما يأتي بعده في الزمن، والذي يأتي بعد: هو الورا وهو ما خلف...ومن قرأ (أمامهم) أراد في المكان، أي أنهم كانوا يسيرون إلى بلده"^٢.

(١) تفسير القرطبي ج ١٣/٣٤٩.

(٢) المحرر الوجيز ج ٣/٥٣٥.

الفصل الثالث

الفروق الدلالية في القراءات الشاذة

المبحث الأول

الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف المادة

تمهيد:

تعد القراءات بنوعيتها-المتواتر منها والشاذ- دليلاً واضحاً على بيان القرآن الكريم وإعجازه، ذلك أن قراءاته على تنوعها يعاضد بعضها بعضاً، ولا تتعارض، يشير إلى ذلك الشيخ/عبد الفتاح القاضي رحمه الله، فيقول: "إن في تنوع القراءات من الحجج الدامغة والأدلة الصادقة على أن القرآن كلام الله تعالى، وعلى صدق من جاء به من عند الله تعالى وهو رسول الله ﷺ ما لا يخفى على المنصف، فإن هذا التنوع-مع كثرته- لم يؤد إلى تضارب وتناقض، ولم يفض إلى تضاد وتعارض. بل القرآن كله-على اختلاف قراءاته وتنوع أوجهه ورواياته-يظهر بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً...وإننا إذا ألقينا على القراءات نظرة فاحصة عميقة في أية كلمة من الكلمات القرآنية المختلف في قراءتها-نجدها لا تعدو حالين:

الأولى: أن تكون مختلفة الألفاظ والمعنى واحد أو متقارب، نحو الصراط بالسين، والصاد، والإشمام.

الثانية: أن تكون مختلفة الألفاظ، مختلفة المعنى، غير أن المعنيين غير متعارضين ولا متناقضين، بل يمكن اجتماعهما في شيء واحد.

وعلى الجملة فاختلفت القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تعارض وتناقض^١.

وقد اشتملت القراءات الشاذة على قراءات كثيرة مختلفة في مادتها متنوعة في دلالتها، وقد ذكر أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) عدداً من هذه القراءات، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها، وذلك على النحو الآتي:

● **اهدنا- وبصرنا:** في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ ثابت البناني^٣: بصرنا الصراط"^٤.

والملاحظ هنا أن (اهدنا) فعل أمر من (هدى)، يقال: "هديته الطريق أهديه هداية، هذه لغة الحجاز، ولغة غيرهم يتعدى بالحرف فيقال: هديته إلى الطريق وللطريق، وهداه الله إلى الإيمان هدىً، والهدى: البيان"^٥.

ويذهب ابن فارس إلى أن الهاء والداد والحرف المعتل "أصلان، أحدهما التقدم للإرشاد... فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده... والهادية: العصا، لأنها تتقدم ممسكها كأنها ترشده"^٦.

ويقول أبو حيان: "(اهدنا) الهداية: الإرشاد والدلالة والتقدم"^٧.

وأما (بَصَّرْنَا) فهي من (بصر) و"البصر حاسة الرؤية و (أبصره) رآه و (البصير) ضد الضير، و (بَصُرَ) به أي علم... و (التبصير) التعريف والإيضاح"^٨.

(١) أبحاث في قراءات القرآن الكريم للشيخ/عبد الفتاح القاضي/١٧-١٩، ط مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة.

(٢) الآية رقم ٦ من سورة الفاتحة.

(٣) الإبانة لمكي/١٢٦، والمحور الوجيز ج ١/٧٤.

(٤) البحر المحيط ج ١/١٤٦.

(٥) المصباح المنير لليومي ج ٢/١٤٤.

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٦/٤٢.

(٧) البحر المحيط ج ١/١٤٣.

ويقول ابن فارس: "الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء، يقال: هو بصير به. ومن هذه البصيرة... ويقال: بَصُرْتُ بالشيء: إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته إذا رأيته"^٢.

ويذكر ابن الأثير أن معنى اسم الله تعالى (البصير): "هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافئها بغير جارحة..."^٣.

ومما سبق يلاحظ أن هناك التقاءً في جزء من المعنى بين القراءتين (اهدنا) و (بَصِّرْنَا)، ذلك أن من طلب الهداية التي هي الإرشاد والدلالة، فقد طلب كذلك العلم بالشيء وبرؤيته التي هي التبصير. وهكذا يبدو واضحاً أثر اختلاف القراءات في تنوع المعنى.

(١) المصباح المنير للفيومي ج ١/٢٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ١/٢٥٣-٢٥٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١/١٣١.

• خليفة-وخليفة: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى

الْاَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ۱

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور: (خليفة)، بالفاء، ويحتمل أن يكون بمعنى الخالف، ويحتمل أن يكون بمعنى المخولف... وقرأ زيد بن علي وأبو البرهسم عمران (خليفة)^٢ بالقاف، ومعناه واضح"^٣.

يقول الراغب الأصفهاني: "وخلف فلانٌ فلاناً، قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِى الْاَرْضِ يَخْلُفُونَ ۗ ٤، والخلافة النيابة عن الغير إما لعيبه المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه فى الأرض"^٥.

وأصل الخلق "التقدير المستقيم، ويستعمل فى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء"^٦. والخلق "يقال فى معنى مخلوق"^٧.

وبناء على ما سبق يتضح أن القراءة الأولى تفيد وجود جماعة تخلف جماعة أخرى، والقراءة الأخرى، تبين أن المجموعة التى تخلف (خليفة) أى خلائق جدداً، وليسوا من جنس من سبقهم من الجن أو من غيرهم. وهكذا تتضح حقيقة تعاضد القراءات بعضها بعضاً وتنوعها.

• يتم- ويكمل: فى قوله تعالى: ﴿ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُنِىْمَ الرِّضَاعَةَ ۗ ١

(١) الآية رقم ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى زيد بن علي. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/١١٧، والجامع لأحكام القرآن ج ١/٣٩٤.

(٣) البحر المحيط ج ١/٢٨٨-٢٨٩.

(٤) الآية رقم ٦٠ من سورة الزخرف.

(٥) المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني/١٥٥-١٥٦.

(٦) المرجع السابق/١٥٧، والمصباح المنير ج ١/٩٠.

(٧) المفردات فى غريب القرآن/١٥٨.

قال أبو حيان: "وروي عن ابن عباس أنه قرأ: (أن يكمل الرضاعة)^٢ بضم الياء"^٣.
الملاحظ هنا أن قراءة (يتم) مضارع (أتم)، وتام الشيء هو: "انتهأؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه"^٤.

يقال: "تم الشيء يتم بالكسر تماماً، وأتمه غيره، وتممه، واستتمه بمعنى، وأتمت الحبلى فهي يتم إذا تمت أيام حملها"^٥.

وأما قراءة (يكمل)، فهي مضارع (أكمل)، وكمال الشيء، "حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل كُمل ذلك، فمعناه: حصل ما هو الغرض منه، وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^٦ تنبيهها على أن ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد"^٧.

يقال: "كمل الشيء كُمولاً من باب قعد، والاسم الكمال، ويستعمل في الذوات وفي الصفات، يقال كمل إذا تمت أجزاءه، وكملت محاسنه، وكمل الشهر أي كمل دوره"^٨.
ويذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الكمال والتمام، فيقول: "الفرق بين الكمال والتمام: أن قولنا: كمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به؛ ولهذا قال المتكلمون: العقل كمال علوم ضروريات يميز بها القبيح من الحسن، يريدون اجتماع علوم، ولا يقال: تمام علوم، لأن التمام اسم للجزء، والبعض الذي يتم به الموصوف بأنه تام، ولهذا قال أصحاب النظم: القافية تمام البيت، ولا يقال: كمال البيت، ويقولون: البيت بكماله أي باجتماعه، والبيت بتمامه أي بقافيته، ويقال: هذا تمام حقلك للبعض الذي يتم به الحق، ولا يقال كمال حقلك"^٨.

(١) الآية رقم ٢٣٣ من سورة البقرة.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى ابن عباس. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٣١١، وفتح القدير ج ١/٤٢٥-٤٢٦.

(٣) البحر المحيط ج ٢/٢٢٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٧٥.

(٥) المصباح المنير للفيومي ج ١/٤٠ بتصرف يسير.

(٦) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٤٤١.

(٧) المصباح المنير للفيومي ج ٢/٩٦.

(٨) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري/٢٦٣.

• خرقوا- وحرفوا: في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ

قال أبو حيان: " وقرأ ابن عمر وابن عباس: (وحرفوا) بالحاء المهملة^٢ والفاء، وشدد ابن عمر الراء، وخففها ابن عباس"^٣.

الملاحظ هنا أن (خرقوا) من خرق، و"الخرق: الثقب في الحائط وغيره، والجمع خروق مثل فلس وفلوس، وهو مصدر في الأصل من خرقته من باب ضرب إذا قطعتة"^٤.

ويقول الراغب الأصفهاني: "الخرق: قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكير،

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْنَا النُّفُورَ أَهْلَهَا ﴾^٥، وهو ضد الخلق، وإن الخلق هو فعل الشيء

بتقدير ورفق، والخرق بغير تقدير، قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

عِلْمٍ ﴾، أي حكموا بذلك على سبيل الخرق"^٦.

وأما (حرفوا)، فهي من (حرف)، يقال: "انحرف عن كذا: مال عنه، ويقال: المحارف الذي

حورف كسبه فمیل به عنه كتحرير الكلام يُعَدَّلُ به عن جهته"^٧.

ويقول الراغب الأصفهاني: "وتحريف الشيء: إمالته، كتحرير القلم، وتحريف الكلام: أن

تجعل على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين"^٨.

(١) الآية رقم ١٠٠ من سورة الأنعام.

(٢) هذه القراءة عزاها ابن جني إلى عمر وابن عباس، ولعل الصواب: ابن عمر وابن عباس. ينظر: المحتسب ج١/٢٢٤، والمحرف الوجيز ج٢/٣٢٩.

(٣) البحر المحيط ج٤/١٩٧.

(٤) المصباح المنير ج١/٨٣-٨٤.

(٥) الآية رقم ٧١ من سورة الكهف.

(٦) المفردات في غريب القرآن/١٤٦.

(٧) المصباح المنير للفيومي ج١/٦٦.

(٨) المفردات في غريب القرآن/١١٤.

والمعنى في القراءتين متقارب، يشير إلى ذلك ابن جني، فيقول: "ومن ذلك قراءة عمر^١ وابن عباس-رضي الله عنهما-(وحَرَفُوا) بالحاء والفاء. وقال أبو الفتح: هذا شاهد بكذبهم، ومثله: (يحرّفون الكلم عن مواضعه)^٢، وأصله من الانحراف، أي الانعدال عن القصد، وكلاهما من حَرَف الشيء؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وهو أيضا معنى قراءة الجماعة: (وحرقوا) بالحاء والقاف، ومعنى الجميع كذبوا"^٣.

● فصلناه- وفضلناه: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^٤.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن محيصر والجحدري (فضلناه)^٥ بالضاد المنقوطة"^٦.

الملاحظ هنا أن قراءة (فصلناه) من (التفصيل) و"الفصل: إبانة أحد الشئيين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة"^٧.

ويقول الفيومي: "وفصلت الشيء تفصيلاً جعلته فصولاً متمايزة، ومنه جزء المفصل، سمي بذلك لكثرة فصوله، وهي السور"^٨.

وأما قراءة (فضلناه) فهي من التفضيل، يقال: "فضلته على غيره تفضيلاً صيرته أفضل منه"^٩،

(١) وقد سبقت الإشارة إلى أن الصواب-والله أعلم- ابن عمر وليس بعمر.

(٢) الآية رقم ٤٦ من سورة النساء.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/٢٢٤.

(٤) الآية رقم ٥٢ من سورة الأعراف.

(٥) هذه القراءة نسبت إلى ابن محيصر. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٤٩، وأتحاف فضلاء البشر ج ٢/٥١. ونسبت إلى الجحدري. ينظر: الدر المصون ج ٥/٣٣٦.

(٦) البحر المحيط ج ٤/٣٠٨.

(٧) المفردات في غريب القرآن/٣٨١.

(٨) المصباح المنير ج ٢/٦٢.

(٩) المرجع السابق/الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

ويقول الراغب الأصفهاني: "الفضل: الزيادة عن الاقتصار"^١.

● ليثبتوك - لبيبتوك: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ النخعي لبيبتوك^٣ من البيات"^٤.

الملاحظة أن (ليثبتوك) من الثبات، و"الثبات ضد الزوال، يقال: ثبت يثبت ثباتاً..."^٥.

ويقال: "وأثبتته وثبته أيضاً وأثبت الكاتب الاسم كتبه عنده، وأثبت فلان فلاناً لازمه فلا يكاد يفارقه"^٦.

وأما قراءة (لبيبتوك) فهي من (بيت)، يقال: بيت العدو أوقع بهم ليلاً، والاسم (البيات) وبيت

أمراً دبره ليلاً، ومنه قوله تعالى^٧: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾^٨.

ويقول الراغب الأصفهاني: "والبيات والتبييت: قصد العدو ليلاً"^٩.

(١) المفردات في غريب القرآن/٣٨١.

(٢) الآية رقم ٣٠ من سورة الأنفال.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى إبراهيم النخعي . ينظر: الدر المصون ج٥/٥٦٥، ونسبت كذلك إلى يحيى بن وثاب. ينظر: المحرر الوجيز ج٢/٥١٩.

(٤) البحر المحيط ج٤/٤٨١.

(٥) المفردات في غريب القرآن/٧٨.

(٦) المصباح المنير ج١/٤١.

(٧) الآية رقم ١٠٨ من سورة النساء.

(٨) المصباح المنير ج١/٣٩، بتصريف يسير.

(٩) المفردات في غريب القرآن/٦٥.

• ينقصوكم - وينقضوكم: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ

لَمْ يَنْقُضُواكُمْ شَيْئًا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة ، وأبو زيد ، وابن السمينف (ينقضوكم) بالضاد معجمة"^٢.

الملاحظة هنا أن قراءة (ينقصوكم) من النقص، يقال: "نقص من باب قتل، ونقصاناً، وانتقص: ذهب منه شيء تمامه، ونقصته يتعدى ولا يتعدى هذه اللغة الفصيحة..."^٣.

ويقول الراغب الأصفهاني: "النقص: الخسران في الحظ، والنقصان المصدر، ونقصته فهو منقوص"^٤.

وأما قراءة (ينقضوكم) فهي من النقض، والنقض: انتشار العقد من البناء والحبل، والعقد، وهو ضد الإبرام يقال: نقضت البناء والحبل والعقد... ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد"^٥.

وعلى الرغم من اختلاف مادتي (نقص ونقض) في القراءتين إلا أن بينهما تقارباً في المعنى من جهة أن النقص انتقاص من الشيء أو الإذهاب منه بعد تمامه، والنقض انتشار ما قد تم، فكلاهما يلتقيان في فقد التمام، والكمال؛ ولذا يقول ابن جني: "قراءة عكرمة: (ثم لم ينقضوكم شيئاً) بالضاد معجمة. قال: أي لم ينقضوا أموركم، وهو كناية حسنة عن النقص، لأنه إذا نقصه شيئاً من خاصه فقد نقضه عما كان، فهذه طريقة"^٦.

(١) الآية رقم ٤ من سورة التوبة.

(٢) البحر المحيط ج ١١/٥. نسبت هذه القراءة إلى عطاء بن يسار. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٥٦، والمحرم الوجيز ج ٧/٣، وفتح القدير ج ٤٨٢/٢، وإلى عكرمة. ينظر: المحتسب ج ٢٨٣/١، وفتح القدير ج ٤٨٢/٢، وإلى ابن السمينف، وأبي زيد. ينظر: الدر المصون ج ١٠/٦.

(٣) المصباح المنير للفيومي ج ١٣٦/٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن/٥٠٣.

(٥) المرجع السابق/٥٠٤.

(٦) المحتسب لابن جني ج ٢٨٣/١.

• أدراكم - وأنذرتكم: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ شهر بن حوشب والأعمش: (ولا أنذرتكم به) بالنون والذال من الإنذار^٢، وكذا هي في حرف ابن مسعود"^٣.

يلاحظ هنا أن أبا حيان ذكر أن معنى (أدراكم) : أعلمكم، فقال: "ويقال : دريت به ، وأدريت زيداً به ، والمعنى : ولا أعلمكم به على لساني"^٤، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض معاجم العربية، يقال: "دريت الشيء دريا من باب رمى ودرية ودراية علمته، ويعدّى بالهمزة فيقال أدريته به"^٥.

ويقول الراغب: "الدراية: المعرفة المدركة بضرب من الختل، يقال: دريته، ودريت به"^٦.

أما قراءة (أنذرتكم) فهي من (أنذر)، "والإنذار: إخبار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور، قال تعالى^٧: ﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلَطَّى ﴾"^٨.

(١) الآية رقم ١٦ من سورة يونس.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى ابن عباس. ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/١١٠، ونسبت إلى الأعمش. ينظر: الدر المصون ج ١٦٥/٦.

(٣) البحر المحيط ج ٥/١٣٧.

(٤) المرجع السابق/الموضع نفسه.

(٥) المصباح المنير للفيومي ج ١/٩٦.

(٦) المفردات في غريب القرآن/١٦٨.

(٧) الآية رقم ١٤ من سورة الليل.

(٨) المفردات في غريب القرآن/٤٨٧.

ويقول الفيومي: "...وأندرت الرجل كذا إنذاراً: أبلغته، يتعدى إلى مفعولين، وأكثر ما يستعمل في التخويف، كقوله تعالى: (وأندرهم يوم الآفة) ^١ أي خوفهم عذابه ^٢.

● **تضرونه - وتنقصونه:** في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ ^٣.

قال أبو حيان: "قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه^٤ شيئاً^٥.

يلاحظ هنا تقارب المعنى بين (تضرونه) و (تنقصونه)، يقول الأصفهاني: "الضر: سوء الحال، إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه"^٦.

ويقول أيضاً: "النقص: الخسران في الحظ، والنقصان المصدر، ونقصته فهو منقوص"^٧.

● **آية-وعبرة:** في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ﴾ ^٨.

قال أبو حيان: "وفي مصحف أبي "عبرة^٩ للسائلين مكان آية"^{١٠}.

(١) الآية رقم ١٨ من سورة غافر.

(٢) المصباح المنير ج ٢/١٢٥.

(٣) الآية رقم ٥٧ من سورة هود.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/١٨٢، وروح المعاني ج ١٢/٨٥.

(٥) البحر المحيط ج ٥/٢٣٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن/٢٩٣.

(٧) المرجع السابق/٥٠٣.

(٨) الآية رقم ٧ من سورة يوسف.

(٩) هذه القراءة مذكورة بدون عزو إلى أحد في معاني القرآن للزجاج ج ٣/٩٢، وهي معزوة إلى مصحف أبي. ينظر:

المحرر الوجيز ج ٣/٢٢١، وروح المعاني ج ١٢/١٨٩.

(١٠) البحر المحيط ج ٥/٢٨٣.

والآية والعبرة متقاربان في المعنى، فالآية " هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدرك بذاته، إذا كان حكمها سواء"^١.

والعبرة: هي الحالة" التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد"^٢.

وبناء على ما سبق، فإن كلا من الآية والعبرة علامة ظاهرة أو مشاهدة يتوصل بهما إلى ما ليس بظاهر أو مشاهد، وتختص العبرة بأنها" بما مضى أي الاتعاظ والتذكر"^٣.

• نزل - وألقي: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَمَجْنُونٌ ﴾^٤.

قال أبو حيان: " وقرأ-أي زيد بن علي ° - : يا أيها الذي ألقى إليه الذكر"^٥.

الملاحظ هنا أن قراءة (نزل) من (نزل) و" النزول في الأصل الانحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، حطّ رحله فيه، وأنزله غيره، قال تعالى: ﴿ أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾^٦، ونزل بكذا، وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق،

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٣٣.

(٢) المرجع السابق/٣٢٠.

(٣) المصباح المنير للفيومي ج٢/١٩.

(٤) الآية رقم ٦ من سورة الحجر.

(٥) هذه القراءة نسبت إلى الأعمش. ينظر: مختصر شواذ القرآن /٧٤، والمحرم الوجيز ج٣/٣٥١، وهي موجودة في روح المعاني ج٤/١٢، بدون عزو إلى أحد.

(٦) البحر المحيط ج٥/٤٣٤.

(٧) الآية رقم ٢٩ من سورة المؤمنون.

وإعطائهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس^١.

ويقول الفيومي: "نزل من علو إلى سفلى ينزل نزولاً، ويتعدى بالحرف والهمزة والتضعيف"^٢.

وأما قراءة (ألقي) فهي من الإلقاء، "والإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه، أي تراه، ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح"^٣، يقال: "ألقيت الشيء بالألف طرحته... واللقى مثال العصا الشيء الملقى المطروح"^٤.

● نزله - ونرسله: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا

بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾^٥.

قال أبو حيان: "وقرأ الأعمش^٦: وما نرسله مكان وما ننزله، والإرسال أعم، وهي قراءة تفسير معنى لا أنها لفظ قرآن، لمخالفتها سواد المصحف"^٧.

يلاحظ هنا أن قراءة (ننزه) من الإنزال، وقد ذكر -آنفاً- معنى الإنزال، أنه ما كان من علو إلى سفلى، أو ما كان منحطاً من علو^٨، وأما قراءة (نرسله) فهي من (الإرسال)، وأصل "الرسل: الانبعاث على التؤدة"^٩.

(١) المفردات في غريب القرآن/٤٨٨.

(٢) المصباح المنير ج٢/١٢٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن/٤٥٣.

(٤) المصباح المنير ج٢/١٠٤.

(٥) الآية رقم ٢١ من سورة الحجر.

(٦) هذه القراءة نسبت إلى الأعمش. ينظر: المحرر الوجيز ج٣/٣٥٦، وروح المعاني ج٤/٣٠.

(٧) البحر المحيط ج٥/٤٣٩.

(٨) ينظر الصفحة قبل هذه الصفحة والتي قبلها من هذا البحث.

(٩) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/١٩٥.

والإرسال "يقال في الإنسان، وفي الأشياء المحبوبة، والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتسخير كإرسال الريح والمطر، نحو: (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ^١ وقد يكون بيعث من له اختيار نحو إرسال الرسل... وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع" ^٢.

● قاطعة - وقاضية: في قوله تعالى: ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ ^٣.

قال أبو حيان: " وفي قراءة عبد الله: : ما كنت قاضية أمراً ، أي لا أبت إلا وأنتم حاضران معي" ^٥.

والملاحظ هنا أن قراءة (قاطعة) من (قطع)، و"القطع: فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام، أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة... وقطع الأمر: فصله، ومنه قوله تعالى: (ما كنت قاطعة أمراً) ^٦.

وأما قراءة (قاضية) فهي من (قضى)، و"القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً" ^٧. وعلى هذا، فالقراءتان متقاربتان في المعنى.

● فأغشيناهم - فأغشيناهم: في قوله تعالى: ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^٨.

قال أبو حيان " وقرأ الجمهور (فأغشيناهم) بالغين منقوطة" ^٩ . وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن يعمر وعكرمة والنخعي وابن سيرين والحسن وأبو رجاء وزيد بن علي ويزيد بن

(١) الآية رقم ٦ من سورة الأنعام.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/١٩٥.

(٣) الآية رقم ٣٢ من سورة النمل.

(٤) هذه القراءة نسبت إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: المحرر الوجيز ج٤/٢٥٨، وروح المعاني ج١٩/١٩٧.

(٥) البحر المحيط ج٧/٧٠.

(٦) المفردات في غريب القرآن/٤٠٨.

(٧) المرجع السابق/٤٠٦.

(٨) الآية رقم ٩ من سورة يس.

(٩) المحتسب لابن جني ج٢/٢٠٤.

المهلب وأبو حنيفة وابن مقسم بالعين^١ من العشاء، وهو ضعف البصر، جعلنا عليها غشاوة^٢.

ويحتج ابن جني لقراءة (فأغشيناهم) و (فأعشيناهم)، فيذكر أن أعشى " منقول من عشي يعشى: إذا ضعف بصره، فعشي وأعشيته، كعمي وأعميته. وأما قراءة العامة: (فأغشيناهم) فهو على حذف المضاف، أي: فأغشينا أبصارهم: جعلنا عليها غشاوة^٣.

ويقول العكبري لقراءة (فأغشيناهم) و (فأعشيناهم)، فيقول: " قوله تعالى: (فأغشيناهم) يقرأ بالعين، من عشي بصره إذا ضعف، وأعشيناهم فعلنا بهم ذلك^٤.

وعلى هذا فقراءة (فأغشيناهم) من (غشاء)، و " الغشاء: الغطاء، وجعل على بصره غشوة... وغشاوة بالكسر أي غطاء. ومنه قوله تعالى: (فأغشيناهم فهم لا يبصرون)^٥.

وأما قراءة (فأعشيناهم) فهي من (عشا)، " يقال: عشا يعيشو إذا ضعف بصره^٦.

فالمنعنى متقارب بين القراءتين.

● **تَعَزَّرُوهُ-وَتُعَزَّرُوهُ-وَتُعَزَّرُوهُ:** في قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ

وَتُوقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ^٧.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٣/٣٨٥، والمختسب لابن جني ج ٢/٢٠٤، والمحزر الوجيز لابن عطية ج ٤/٤٤٧.

(٢) البحر المحيط ج ٧/٣١٢.

(٣) المختسب لابن جني ج ٢/٢٠٤.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج ٢/٣٥٦.

(٥) مختار الصحاح للرازي/٣٥٢.

(٦) المرجع السابق/٣٢٣.

(٧) الآية رقم ٩ من سورة الفتح.

قال أبو حيان: "...والجحدري-أي وقرأ- : بفتح التاء وضم الزاي خفيف-أي (تَعَزُّرُوهُ) ١ ؛ وهو-أي الجحدري- أيضاً ، وجعفر بن محمد كذلك ، إلا أنهم كسروا الزاي-أي (تَعَزَّرُوهُ) ٢ ؛ وابن عباس ، واليماني : بزاءين-أي (تَعَزَّرُوهُ) ٣ من العزة" ٤ .

وقد احتج ابن جني لقراءة الجحدري (وتَعَزَّرُوهُ)، فقال: "تَعَزَّرُوهُ) أي: تمنعوه، أو تمنعوا دينه وشريعته، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ ٥ أي إن تنصروا دينه وشريعته" ٦ .

وأما قراءة (تَعَزَّرُوهُ) فهي من (التعزير)، وهو: "التصرة مع التعظيم. قال تعالى:

(وتَعَزَّرُوهُ) ٧ .

يقول ابن منظور: "عَزَّرَهُ: فخمه وعظمه... وعَزَّرَهُ: أعانه وقواه ونصره... وقال تعالى:

﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ ٨ : نصرتموهم" ٩ .

-
- (١) هذه القراءة نسبت إلى الجحدري . ينظر: المحتسب لابن جني ج ٢/٢٧٥، والمحزر الوجيز لابن عطية ج ٥/١٢٩ .
 (٢) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي ج ٩/٧١١، ونسبت هذه القراءة إلى جعفر الصادق أيضا. ينظر: روح المعاني للآلوسي ج ٢٦/٩٦ .
 (٣) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي ج ٩/٧١١، وروح المعاني للآلوسي ج ٢٦/٩٦ .
 (٤) البحر المحيط ج ٨/٩٢ .
 (٥) الآية رقم ٧ من سورة محمد .
 (٦) المحتسب لابن جني ج ٢/٢٧٥ .
 (٧) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٣٣٣ .
 (٨) الآية رقم ١٢ من سورة المائدة .
 (٩) لسان العرب لابن منظور ج ٦/٢٣٧ م(عزر).

وأما قراءة (تُعَزِّزوه) فقد احتج لها ابن جني، بقوله: "قال أبو حاتم: (يُعَزِّزوه)، بزيين- اليمامي^١ أي يجعلوه عزيزاً"^٢، وإلى ذلك أشار العكبري^٣.

ف" تُعَزِّزوه" على هذا من العزّة، و" العزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرض عزاز. أي صلبة... والعزيز: الذي يُقهر ولا يُقهر"^٤.

ويقول الفيومي: "...وتُعَزِّز تقوى، وعَزَّزته بأخر قوته"^٥.

وهنا لابد من وقفة مع المستشرق/جولد تسيهر الذي ادعى -زوراً وبهتاناً وافتراء منه- أن قراءة (تُعَزِّزوه) إنما هي من هوى القارئ، لكون المعنى لديه غير مستساغ، حيث قال: "ويبدو أن نفس هذه الظاهرة-ظاهرة القراءة؛ لأن المعنى غير مستساغ في نظر القارئ- توجد في آيتي الثامنة والتاسعة من سورة الفتح، وهنا يخاطب الله محمدًا ﷺ قائلاً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، فبدلاً من (وتُعَزِّروه) بالراء المهملة، الذي معناه: وتساعدوه، قرأ بعضهم:

(وتُعَزِّزوه) بالزاي المعجمة بمعنى: وعظموه. وأنا لا أستبعد أن يكون من دواعي تغيير النص على هذا الوجه خشيةً تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة"^٦.

(١) اليمامي: لعلها نسبت إلى رجل من أهل اليمامة كما أشار إلى ذلك محقق كتاب المحتسب لابن جني ٢/٢٧٥، ولكن الذي يغلب على الظن أنها اليماني، ثم صحفت فصارت اليمامي، والذي يؤكد ذلك أنها نسبت في المحرر الوجيز ج٥/١٢٩، وقرأ محمد بن السميع اليماني وابن عباس، وكذلك في البحر المحيط ج٨/٩٢، وابن عباس واليماني...

(٢) المحتسب لابن جني ٢/٢٧٥.

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٤٩٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٣٣٢-٣٣٣.

(٥) المصباح المنير ج٢/٢٨.

(٦) مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق/إجتس جولد تسهر، تحقيق د/ عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي، مصر

١٣٧٤هـ=١٩٥٥م/١١-١٢.

ولا شك أن ما ساقه جولد تسيهر من ادعاءات كاذبة لا أساس لها من الصحة، ما هي إلا أمور واهية، عارية من الصحة، ذلك أن القراءات-متواترها وشاذها- ما هي إلا وحي رباني تلقاه النبي ﷺ من ربه- جل جلاله-، ثم بلغه النبي ﷺ إلى الصحابة رضي الله عنهم، وحمله من بعدهم إلى الأمة، فأما متواتر القرآن فللتعبد بتلاوته، والعمل بما فيه، وحفظ من الشاذ ما حفظ لا ليقرأ به، فهذا لا يجوز، وإنما ليتعلم منه، وتتخذ منه الفوائد التي تبدو أهميتها هنا في الرد على جولد تسهر، فقد أوضحت القراءة الشاذة (تُعزّروه) المراد من قراءة الجمهور (وتُعزّروه)، وأيدت ذلك المعاجم العربية، فقد ورد فيها أنه يقال: "عزّره: فخمه وعظمه وقواه ونصره"^١.

فالمراد بقوله (تُعزّروه) أي تعظموه وتجلّوه، فإن في ذلك نصرة لدين الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^٢، وقد أوضحت ذلك القراءة الشاذة (تُعزّروه)، وإلى هذا المعنى أشار إمام المفسرين الطبري، فقال: "معنى قوله: (وتُعزّروه) تنصروه. قال ابن زيد: معنى التعزيز في هذا الموضع التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"^٣.

● لِيُزْلِقُونَكَ - لِيُزْهِقُونَكَ: في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^٤.

قال أبو حيان: "وقرأ عبد الله وابن عباس والأعمش وعيسى^٥: لِيُزْهِقُونَكَ"^٦.

والملاحظ هنا أن (ليزلقونك) من أزلق، يقال: "زلقت القدم زلقاً من باب تعب: لم تثبت حتى سقطت، ويعدى بالألف والتشديد، فيقال: أزلقته وزلقته فتزلق"^٧.

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٦/٢٣٧ م (عزر)، والمصباح المنير ج ٢/٢٨.

(٢) الآية رقم ٧ من سورة محمد.

(٣) تفسير الطبري ج ٢١/٢٥٢.

(٤) الآية رقم ٥١ من سورة القلم.

(٥) هذه القراءة نسبت إلى ابن مسعود. ينظر: المحرر الوجيز ج ٥/٣٥٤، وإليه وابن عباس. ينظر: مختصر شواذ

القرآن/١٦١، وإليهما والأعمش، وأبي وائل، ومجاهد. ينظر: تفسير القرطبي ج ٢١/١٨٥.

(٦) البحر المحيط ج ٨/٣١١.

(٧) المصباح المنير للفيومي ج ١/١٢٦.

ويقول الأصفهاني: "والمزلق: المكان الدّحض، قال: (ليزلقونك بأبصارهم)^١.

وأما قراءة (ليزهقونك) فهي من (أزهق)، يقال: "زهقت نفسه: خرجت من الأسف على الشيء"^٢.

ويقول الفيومي: "زهقت نفسه زهقاً من باب تعب، وفي لغةٍ بفتحتين زهوقاً خرجت وأزهقتها الله... وزهق الشيء تلف"^٣.

● دمدم - ودهدم: في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾^٤.

قال أبو حيان: "وابن الزبير - أي وقرأ - : فد هدم"^٥.

يقول الأصفهاني موضحاً معنى (دمدم): " (فدمدم عليهم ربهم)، أي أهلكتهم وأزعجهم، وقيل: الدّمدمة: حكاية صوت الهرة، ومنه: دمدم فلان في كلامه"^٦.

وأما قراءة (فدهدم) فيذكر القرطبي محتجاً لها بقوله: " وقرأ ابن الزبير (فدهدم) وهما لغتان، كما يقال: امتقع لونه وانتقع"^٧.

(١) المفردات في غريب القرآن/٢١٥.

(٢) المرجع السابق/الموضع ذاته.

(٣) المصباح المنير ج ١/١٢٨.

(٤) الآية رقم ١٤ من سورة الشمس.

(٥) نسبت هذه القراءة إلى ابن الزبير. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٧٤، والمحرم الوجيز ج ٥/٤٨٩.

(٦) البحر المحيط ج ٨/٤٧٦.

(٧) المفردات في غريب القرآن/١٧١.

(٨) تفسير القرطبي ج ٢٢/٣١٩.

● بعثر - وبحث: في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الأسود بن يزيد^٢: بحث"^٣.

يذكر الأصفهاني أن معنى (بعثر) (بعثر): "قلب تراها وأثير ما فيها"^٤، وقال الفراء: "بحثر متاعه وبعثره أي فرّقه، وقلب بعضه على بعض، وقال أبو الجراح: بحثر الشيء وبعثره أي استخرجه وكشفه"^٥.

وأما قراءة (بحث) فهي من البحث، وهو "الكشف والطلب، يقال: بحثت عن الأمر، وبحثت كذا، قال الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^٦، وقيل: بحثت الناقة الأرض برجلها في السير: إذا شددت الوطاء تشبيهاً بذلك"^٧، ويقال: "بحث في الأرض: حفرها"^٨.

(١) الآية رقم ٩ من سورة العاديات.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى ابن مسعود. ينظر: معاني القرآن للفراء ج ٣/٢٨٦، والمحمر الوجيز ج ٥/٥١٥، ونسبت أيضاً إلى الأسود بن يزيد، ومحمد بن معدان. ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي ج ١١/٩١.

(٣) البحر المحيط ج ٨/٥٠٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن/٥٣.

(٥) مختار الصحاح/٣٩.

(٦) الآية رقم ٣١ من سورة المائدة.

(٧) المفردات في غريب القرآن/٣٧.

(٨) المصباح المنير ج ١/٢٠.

المبحث الثاني

الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف الحركة

تمهيد:

عُني علماء اللغة - قديماً وحديثاً - بالحركات، سواءً من ناحية أدائها أو من ناحية دلالتها، ويظهر الأثر الدلالي للحركات واضحاً جلياً في جانب القراءات - وبخاصة الشاذ منها - فقد كان لاختلاف الحركة في القراءات الشواذ أثر كبير في تنوعها، وكثرة معطياتها.

وقد ذكر أبو حيان عدداً من القراءات الشاذة - موضوع البحث - المشتملة على تنوع دلالتها، نتيجة لاختلاف الحركة فيها.

وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً دلالياً، وذلك على النحو الآتي:

● الملّكين- والملّكين: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ

وَمَرْوُتَ﴾^١.

قال أبو حيان: " وقرأ ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبيزى : الملّكين^٢ ، بكسر اللام"^٣.

والملاحظ هنا أن قراءة (الملّكين) من الملك، وهو: " المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين"^٤.

(١) الآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة.

(٢) هذه قراءة شاذة منسوبة إلى ابن عباس والحسن بن علي، مختصر شواذ القرآن/١٦، والمحتسب لابن جني ج١/١٠٠، وهي منسوبة كذلك إلى الضحاك وابن أبيزى. ينظر: المحتسب لابن جني ج١/١٠٠، والمحرر الوجيز ج١/١٨٧.

(٣) البحر المحيط ج١/٤٩٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن/٤٧٢.

أما قراءة (الملكين) فهي مثني (ملك) وجمعه (ملائكة)، والملائكة مختلف في أصل اشتقاقها^١. وعلى الرغم من اختلاف مدلول كل من (الملكين) و(الملكين) لاختلاف الحركة فيهما، فقد ذكر الأصفهاني أن المتولي^٢ من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له (ملك) بالفتح، ومن البشر يقال له (ملك) بالكسر^٣.

ويحتج ابن جني لقراءة كسر اللام (الملكين)، بقوله: " قيل: أراد بالملكين داوود وسليمان عليهما السلام^٤. وقيل: هما علجان كانا يبابل ملكين^٥، وقيل: هما رجلان ساحران كانا ببابل؛ لأن الملائكة لا تعلم الناس السحر^٥."

● أحد- وأُحد: في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ﴾^٦.

قال أبو حيان: " وقرأ حميد بن قيس: (على أُحد) بضم الهمزة والحاء^٧، وهو الجبل^٨."

يقول العكبري: " قوله: (على أُحد)، يعني النبي ﷺ، ويُقرأ بضميتين، يعني الجبل^٩."

(١) اختلف في الأصل المأخوذ منه لفظ الملائكة، فقيل: " مشتقة من لفظ "الألوك". وقيل من "المألك"، الواحد "مألك"، وأصله "مألك"، ووزنه مَعْفَلٌ، فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت، فوزنه مَعْلٌ، فإنَّ الفاء هي الهمزة وقد سقطت، وقيل مأخوذ من "لَأَك" إذا أرسل، "فَمَأَلَك" مفعول، فنقلت الحركة وسقطت الهمزة، وهي عين، فوزنه مَعْلٌ، وقيل فيه غير ذلك". المصباح المنير ج ١/١١-١٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن/٤٧٣.

(٣) المحتسب لابن جني ج ١/١٠٠.

(٤) تفسير القرطبي ج ٢/٢٨٦، والمحرم الوجيز ج ١/١٨٦.

(٥) البحر المحيط ج ١/٤٩٧.

٦ الآية رقم ١٥٣ من سورة البقرة.

(٧) ينظر: المحرم الوجيز ج ١/٥٢٦.

(٨) البحر المحيط ج ٣/٩٠.

(٩) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٣٥٣.

ويذكر الشوكاني أن المراد بقراءة (أحد) أي على أحدٍ ممن معكم، وقيل: على رسول الله ﷺ^١.

● الغرور- والغرور: في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ عبد الله بن عمر: العُرُور بفتح الغين^٣، وفسره بالشیطان، ويحتمل أن يكون فعولاً بمعنى مفعول، أي: متاع المغرور، أي: المخدوع"^٤.

والملاحظ هنا أن (الغرور) مصدر (غرّ) يقال: "غرته الدنيا غروراً من باب قعد: خدعته بزيتها، فهي غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغة"^٥.

ويذكر الأصفهاني أن (العُرور) "كل ما يُعُرُّ الإنسان من مال وجاهٍ وشهوةٍ وشیطان، وقد فُسِّر بالشیطان إذ هو أخبث الغاوين، وبالدينا لِمَا قيل: الدنيا تُعُرُّ وتُضُرُّ وتُمُرُّ"^٦.

● هُـدِنَا- وَهَدِنَا: في قوله تعالى: ﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾^٧.

قال أبو حيان: "وقرأ زيد بن علي وأبو وجزة هِدِنَا^٨ بكسر الهاء"^٩.

ويذكر ابن جني كلا من قراءة (هُدِنَا) و (هِدِنَا) محتجا لهما فيقول: "أما (هُدِنَا) بضم الهاء مع الجماعة فتنبا، وأهْوَدُ: جمع هائد، أي تائب. وأما (هِدِنَا) بكسر الهاء في هذه القراءة

(١) فتح القدير ج ١/٦٣٥.

(٢) الآية رقم ١٨٥ من سورة آل عمران.

(٣) المحرر الوجيز ج ١/٥٥٠، والدر المصون ج ٣/٥٢٢.

(٤) البحر المحيط ج ٣/١٤٠.

(٥) المصباح المنير ج ٢/٤٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن/٣٥٩.

(٧) الآية رقم ١٥٦ من سورة الأعراف.

(٨) هذه القراءة نسبت إلى مجاهد وأبي وجزة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٥١، ونسبت إلى زيد بن علي. ينظر: الدر

المصون ج ٥/٤٧٦.

(٩) البحر المحيط ج ٤/٤٠٠.

فمعناه: انجذبنا وتحركنا، يقال: هَادِنِي يُهَيِّدُنِي هَيْدًا أَي جَذَبَنِي وَحَرَّكَنِي، فكأنه قال: إنا هدنا أنفسنا إليك وحركناها نحو طاعتك"^١.

ويقول العكبري معللاً لقراءة (هدنا): " قوله تعالى: (هُدْنَا) يُقْرَأُ بِكَسْرِ الْهَاءِ، مِنْ هَادٍ يَهَيِّدُ إِذَا مَالَ، يُقَالُ: هَادَهُ يُهَيِّدُهُ، أَي أَمَلَهُ وَجَذَبَهُ"^٢.

• الْمَحَالُ - وَالْمَحَالُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾^٣

قال أبو حيان: " وقرأ الضحاك والأعرج^٤ : الْمَحَالُ بفتح الميم"^٥.

ويذكر ابن جني قراءة (الْمَحَالُ) بفتح الميم، ثم يعلل لها بقوله: " الْمَحَالُ: هُنَا مَفْعَلٌ مِنَ الْحَيْلَةِ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: مَالَهُ حَيْلَةٌ وَلَا مَحَالَةَ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: شَدِيدُ الْحَيْلَةِ عَلَيْهِمْ"^٦.

ويقول القرطبي: " وقرأ الأعرج (وهو شديد الْمَحَالُ) بفتح الميم، وجاء تفسيره على هذه القراءة عن ابن عباس أنه الحول"^٧.

ويقول أبو بكر الأنباري: " وسمعت أبا العباس يقول: المحال مأخوذ من قول العرب: قد محل فلان بفلان: إذا سعى به إلى السلطان، وعرضه لأمر يُوبِئُهُ وَيُهْلِكُهُ فِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الْقُرْآنَ بِنَا مَا حِلًّا، أَي لَا تَجْعَلْهُ شَاهِدًا بِالتَّقْصِيرِ وَالتَّضْيِيعِ عَلَيْنَا... وَإِذَا

(١) المحتسب لابن جني ج ١/٢٦٠.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٥٦٦.

(٣) الآية رقم ١٣ من سورة الرعد.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى الأعرج. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٧١، والمحتسب لابن جني ج ١/٣٥٦، والمحرر الوجيز ج ٣/٣٠٤، وإلى الضحاك. ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/٣٠٤.

(٥) البحر المحيط ج ٥/٣٦٧.

(٦) المحتسب لابن جني ج ١/٣٥٦.

(٧) تفسير القرطبي ج ١٢/٤٠.

قالت العرب للرجل: ماله محالٌ، بفتح الميم، فمعناه: ما للرجل حول، قال: ويروى عن الأعرج أنه قرأ: (وهو شديد المَحال) بفتح الميم"¹.

● **الدُّلُّ - والدِّلُّ:** في قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾².

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور (من الدُّلِّ) بضم الدال³ وقرأ ابن عباس وعروة بن الزبير والجحدري وابن وثاب بكسر الدال⁴".

ويذكر ابن جني قراءة (الدِّلِّ)، ثم يحتج لها فيقول: "الدِّلُّ في الدابة: ضد الصعوبة، والدُّلُّ للإنسان، وهو ضد العز. وكأثم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة. ولا تستنكر مثل هذا، ولا تنب عنه، فإنه من عرف أنس، ومن جهل استوحش"⁵.

ويعلل العكبري لضم الدال وكسرها من لفظ (الدِّلُّ)، فيقول: "قوله تعالى: (جناح الدُّلِّ)، يقرأ بكسر الدال، أما الضم، فهو ضد العز، وأما الكسر فهو ضد الصُّعُوبة، يقال: دابة ذليل بينة الذل إذا كانت منقادة، ويقل استعماله في الأناسي إلا أنه صحيح المعنى، أي انقد لهما"⁶.

● **قَوَامًا - وَقَوَامًا:** في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا

وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁷.

(١) الزاهر في بيان معاني كلمات الناس ج ١/١٠.

(٢) الآية رقم ٢٤ من سورة الإسراء.

(٣) المحرر الوجيز ج ٣/٤٤٩.

(٤) نسبت هذه القراءة إلى ابن عباس وعروة بن الزبير. ينظر: المحتسب ج ٢/١٨، وإلى سعيد بن جبیر والجحدري وحماد الأسدي عن أبي بكر رضي الله عنه. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٧٩.

(٥) المحتسب ج ٢/١٨.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٧٨٥-٧٨٦.

(٧) الآية رقم ٦٧ من سورة الفرقان.

قال أبو حيان: "وقرأ حسان بن عبد الرحمن (قواماً) بالكسر"^٢.

ويحتج ابن جني لكل من فتح القاف وكسرها من لفظ (قواماً)، فيقول: " (القوام) بفتح القاف، الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القوام: إذا كانت معتدلة الطول والخلق، وأما (القوام) بكسر القاف فإنه ملاك الأمر وعصامه، يقال: ملاك أمرك وقوامه أن تتقي الله في شرك وعلائيتك، فكذلك قوله: (وكان بين ذلك قواماً) أي ملاكاً للأمر ونظاماً وعصاماً"^٣.

ويقول الفيومي: " والقوام بالكسر ما يقيم الإنسان من القوت، والقوام بالفتح العدل والاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ، أي عدلاً وهو حسن القوام أي الاعتدال"^٤.

وبناء على ما سبق، يتضح أن تعدد القراءات في لفظ (قواماً) أفاد تعدد المعنى، حيث أن قراءة (قواماً) أفادت أن من صفات عباد الرحمن المنفقين أنهم معتدلون في إنفاقهم في حالة بين الإسراف والتقتير، في حين أفادت القراءة الشاذة (قواماً) أن من صفات عباد الرحمن المنفقين أنهم ينفقون بنظام، وبملاك أمرٍ حيث إنهم لا ينفقون إلا ما يقيم الإنسان من القوت، وفي هذا أيضاً اعتدالاً، لأنها حالة بين الإسراف والتقتير، فالقراءتان على هذا، متقاربتان في المعنى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القرطبي ذكر أن كلاً من (قواماً) و (قواماً) لغتان بمعنى واحد^٥.

● أُمَّة - وَإِمَّة: في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^٦.

(١) ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٠٦، والمحتسب لابن جني ج ٢/١٢٥.

(٢) البحر المحيط ج ٦/٤٧١.

(٣) المحتسب لابن جني ج ٢/١٢٥.

(٤) المصباح المنير ج ٢/٨٥.

(٥) تفسير القرطبي ج ١٥/٤٧٦/٤٧٧.

(٦) الآية رقم ٢٢ من سورة الزخرف.

قال أبو حيان: "وقرأ عمر بن عبد العزيز ، ومجاهد ، وقتادة ، والمجحدري : بكسر الهمزة^١ ، وهي الطريقة الحسنة لعة في الأمة بالضم"^٢.

يقول ابن عطية: "وقرأ مجاهد والعبدي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (على إمة) بكسر الهمزة وهي بمعنى النعمة... فالآية على هذا استمرار في احتجاجهم، لأنهم يقولون: وجدنا آباءنا في نعمة من الله وهم يعبدون الأصنام، فذلك دليل رضاه عنهم، وكذلك اهتدينا نحن بذلك (على آثارهم).

وذكر الطبري^٣ عن قوم: أن الأمة الطريقة، مصدر من قولك: أمت كذا أمة"^٤.

ويعلل العكبري لكسر الهمزة من (إمة) فيقول: "قوله تعالى: (على أمة) يقرأ بكسر الهمزة، وهي لغة، ويقال: هي النعمة"^٥.

● أيمانهم - وإيمانهم: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ ۖ﴾^٦

(١) نسبت هذه القراءة إلى مجاهد، وعمر بن عبد العزيز. ينظر: معاني القرآن للفراء ج٣/٣٠، ومختصر شواذ القرآن/١٣٦، ونسبت كذلك إلى المجحدري. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٣٦، وإلى قتادة. ينظر: تفسير القرطبي ج٢٤/١٩.

(٢) البحر المحيط ج٨/١٢.

(٣) تصرف ابن عطية في نص الطبري قليلا، وهذا نصه: "وذكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه (على إمة) بكسر الألف. وقد اختلف في معناها إذا كسرت ألفها، فكان بعضهم يوجه تأويلها إذا كسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل: أمت القوم فأنا أوهمهم إمة". تفسير الطبري ج٢٠/٥٧٠-٥٧١.

(٤) المحرر الوجيز ج٥/٥١-٥٠.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٤٤٢-٤٤٣.

(٦) الآية رقم ١٢ من سورة الحديد.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور: (وَبِأَيِّمَانِهِمْ)، جمع يمين ؛ وسهل بن شعيب السهمي ، وأبو حيوة : بكسر الهمزة^١ ، وعطف هذا المصدر على الظرف لأن الظرف متعلق بمحذوف ، أي كائناً بين أيديهم ، وكائناً بسبب إيمانهم^٢ .

يقول القرطبي محتجاً لكسر الهمزة من (أَيِّمَانِهِمْ): " وقرأ سهل بن سعد الساعدي وأبو حيوة: (وَبِأَيِّمَانِهِمْ) بكسر الألف، أراد الإيمان الذي هو ضد الكفر"^٣ .

ويعلل لها العكبري، فيقول: " قوله تعالى: (وَبِأَيِّمَانِهِمْ)، يقرأ بكسر الهمزة، أي بسبب تصديقهم، والتقدير: وَبِأَيِّمَانِهِمْ يسعى النور، ويجوز أن يكون التقدير: وَبِأَيِّمَانِكُمْ يقال بشراكم اليوم"^٤ .

ومما سبق يتضح أن لاختلاف الحركة أثراً واضحاً في تغير المعنى، فالأيمان جمع (يمين)، يشير إلى ذلك الفيومي، فيقول: " وقالوا لليمين اليمنى وهي مؤنثة، وجمعها أيمن وأيمان"^٥ .

وأما (الإيمان)، فهو التصديق^٦ .

(١) هذه القراءة نسبت إلى سهل بن شعيب البهمي، وأبي حيوة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٥٣، والمحرر الوجيز ج٢٦١/٥، ونسبت كذلك إلى سهل بن سعد الساعدي. ينظر: تفسير القرطبي ج٢٠/٢٤٥، وفتح القدير ج٢٢٥/٥.

(٢) البحر المحيط ج٨/٢٢٠.

(٣) تفسير القرطبي ج٢٠/٢٤٥.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٥٦٢.

(٥) مصباح المنير ج٢/١٦٦.

(٦) لسان العرب لابن منظور ج١٦/١٦٠، م(أمن).

الفصل الرابع

أثر تبادل أحرف المضارعة في تنوع المعنى

يتعاقب في أول الفعل المضارع الأحرف الأربعة الزائدة، المجموعة في قولهم: أنيت، أو نأتي، أو نأيت، وهذه الأحرف أثر في سياق الكلام ودلالته، فالهمزة للمتكلم المفرد، والياء للغائب، والتاء للمخاطب المذكر، أو الأنثى الغائبة، والنون للمتكلم إذا كان معه غيره^١.

وقد يشتمل التبادل بين أحرف المضارعة على نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، وهو ما يعرف ب(الالتفات)^٢، ويراد به: "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر -يعني- من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول"^٣.

والعرب قد عُرِفَ عنها هذا الأسلوب، فقد ذكر ابن فارس أن "العرب تخاطب الشاهد ثم تُحوّل الخطاب إلى الغائب، وذلك كقول النابغة:

يادار ميةً بالعلياء فالسند أقوتُ وطال عليها سالفُ الأبدِ

فخاطب ثم قال: أقوت"^٤، وذكر أيضا أن العرب "قد يجعلون خطاب الغائب للشاهد، قال الهذلي:

ياوَيْحَ نَفْسِي كَانَ حِدَّهُ خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهِكِ لِلتَّرَابِ الْأَعْفَرِ

(١) الكتاب لسيبويه ج ١/١٣، والمقتضب للمبرد ج ١/٢.

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢/٨٥.

(٣) المرجع السابق/الموضع ذاته.

(٤) هذا البيت للناطقة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه. ينظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق أبي الفضل محمد إبراهيم، دار المعارف بمصر/١٤، والكتاب لسيبويه ج ٢/٣٢٠-٣٢١، ومعنى العلياء: ما ارتفع من الأرض، والسند: سند الجبل، وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد، وأقوت: خلت من الناس وأقفرت.

(٥) الصاحبي لابن فارس/١٦٣-١٦٤.

(٦) هذا البيت منسوب لأبي كبير الهذلي. ينظر: المرجع السابق/١٦٤.

فخبر عن خالدٍ ثم وَاجَهَ فقال: وبياض وجهك".^١

والعرب " يرون أن الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أَحْسَنَ تَطْرِيَةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوبٍ واحد".^٢

ويذكر السيوطي أن من فوائد هذا الأسلوب " تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جُبِلَتْ عليه النفوس من حُبِّ الثَقَلَاتِ، والسلامة من الاستمرار على منوالٍ واحد".^٣

وليس أمر الانتقال من أسلوب إلى آخر مقصوداً على تطرية الكلام، وصيانة السمع من الضجر فحسب، وإنما للالتفات فوائد أخرى، منها:

١- التلطف والترفق مع المخاطب، " ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، أصل الكلام: ومالكم لا تعبدون الذي فطركم، ولكنه يريد أن ينصحهم، فأبرز الكلام في صورة من ينصح نفسه تلطفاً بهم، فهو لا يَبْغِي لهم إلا ما يَبْغِي لنفسه، فإذا انقضى غَرَضُهُ كشف عن مراده، وَبَيَّنَّ أن القصد إليهم فقال: وإليه ترجعون".^٥

٢- الاختصاص، ففي قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ مَآبٍ فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَمْنُونٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، عدل عن لفظ الغيبة إلى المتكلم، لأن الغرض إبراز القدرة على إرسال الرياح وإثارة السحب، وإحياء الميت، وهذا لا يتأتى إلا من الله تعالى".^٧

(١) الصاحبي لابن فارس/١٦٤.

(٢) الكشاف للزمخشري ج١/١٢٠.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢/٨٥.

(٤) الآية رقم ٢٢ من سورة يس.

(٥) فن البلاغة للدكتور/ عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة/٢٨٤.

(٦) الآية رقم ٩ من سورة فاطر.

(٧) فن البلاغة للدكتور/ عبد القادر حسين/٢٨٤.

٣- التوبيخ، ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾^١، عدل" عن الغيبة في (قالوا) إلى الخطاب في (جئتم)؛ لأن من يزعم اتخاذ الرحمن ولداً لا شك أنه مفتون في دينه، ويستنكر منه هذا القول الآثم، وينبغي أن يوبخ عليه، وتوبيخ الحاضر أشد نكايه وألماً من توبيخ الغائب، وهذا سر الالتفات في الآية الكريمة^٢.

٤- قصد المبالغة في التعجب من أحوال المخاطبين، ففي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ ﴾^٣، عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وكان حقه أن يقال: وجرين بكم، ولكنه عبر بالغيبة، كأن القصة لأناس آخرين غير المخاطبين، يتعجبون من أحوالهم، وينكرون عليهم- وهم في الواقع يتعجبون وينكرون حال أنفسهم- البغي والفساد بعد النجاة"^٤. إلى غير ذلك من الفوائد.

وقد اشتملت القراءات الشاذة على أمثلة تبادلت في أوائلها أحرف المضارعة، وكان لها أثر في المعنى وتنوعه، وذكر أبو حيان عدداً منها في بحره المحيط، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها تحليلاً دلاليًا، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: التبادل بين التاء والياء:

● يُرْجِعُونَ: في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^٥.

(١) الآية رقم ٨٨-٨٩ من سورة مريم.

(٢) فن البلاغة للدكتور/ عبد القادر حسين /٢٨٤.

(٣) الآية رقم ٢٢ من سورة يونس.

(٤) فن البلاغة د/عبد القادر حسين/٢٨٥.

(٥) الآية رقم ٢٨١ من سورة البقرة.

قال أبو حيان: " وقرأ الحسن : (يُرجعون)^١ على معنى يرجع جميع الناس ، وهو من باب الالتفات .

قال ابن جني^٢ : كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين عن أن يواجههم بذكر الرجعة، إذ هي مما تنفطر له القلوب ، فقال لهم : (واتقوا) ، ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة رفقا بهم^٣ .

والملاحظ هنا أن إبدال التاء ياء في لفظ (يرجعون) قد اشتمل على نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، وهو أسلوب معروف لدى العرب، وهو بجانب أثره الملحوظ في سياق الكلام، له أثر كبير في دلالاته، وقد أشار إلى ذلك ابن جني، فقال: " ومن ذلك قراءة الحسن: (واتقوا يوماً يُرجعون فيه) بياء مضمومة. قال أبو الفتح: فيه أنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة، كقوله

تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَنَّهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾^٤، غير أنه تصور فيه معنى مطروقاً هنا فحمل الكلام عليه، وذلك أنه كأنه قال: واتقوا يوماً يرجع فيه البشر إلى الله فأضمر على ذلك، فقال: يُرجعون فيه إلى الله. وقد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى ، وترك الظاهر...وكأنه-والله أعلم-إنما عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة، فقال: يُرجعون بالياء رفقا من الله سبحانه بصالحه عباده المطيعين لأمره. وذلك أن العود إلى الله للحساب أعظم ما يخوفه ويتوعد به العباد. فإذا قرئ تُرجعون فيه إلى الله فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكره المطيعين العابدين، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة، فقال: يرجعون فيه إلى الله. ومعلوم أن كل وارد هناك على أهول أمرٍ وأشنع خطرٍ، فقال: يرجعون فيه، فصار كأنه قال: يُجَارُونَ أو يُعَاقَبُونَ أو يطالبون بجرائهم فيه، فيصير محصوله من بعد، أي: فاتقوا أنتم يا مطيعون يوماً يعذب فيه العاصون^٥ .

(١) هذه القراءة نسبت إلى الحسن. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١/١٤٥، والمحزر الوجيز ج ١/٣٧٨، والدر المصون ج ٢/٦٤٩.

(٢) المحتسب لابن جني ج ١/١٤٥.

(٣) البحر المحيط ج ٢/٣٥٦.

(٤) الآية رقم ٢٢ من سورة يونس.

(٥) المحتسب لابن جني ج ١/١٤٥.

وقد ذكر ابن جني أنه " ليس ينبغي أن يُفْتَصَرَ في ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب بما عَادَة توسطِ أهلِ النظرِ أن يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع في اللغة، لانتقاله من لفظ إلى لفظ، هذا ينبغي أن يقال إذا عَرِيَ الموضع من غرضٍ معتمدٍ، وسرّ على مثله تَنَعَّقُدُ اليَدُ"^١.

● يسأموا- يكتبوه- ويرتابوا: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ

كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾^٢.

قال أبو حيان: " وقرأ السلمي^٣ : ولا يسأموا ، بالياء وكذلك : أن يكتبوه... وقرأ السلمي : أن لا يرتابوا بالياء"^٤.

ويعلل العكبري لقراءة الياء في الأفعال الثلاثة، فيقول: " قوله: (تسأموا-تكتبوه°-ترتابوا)، بالتاء فيهن على الخطاب في المشهور، كما قال: (واستشهدوا)، ويقرأ بالياء على الغيبة، يعني المدائنين والمعاملين"^٥.

ويعلل أبو حيان لقراءة الياء في الكلمات الثلاث قائلاً: " وقرأ السلمي : (ولا يسأموا) ، بالياء، وكذلك : (أن يكتبوه) ، والظاهر في هذه القراءة أن يكون ضمير الفاعل عائداً على الشهداء ، ويجوز أن يكون من باب الالتفات ، فيعود على المتعاملين أو على الكتاب"^٦.

(١) المرجع السابق/ الموضع نفسه.

(٢) الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقر.

(٣) مختصر شواذ القرآن/٢٤-٢٥، والمحرر الوجيز ج١/٣٨٣.

(٤) البحر المحيط ج٢/٣٦٧-٣٦٨.

(٥) هذه اللفظة القرآنية كتبت في إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج١/٢٩١، هكذا: (تكتبوا)، والصواب: (تكتبوه) بالهاء كما هي في المصحف، ولعل ما حدث خطأ من الناسخ-والله أعلم.

(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج١/٢٩١.

(٧) البحر المحيط ج٢/٣٦٧.

• **يد- ويسؤكم:** في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ

تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَأُكُمْ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الشعبي بالياء مفتوحة من أسفل^٢ وضم الدال (يبدُ لكم)، و(يسؤكم) بالياء فيهما مضمومة في الأول ومفتوحة في الثاني، وقال ابن عطية^٣: والتحرير: إن يُبَدِّهَا اللهُ تعالى"^٤.

ويقول العكبري: "قوله تعالى: (إن تُبَدَّ لكم)، الجمهور على ترك التسمية مع التاء، وقرئ كذلك إلا أنه بالياء، أي يُبَدَّ لكم بعضها، و(يسؤكم) على هذا بالياء أيضا"^٥.

• **تقولون- ويقولون:** في قوله تعالى: ﴿أَمْرِي قُلُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصَرٌّ﴾^٦.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو حيوة وموسى الأسواري وأبو البرهسيم: بتاء الخطاب^٧ للكفار، اتباعاً لما تقدم من خطابهم"^٨.

ويعلل أبو حيان لكل من قراءة الياء، والتاء في لفظ (يقولون)، فيقول: "وقرأ الجمهور: (أم يقولون) بياء الغيبة التفاتاً، وكذا ما بعده للغائب. وقرأ أبو حيوة وموسى الأسواري وأبو البرهسيم: بتاء الخطاب للكفار، اتباعاً لما تقدم من خطابهم"^٩.

(١) الآية رقم ١٠١ من سورة المائدة.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/٢٤٦، ومعجم القراءات ج ٢/٣٤٧.

(٣) نص ابن عطية في محره هكذا: (أي يبدء الله لكم). المحرر الوجيز ج ٢/٢٤٦.

(٤) البحر المحيط ج ٤/٣٥.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٤٦١.

(٦) الآية رقم ٤٤ من سورة القمر.

(٧) هذه القراءة نسبت إلى أبي حيوة. ينظر: المحرر الوجيز ج ٥/٢٢٠، وروح المعاني ج ٢٧/٩٢، ونسبت كذلك إلى موسى الأسواري وأبي البرهسيم. ينظر: روح المعاني ج ٢٧/٩٢، ومعجم القراءات ج ٩/٢٣٧.

(٨) البحر المحيط ج ٨/١٨١.

(٩) المرجع السابق/الموضع نفسه.

يقول الآلوسي مشيراً إلى ذلك: " (أم يقولون نحن جميع منتصر) إنه إضراب من التبكيث المذكور إلى تبكيث آخر بطريق الالتفات للإيدان بإفضاء حالهم إلى الإعراض عنهم، وإسقاطهم عن رتبة الخطاب، وحكاية قبائحهم لغيرهم، أي بل يقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرنا مُجْتَمِعٌ لا يُرَامُ ولا يُضَامُ أو (منتصر) من الأعداء لا يُغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً.

والذي يترجح في نظر الفقير إلى الله أن الخطاب في الموضوعين خاص بما يقتضيه السياق بكفار أهل مكة أو العرب... وقرأ أبو حيوة وموسى الأسواري وأبو البرهسم أم تقولون بناء الخطاب^١.

● **ستعلمون:** في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ تُرَكَّلًا سَيَعْلَمُونَ﴾^٢.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور : بياء الغيبة فيهما . وعن الضحاك : الأول بالتاء على الخطاب^٣ ، والثاني بالياء على الغيبة"^٤.

ويعلل العكبري لقراءة التاء في (سيعلمون) في الموضوعين،

فيقول: " قوله تعالى: (سيعلمون) يُقرأ (ستعلمون) بالتاء على الخطاب فيهما، أي قل لهم"^٥.

(١) روح المعاني ج٢٧/٩٢.

(٢) الآية رقم ٤-٥ من سورة النبيا.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى الضحاك. ينظر: فتح القدير ج٥/٤٨٢. وقرئت بالتاء فيهما، ونسبت إلى الحسن. ينظر: معاني القرآن للفراء ج٣/٢٢٧، وإعراب القرآن للنحاس ج٥/١٢٥، وإلى ابن عامر فيما روى عنه مالك بن دينار، والحسن بخلاف. ينظر: المحرر الوجيز ج٥/٤٢٤، وإلى أبي العالية، ومالك بن دينار. ينظر: تفسير القرطبي ج٢٢/٧، وفتح القدير ج٥/٤٨٢.

(٤) البحر المحيط ج٨/٤٠٣.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٦٧٠.

● ترى: في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾^١.

قال أبو حيان: "وعائشة وزيد بن علي وعكرمة ومالك بن دينار-أي قرءوا : مبنياً للفاعل مخففاً وبتاء^٢ ، ويجوز أن يكون خطاباً للرسول ﷺ أي لمن ترى من أهلها ، وأن يكون إخباراً عن الجحيم ، فهي تاء التأنيث . قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^٣."٤

ويعلل ابن عطية لقراءة التاء في (لمن يرى) بما هو قريب من تعليل أبي حيان فيقول: " وقرأ عكرمة ومالك بن دينار وعائشة (لمن ترى) بالتاء، أي تراه أنت، فالإشارة إلى كفار مكة، أو إشارة إلى الناس، والمقصد كفار مكة، ويحتمل أن يكون المعنى: لمن تراه الجحيم كما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^٥."

ويقول العكبري: " قوله تعالى: (يرى)، يُقرأ بالتاء. أي لمن ترى الجحيم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ، ويجوز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ، وأن يكون خطاباً لكل إنسان"^٦.

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة النازعات.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى عكرمة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٦٨، والمحتسب لابن جني ج ٣٥١/٢، ونسبت كذلك إلى عائشة-رضي الله عنها-، وزيد بن علي، ومالك بن دينار. ينظر: المحرر الوجيز ج ٤٣٤/٥، وفتح القدير ج ٥٠٤/٥.

(٣) الآية رقم ١٢ من سورة الفرقان.

(٤) البحر المحيط ج ٤١٥/٨.

(٥) المحرر الوجيز ج ٤٣٤/٥.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ج ٦٧٦/٢-٦٧٧.

ثانياً: التبادل بين النون والياء:

• يذرك-ونذرك: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ ۚ

لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ١

قال أبو حيان: " وقرأ أنس بن مالك (ونذرك) ^٢ بالنون ورفع الراء ^٣ .

وقد احتج القرطبي لكل من قراءة (يذرك)، وقراءة (نذرك)، فقال: " وقرأ نعيم بن ميسر (ويذرك) بالرفع على تقدير وهو يذرك... وقرأ أنس بن مالك (ونذرك) بالرفع والنون، أخبروا عن أنفسهم أنهم يتزكون عبادته إن ترك موسى حياً ^٤ .

ويقول العكبري: " قوله: (ويذرك)، بنصب الراء عطفاً على (ليفسدوا)، ورفعه أي وهو يذرك... وقرأ (ونذرك) بالنون على إسناد الفعل إليهم ^٥ .

• سيستدرجهم: في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ

لَا يَعْلَمُونَ ۚ ٦

قال أبو حيان: " وقرأ النخعي وابن وثاب ^٧: (سيستدرجهم) بالياء، فاحتمل أن يكون من باب الالتفات، واحتمل أن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من كذبوا، أي سيستدرجهم هو أي التكذيب ^٨ .

(١) الآية رقم ١٢٧ من سورة الأعراف.

(٢) ينظر: مختصر شواذ القرآن/٥٠، والمحرم الوجيز ج٢/٤٤١.

(٣) البحر المحيط ج٤/٣٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ج٩/٣٠٠.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج١/٥٥٥-٥٥٦.

(٦) الآية رقم ١٨٢ من سورة الأعراف.

(٧) المحرم الوجيز ج٢/٤٨٢، والدر المصون ج٥/٥٢٤.

(٨) البحر المحيط ج٤/٤٢٩.

يقول السمين الحلبي: " وقرأ النخعي وابن وثاب (سيستدرجهم) بالياء، فيحتمل أن يكون الفاعل الباري تعالى، وهو التفات من التكلم إلى الغيبة، أو أن يكون الفاعل ضمير التكذيب المفهوم من قوله (كذبوا)"^١.

● **يَعْفُ-وَيُعَذِّبُ:** في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفْ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ^٢.

قال أبو حيان: " وقرأ الجحدري: (إن يعف) (يعذب) مبنياً للفاعل فيهما^٣ ، أي : إن يعف الله"^٤.

ويعلل ابن عطية للقراءتين-أي الياء والنون- فيقول: "...وقرأ الجحدري: (إن يعف) بالياء ، على تقدير: يعذب الله (طائفة) بالنصب، وقرأ عاصم، وزيد ابن ثابت، وأبو عبد الرحمن: (إن نَعَفَ) بالنون (نُعَذِّبُ) بنون الجميع^٥ أيضا"^٦.

ويقول العكبري: " قوله: (إن يُعَفَ) يقرأ بالنون في الموضعين، و(يعذب طائفة) بالنصب، ويقرأ بالياء فيهما، وكلاهما على تسمية الفاعل"^٧.

(١) الدر المصون ج ٥/٥٢٤.

(٢) الآية رقم ٦٦ من سورة التوبة.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى الجحدري. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٢٢٦، والمحرم الوجيز ج ٣/٥٥.

(٤) البحر المحيط ج ٥/٦٨.

(٥) هذه قراءة متواترة منسوبة إلى عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة. ينظر: السبعة لابن مجاهد/٣١٦، والتيسير للداني/١١٨-١١٩، ونسبت كذلك إلى زيد بن ثابت، وأبي عبد الرحمن. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ٢/٢٢٦، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٥/٦٨، ونسبت كذلك إلى زيد بن علي. ينظر: البحر المحيط ج ٥/٦٨.

(٦) المحرم الوجيز ج ٣/٥٥.

(٧) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٦٢٤.

• يوف: في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ

فِيهَا﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور: نوف بنون العظمة^٢، وطلحة بن ميمون: يوف بالياء^٣ على الغيبة"^٤.

ويعلل العكبري لقراءة (يوف) بالياء، فيقول: "قوله: (نوف)، يُقرأ بالياء، أي يُوف الله"^٥.

ويقول البنا الدمياطي: "وعن الحسن والمطوعي (يُوف إليهم) بياء الغيب، والجمهور بنون العظمة"^٦.

• سيهزم-وسنهزم: في قوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ﴾^٧.

قال أبو حيان: "...وأبو حيوة أيضاً ويعقوب-وقرأ-: بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين^٨... وعن أبي حيوة وابن أبي عبلة أيضاً: بفتح الياء مبنياً للفاعل ونصب العين^٩: أي سيهزمُ الله الجمع"^{١٠}.

(١) الآية رقم ١٥ من سورة هود.

(٢) اتحاف فضلاء البشر ج ٢/١٢٣.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى أبي حيوة. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٦٤، ونسبت كذلك إلى طلحة، وميمون بن مهران.

ينظر: المحرر الوجيز ج ٣/١٥٦، وإلى الحسن والمطوعي. ينظر: اتحاف فضلاء البشر ج ٢/١٢٣.

(٤) البحر المحيط ج ٥/٢١٠.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ج ١/٦٥٧-٦٥٨.

(٦) اتحاف فضلاء البشر ج ٢/١٢٣.

(٧) الآية رقم ٤٥ من سورة القمر.

(٨) نسبت هذه القراءة إلى يعقوب. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٤٩، وإلى رويس عن يعقوب. ينظر: تفسير القرطبي

ج ٢/١٠٣، وفتح القدير ج ٥/١٧٠، وإلى ابن مهران عن روح. ينظر: النشر ج ٢/٢٨٩.

(٩) هذه القراءة نسبت إلى أبي حيوة، وابن أبي عبلة. ينظر: فتح القدير ج ٥/١٧٠.

(١٠) البحر المحيط ج ٨/١٨١.

ويعلل العكبري لكل من قراءة (سِيَهْزِم) بالياء، و (سَنَهْزِم) بالنون، فيقول: " قوله تعالى: (سِيَهْزِم) يقرأ بفتح الياء وكسر الزاي (الجمع) بالرفع أي سِيَهْزِم جمعنا جمعهم، ويقرأ كذلك إلا أن (الجمع) بالنصب أي يَهْزِم الله، ويقرأ كذلك إلا أنه بالنون"^١.

• **لُنْخَرِجَنَّ: في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^٢.**

قال أبو حيان: " والحسن وابن أبي عبلة والمسبي في اختياره : لنخرجن بالنون ، ونَصَبِ الْأَعَزِّ وَالْأَذَلِّ^٣ ، فالأعز مفعول ، والأذل حال"^٤.

والملاحظ هنا أن الياء في قراءة (ليخرجن) للغائب، وأن النون في قراءة (لنخرجن) نون العظمة والتكلم، يشير إلى ذلك السمين الحلبي، فيقول: "وقرأ الحسن وابن أبي عبلة والمُسَبِّي (لُنْخَرِجَنَّ) بنون العظمة، ونصب الأعز على المفعول به، ونصب الأذل على الحال..."^٥.

• **تَهْدُ: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^٦.**

قال أبو حيان: " وقرأ ابن جبير وطلحة وابن هرمز والأزرق عن حمزة : بالنون"^٧.

(١) إعراب القراءات الشواذ ج٢/٥٣٤.

(٢) الآية رقم ٨ من سورة المنافقون.

(٣) نسبت هذه القراءة إلى الحسن وابن أبي عبلة والمسبي في اختياره. ينظر: الدر المصون ج١٠/٣٤٣.

(٤) البحر المحيط ج٨/٢٧٠.

(٥) الدر المصون ج١٠/٣٤٣.

(٦) هذه القراءة نسبت إلى طلحة بن مصرف، والأعرج. ينظر: تفسير القرطبي ج٢١/١٦، ونسبت كذلك إلى سعيد بن جبير. ينظر: المحرر الوجيز ج٥/٣١٩، وإلى الأزرق عن حمزة وعثمان بن عفان، والضحاك. ينظر: معجم القراءات ج٩/٤٩٢.

(٧) البحر المحيط ج٨/٢٧٥.

والملاحظ هنا أن النون في قراءة (نَهْد) نون العظمة، أشار إلى ذلك القرطبي، فقال: "وقرأ طلحة بن مصرف، والأعرج: (نَهْد) بنون على التعظيم"^١.

ويلاحظ أيضاً أن في قراءة (نَهْد) بالنون خروجاً بالكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، وهو الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

● نَعِظُمْ: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^٢.

قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور (وَيُعْظِمُ) بالياء^٣ مضارع أعظم، والأعمش: (نُعْظِمُ) بالنون^٤، خروجاً من الغيبة للتكلم"^٥.

والملاحظ هنا أن قراءة (وَنُعْظِمُ) بالنون فيها خروج بالكلام من أسلوب إلى آخر وهو الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وإلى ذلك أشار السمين الحلبي، فقال: "والأعمش بالنون مضارع أَعْظَمَ، وهو التفات من غَيْبَةٍ إلى تكلم"^٦، وإليه أشار كل من أبي حيان، والألوسي^٧.

(١) تفسير القرطبي ج ٢١/١٦.

(٢) الآية رقم ٥ من سورة الطلاق.

(٣) المحرر الوجيز ج ٥/٣٢٦.

(٤) المرجع السابق/الموضع نفسه، والدر المصون ج ١٠/٣٥٦، وروح المعاني ج ٢٨/١٣٨.

(٥) البحر المحيط ج ٨/٢٨٠.

(٦) الدر المصون ج ١٠/٣٥٦.

(٧) البحر المحيط ج ٨/٢٨٠، وروح المعاني ج ٢٨/١٣٨.

الفصل الخامس

قراءات شاذة لها صلة بالمعنى

تمهيد:

يبدل كثير من اللغويين وغيرهم قصارى جهدهم، من أجل بيان معنى الألفاظ القرآنية، وفهم المراد منها، مستعينين في ذلك بالقراءات القرآنية^١، وبما ورد في السنة النبوية المطهرة، أو ما أُثِرَ عن الصحابة رضي الله عنهم، أو المنظوم والمنثور من كلام العرب.

ومن أهم الأمور التي ساعدت على فهم المراد من الألفاظ القرآنية، وبيان معناها، القراءات الشاذة، ولعل فيما ذُكِرَ آنفاً من الحديث عن فائدة القراءات الشاذة وحكم الاحتجاج بها دليلاً واضحاً يؤكد ذلك.

وإلى هذه الأهمية التي انطوى عليها عدد غير قليل من شواذ القراءات في فهم النص القرآني وتفسيره، أشار الباقلاني، فقال: "ويحتمل أن يكون جميع ما سُمِعَ منهم أو أكثره أو وجد مثبتاً في مصحف لهم إنما قرأوه وأثبتوه على وجه التفسير والتذكير لهم، أو الإخبار لمن يسمع القراءة بأن هذا هو المراد بها، نحو قوله: (والصلاة الوسطى)^٢، وهي صلاة العصر... فقدّر من سمعهم يقولون ذلك أو رآه مثبتاً في مصحفهم، أنهم إنما قالوه وأثبتوه على أنه قرآن منزل، ولم يكن الأمر عندهم كذلك، ولا قصدوا لكُتْبِهِ بمصاحفهم وجعلها إماماً ومدرسة للناس"^٣.

ويمكن هنا ملاحظة عدة أمور أهمها، ما يأتي:

-
- (١) سواء المتواتر منها أو الشاذ.
 - (٢) الآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة.
 - (٣) الانتصار للقرآن للباقلاني/٤٢٦.

الأول: إن ما ورد من هذا النوع مثبتاً في الكتب المعنية بذكر شواذ القراءات بلفظ (قرأ) أو ما اشتُقَّ منها، فهو مما كان منزلاً ثم نُسخ أو ترك في العرصة الأخيرة، وإنما أثبتته الصحابة أو التابعون في مصاحفهم على جهة التفسير للنص القرآني.

وهذا النوع من شواذ القراءات يجوز أن يطلق عليه (تفسير) أو (مدرج)، ولا مشاحة في الاصطلاح مادام المراد مفهوماً، لكن الذي لا بد أن يقر في الأذهان هو أنه لا يُعْتَقَدُ قرآنيته، قال المازري مشيراً إلى ذلك: "وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة، منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه، فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يُعْتَقَدُ تحريم ذلك، وكان يراه كصحيفة يُثَبِّتُ فيها ما يشاء، وكان رأي عثمان والجماعة مَنْع ذلك لئلا يتناول الزمان ويُظَنَّ ذلك قرآناً"^١.

الثاني: إن ما لم يُوقَفْ عليه في الكتب المعنية بالشواذ مثبتاً بلفظ (قرأ) أو مشتقاتها، وإنما ذُكِرَ منسوباً إلى مصحف من مصاحف الصحابة أو التابعين، فالأولى حمل هذا على التفسير لا على أنه كان قرآناً منزلاً ثم نسخ أو ترك، ولعل هذا هو مراد ابن الجزري حين قال: "نعم كانوا ربما يُدْخِلُونَ التفسيرَ في القراءة إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه"^٢.

وبناء على هذا، فإن كثيراً من الروايات التي وردت في القراءات الشواذ، مشتملة على زيادات توضيحية لبيان المعنى وتفسير النص القرآني لا ريب في أنها لا تعد قرآناً.

وبعد، فقد أورد أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) عدداً من شواذ القراءات المساعدة على فهم المراد من النص القرآني وتفسيره، وفيما يأتي عرضها مع تحليلها، وذلك على النحو الآتي:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦/١٠٩.

(٢) النشر في القراءات العشر ج ١/٣٧.

• في مواسم الحج: في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا

فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن الزبير: (فضلاً من ربكم في مواسم الحج)^٢ ٣.

يذكر الرازي أن قراءة (في مواسم الحج) فيها دلالة على صحة قول القائل بأن المراد بقوله: ﴿

أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾: التجارة، حيث قال: "المفسرون ذكروا في تفسير

قوله: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وجهين: الأول أن المراد هو التجارة، ونظيره

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^٤، وقوله: ﴿جَعَلَ

لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^٥، ثم الذي يدل على صحة هذا

التفسير ... ما روى عطاء عن ابن مسعود وابن الزبير أنهما قرآ (أن تبتغوا فضلاً من ربكم) في مواسم الحج"^٦.

وأما أبو حيان، فيرى أن الأولى حمل هذا الوارد عن ابن مسعود وغيره على أنه تفسيره، حيث

قال: "والأولى جعل هذا تفسيراً؛ لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة"^٧.

(١) الآية رقم ١٩٨ من سورة البقرة.

(٢) نسبت قراءة (في مواسم الحج) إلى ابن عباس، وعكرمة، وعمرو بن عبيد. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٩، ونسبت كذلك إلى ابن مسعود، وابن الزبير. ينظر: المحرر الوجيز ج ١/٢٧٤.

(٣) البحر المحيط ج ٢/١٠٣.

(٤) الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل.

(٥) الآية رقم ٧٣ من سورة القصص.

(٦) مفاتيح الغيب للرازي ج ٥/١٨٥.

(٧) البحر المحيط ج ٢/١٠٣.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن مخالفة سواد المصحف ليست وحدها هي الدافعة إلى القول بأن القراءة قراءة تفسيرية، فكثيراً ما وردت قراءات شاذة خالفت سواد المصحف، ولم تُحمل على أنها من قبيل التفسير، وإنما عُدَّت من القراءات الشواذ^١، وبناء على هذا، فإنه يمكن أن يضاف إلى كونها خالفت سواد المصحف، أن سياقها يدل على أنها تفسيرية، فضلاً عن أن المخالفة لسواد المصحف مخالفة واضحة وكثيرة.

هذا، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني أن هذه القراءة قراءة شاذة^٢ وحكمها عند الأئمة حكم التفسير^٣.

● أمة واحدة فاختلفوا: في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^٤.

قال أبو حيان: "ويؤكد قراءة عبد الله^٥ (أمة واحدة) فاختلفوا^٥."

ويذكر الرازي أن في قراءة ابن مسعود (أمة واحدة فاختلفوا) تأكيداً على أنهم كانوا أمة واحدة في الحق، حيث أشار إلى اختلاف المفسرين في بيان المراد بالأمة الواحدة على أقوال، منها: "إنهم كانوا على دين واحد وهو الإيمان والحق، وهذا قول أكثر المحققين... ويتأكد هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^٦، ويتأكد أيضاً بما نقل

(١) كقراءة (لا تجزئ نسمة عن نسمة شيئاً) المنسوبة إلى أبي السرار الغنوي. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٣، وكذلك

قراءة (وإن عزموا السراح) المنسوبة إلى ابن عباس. ينظر: مختصر شواذ القرآن/٢١.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٤/٧٣١.

(٣) الآية رقم ٢١٣ من سورة البقرة.

(٤) هذه القراءة نسبت إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ج٦/١٢، والمحرر الوجيز ج١/٢٨٦.

(٥) البحر المحيط ج٢/١٤٤.

(٦) الآية رقم ١٩ من سورة يونس.

عن ابن مسعود أنه قرأ (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين- إلى قوله- ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"^١).

وإلى ذلك ذهب أبو حيان، فقال: "وقد رجح كونهم أمة واحدة في الإيمان بقوله (فبعث الله)، وإنما بُعِثُوا حين الاختلاف، ويؤكد قراءة عبد الله (أمة واحدة فاختلفوا)... ويظهر أن هذا القول هو الأرجح لقراءة عبد الله، وللتصريح بهذا المحذوف في آية أخرى، وهو قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^٢ والقرآن يفسر بعضه بعضاً"^٣.

ومما تجدر ملاحظته هنا هو أن القراءة الشاذة (فاختلفوا) كان لها أثر واضح في جلاء المعنى وتوضيحه، وبيان أن المراد بالأمة الواحدة أمة في الحق لا في الباطل من جهة أن أمة الباطل في اختلاف دائماً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾^٤، بخلاف أمة الحق فهي متماسكة مترابطة، مادام الشقاق منزوعاً من بين صفوفهم.

● **والصلاة الوسطى صلاة العصر:** في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾^٥.

قال أبو حيان: "وفي مصحف عائشة^٦، وإملاء حفصة^٧ والصلاة الوسطى وهي العصر، ومن روى: وصلاة العصر، أوّل على أنه عطف إحدَى الصفتين على الأخرى.

وقرأ أبيّ، وابن عباس، وعبيد بن عمير^٨: (والصلاة الوسطى، صلاة العصر)، على البدل"^٩.

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج ٦/١١-١٢.

(٢) البحر المحيط ج ٢/١٤٤.

(٣) الآية رقم ١٤ من سورة الحشر.

(٤) الآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة.

(٥) تفسير الطبري ج ٤/٣٤٥، وفتح القدير ج ١/٤٤٤.

(٦) تفسير الطبري ج ٤/٣٤٨، وفتح القدير ج ١/٤٤٣-٤٤٤.

والملاحظ هنا أن زيادة (صلاة العصر) الواردة في مصحف أم المؤمنين عائشة، وكذلك في مصحف حفصة، وكذلك المنسوبة إلى قراءة ابن عباس وغيره، إنما هي قراءة شاذة نسخت في العرضة الأخيرة، وكتبها عائشة وحفصة-رضي الله عنهما- في مصحفيهما على جهة التفسير، وإلى ذلك أشار أبو جعفر النحاس، فقال: "وروي عن ابن عباس (والصلاة الوسطى صلاة العصر) وهذه القراءة على التفسير لأنها زيادة في المصحف"^٣.

وتجدر هنا ملاحظة أن الزيادة الواردة في القراءة الشاذة تارة جاءت بالواو (وصلاة العصر) وذلك في مصحف عائشة، وغيره^٤، وتارة بدون ذكر الواو كما في قراءة أبي وابن عباس وعبيد بن عمير^٥.

ولا خلاف بينهما من حيث المعنى، ذلك أن "من روى (وصلاة العصر) فيتناول أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى وهما لشيء واحد، كما تقول جاءني زيد الكريم والعاقل"^٦، وأما من حذف الواو فذلك على البدل، كما أشار إلى ذلك أبو حيان، فقال: "وقرأ أبي، وابن عباس، وعبيد بن عمير^٧:(والصلاة الوسطى، صلاة العصر)، على البدل"^٨.

● فناداه جبريل وهو قائم يصلي: في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ

يُصَلِّي﴾^٩.

قال أبو حيان: "وذكر الجمهور أن المنادي هو جبريل وحده، ويؤيده قراءة عبد الله ومصحفه^١:(فناداه جبريل وهو قائم)"^٢.

(١) نسبت هذه القراءة إلى ابن عباس. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٣٢١، وفتح القدير ج ١/٤٤٤.

(٢) البحر المحيط ج ٢/٢٤٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ج ١/٣٢١.

(٤) تفسير الطبري ج ٤/٣٤٦، وفتح القدير ج ١/٤٤٤، وكذلك في مصحف حفصة. ينظر: فتح القدير ج ١/٤٤٣-٤٤٤.

(٥) البحر المحيط ج ٢/٢٤٩.

(٦) المحرر الوجيز ج ١/٣٢٣.

(٧) نسبت هذه القراءة إلى ابن عباس. ينظر: إعراب القرآن للنحاس ج ١/٣٢١، وفتح القدير ج ١/٤٤٤.

(٨) البحر المحيط ج ٢/٢٤٩.

(٩) الآية رقم ٣٩ من سورة آل عمران.

ويعلل ابن عطية لهذه القراءة، فيقول: " وذكر جمهور المفسرين أن المنادي المخبر إنما كان جبريل وحده، وهذا هو العرف في الوحي إلى الأنبياء... وفي مصحف عبد الله ابن مسعود وقراءته فناده جبريل وهو قائم يصلي^٣، وإلى ذلك أشار السمين الحلبي^٤.

● وشاورهم في بعض الأمر: في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

فِي الْأَمْرِ^٥ .

قال أبو حيان: " وقرأ ابن عباس^٦: (في بعض الأمر)"^٧.

يقول ابن جني محتجاً لقراءة ابن عباس (في بعض الأمر): " ومن ذلك قراءة ابن عباس فيما رواه عنه عمرو: (وشاورهم في بعض الأمر). قال أبو الفتح: في هذه القراءة دلالة على أنك إذا قلت: شربت ماءك- وإنما شربت بعضه- كنت صادقاً، وكذلك إذا قلت: أكلت طعامك، وإنما أكلت بعضه. ووجه الدلالة منه قراءة الباقيين: (وشاورهم في الأمر)، والمعنى واحد في القراءتين. ونحن أيضاً نعلم أن الله سبحانه لم يأمر النبي ﷺ بقوله: (وشاورهم في الأمر)، أي في جميعه، كشرب الماء، وتناول الغذاء. وإنما المراد به العاني من أمر الشريعة وما أُرْسِلَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ"^٨.

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج ٣٧/٨، والمحرر الوجيز ج ٤٢٨/١.

(٢) البحر المحيط ج ٤٦٤/٢.

(٣) المحرر الوجيز ج ٤٢٨/١.

(٤) الدر المصون ج ١٥١/٣.

(٥) الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٦) هذه القراءة نسبت إلى ابن عباس. ينظر: المحتسب لابن جني ج ١٧٥/١، والدر المصون ج ٤٦٣/٣، ونسبت

كذلك إلى خالد بن زيد. ينظر: روح المعاني ج ١٠٧/٤.

(٧) البحر المحيط ج ١٠٥/٣.

(٨) المحتسب لابن جني ج ١٧٥/١٧٦.

ويعلل لها ابن عطية، فيقول: "وقرأ ابن عباس: (وشاورهم في بعض الأمر) وقراءة الجمهور إنما هي باسم الجنس الذي يقع للبعض وللكل، ولا محالة أن اللفظ خاص بما ليس من تحليل وتحريم".^١

ويرى السمين الحلبي أن قراءة ابن عباس تفسير لا تلاوة، فيقول: "والأمر هنا وإن كان عاماً فالمراد به الخصوص... ولذلك قرأ ابن عباس (في بعض الأمر)، وهذا تفسير لا تلاوة"^٢.

• وله أخ أو أخت لأمه: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ

كَكَلَّةٍ أَوْ امْرَأَةٍ وَلَهُ أَحٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾^٣

قال أبو حيان: "وأجمعوا على أن المراد في هذه الآية الأخوة للأم . ويوضح ذلك قراءة أبي وله أخ أو أخت من الأم . وقراءة سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم)"^٥.

ويحتج القرطبي لهذه القراءة، فيقول: "ذكر الله عز وجل في كتابه الكلاله في موضعين: آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثاً غير الإخوة. فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عني بما الإخوة للأم، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ

شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾^٤. وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ (وله أخ أو أخت من أمه)"^٦.

(١) المحرر الوجيز ج ١/٥٣٤.

(٢) الدر المصون ج ٣/٤٦٣.

(٣) الآية رقم ١٢ من سورة النساء.

(٤) هذه القراءة نسبت إلى أبي بن كعب. ينظر: الدر المصون ج ٣/٦١١، ونسبت كذلك إلى سعد بن أبي وقاص، بلفظ (لأمه). ينظر: المحرر الوجيز ج ٢/١٩، ولفظ (من أمه). ينظر: تفسير القرطبي ج ٦/١٣٠، ولفظ (من أم).

ينظر: الدر المصون ج ٣/٦١١.

(٥) البحر المحيط ج ٣/١٩٨.

(٦) تفسير القرطبي ج ٦/١٢٩-١٣٠.

ويقول ابن عطية: " وأجمع العلماء على أن الإخوة في هذه الآية الإخوة لأُم، لأن حكمهم منصوص في هذه الآية على صفة، وحُكْمُ سائر الإخوة مخالف له، وهو الذي في كلاله آخر السورة، وقرأ سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت لأمه) "١.

● فتصبح الفساق: في قوله تعالى: ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ

نَدْمِينَ ۗ ٢

قال أبو حيان: " وقرأ ابن الزبير: (فتصبح الفساق) "٣".

والملاحظ هنا أن قراءة ابن الزبير رضي الله عنه قد أفادت في تفسير المراد من واو الجماعة الواردة في القراءة المتواترة (فيصبحوا)، حيث نصت على أنهم الفساق، وإلى ذلك أشار أبو حيان، فقال: " وقرأ ابن الزبير: (فتصبح الفساق) جعل (الفساق) مكان الضمير "٥.

● والله لأهل الإساءة غفور رحيم: في قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن

سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦

(١) المحرر الوجيز ج ٢/١٩.

(٢) الآية رقم ٥٢ من سورة المائدة.

(٣) هذه القراءة نسبت إلى ابن الزبير، بلفظ (فيصبح الفساق)، قال الدكتور عبد اللطيف الخطيب: " قرأ ابن الزبير (فتصبح الفساق)، ولعلها مصحفة وصوابها بالياء، إذ جاءت كذلك عند ابن عطية-قلت: ولكن جاء عند ابن عطية معزوة إلى ابن الزهري، وليس إلى ابن الزبير، ولعل ذلك أيضا تصحيف، وصوابه: ابن الزبير-وجاء في مصحفه (فيصبح الفساق) بالياء من تحت". ينظر: معجم القراءات ج ٢/٢٩١، ويؤكد أنه وقع تصحيف-والله أعلم- في عزو هذه القراءة عند ابن عطية، حيث عزاه إلى ابن الزهري، وأن القراءة صحفت في البحر المحيط، ما أخرجه أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف ب(ابن أبي داود) في كتاب المصاحف بسنده عن عمرو أنه سمع ابن الزبير يقرأ: (فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين...). ينظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود/٣٦٢، وروح المعاني ج ٦/١٥٩.

(٤) البحر المحيط ج ٣/٥٢٠.

(٥) البحر المحيط ج ٣/٥٢٠-٥٢١.

(٦) الآية رقم ٩١ من سورة التوبة.

قال أبو حيان: "وقراءة ابن عباس: (والله لأهل الإساءة غفور رحيم) ١ على سبيل التفسير ، لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف" ٢.

يذكر الثعالبي قراءة ابن عباس رضي الله عنه، ويعلل لها، فيقول: "وقرأ ابن عباس (والله لأهل الإساءة غفور رحيم)، وهذا على جهة التفسير أشبه منه على جهة التلاوة، لخلافه المصحف" ٣.

• آوى إليه أبويه وإخوته: في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ

أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِنِينَ ﴾ ٤.

قال أبو حيان: " وفي مصحف عبد الله ٥ (آوى إليه أبويه وإخوته)" ٦.

وذكر الدكتور عبد اللطيف الخطيب هذه القراءة، فقال: "قرأ عبد الله بن مسعود (آوى إليه أبويه وإخوته) بزيادة (إخوته) على قراءة الجماعة، وذكر أبو حيان أنها جاءت كذلك في مصحف عبد الله، قلت: هذه الزيادة عند ابن مسعود تحمل على التفسير غالباً" ٧.

ومما يؤكد هذا المنحى ورودها في كتب المتقدمين معزوة إلى مصحف ابن مسعود، وفي هذا دلالة على أنه أثبتتها في مصحفه لا على وجه القراءة بها، إنما على جهة جعلها تفسيراً للمراد من النص القرآني.

(١) ينظر: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٨٧٥-٧٨٦هـ)، تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض ، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م ج ٣/٢٠٥، والمحرر الوجيز ج ٣/٧٠.

(٢) البحر المحيط ج ٥/٨٨.

(٣) تفسير الثعالبي ج ٣/٢٠٥.

(٤) الآية رقم ٩٩ من سورة يوسف.

(٥) المحرر الوجيز ج ٣/٢٨١، وروح المعاني ج ١٣/٥٧.

(٦) البحر المحيط ج ٥/٣٤١.

(٧) معجم القراءات ج ٤/٣٤١.

● وأما الغلام فكان كافراً: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾^١.

قال أبو حيان: "وقوله: (فكان أبواه مؤمنين) في هذا حذف وهو: أن المعنى وكان كافراً وكذا وجد في مصحف أبي، وقرأ ابن عباس^٢: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)^٣.

وبناءً على هذا، فإن القراءة الشاذة (وأما الغلام فكان كافراً)، أفادت في بيان علة قتل الغلام، وهو أنه كان كافراً، ولو أنه بقي بكفره لأرهب أبويه الطغيان والكفر، وقد دل على ذلك حديث النبي ﷺ المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً"^٤.

ويشير الألوسي إلى سر حذف كلمة (كافراً) من قراءة الجماعة، فيقول: "وفي مصحف أبي وقراءة ابن عباس: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، والمعنى على ذلك في قراءة السبعة إلا أنه ترك التصريح بكفره إشعاراً بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره"^٥.

● لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسنه: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ

عَلَيْهِ عَاكِفًا لِنَحْرِقَنَّهٗ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^٦.

قال أبو حيان: "وفي مصحف أبيّ وعبد الله (لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسنه)^٧ وتوافق هذه القراءة^٨ مَنْ رَوَى أَنَّهُ صَارَ لِحْمًا وَدَمًا ذَا رُوحٍ"^٩.

(١) الآية رقم ٨٠ من سورة الكهف.

(٢) هذه القراءة نسبت إلى أبي بن كعب. ينظر: تفسير الطبري ج ١٥/٣٥٧، والمحرر الوجيز ج ٣/٥٣٦، وروح المعاني، بلفظ (وفي مصحف أبي)، ج ١٠/١٦، ونسبت القراءة أيضاً إلى ابن عباس. ينظر: روح المعاني ج ١٠/١٦.

(٣) البحر المحيط ج ٦/١٤٦.

(٤) صحيح مسلم ١٠٩٧.

(٥) روح المعاني ج ١٠/١٦.

(٦) الآية رقم ٩٧ من سورة طه.

(٧) في تفسير القرطبي عزيت إلى حرف ابن مسعود، ج ١٤/١٣٢، وفي المحرر الوجيز، إلى مصحف أبي وعبد الله بن مسعود، ج ٤/٦٢.

(٨) لم أفق على أن هذه قراءة، وهذا يؤكد أنها أثبتت في مصحف أبي وابن مسعود على سبيل التفسير.

ويلاحظ مما ذكره أبو حيان أن هذا المثبت في مصحف أبي وابن مسعود يوافق مَنْ قال إن العجل صار لحمًا ودمًا، وإلى ذلك أشار القرطبي، فقال: "وفي حرف ابن مسعود: " لنذبحنه ثم لنحرقنه " واللحم والدم إذا أحرقا صارا رمادًا، فيمكن تدريته في اليم، فأما الذهب فلا يصير رمادًا"^٢.

• وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم: في قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^٣.

قال أبو حيان في معرض تفسير هذه الآية: " وكونه عليه السلام أولى بالمؤمنين، أي: أرف بهم وأعطف عليهم، إذ هو يدعوهم إلى النجاة، وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك...ومن حيث ينزل لهم منزلة الأب . وكذلك في مصحف أبي^٤، وقراءة عبد الله^٥: (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) يعني في الدين"^٦.

يقول ابن عطية في معرض تفسير هذه الآية الكريمة: " ويؤيد هذا قوله عليه السلام (أنا آخذ بـجـزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تـفـحـم الفـراش^٧)... وفي مصحف أبي بن كعب (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)، وقرأ ابن عباس (من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم)، وسمع عمر هذه القراءة فأنكرها، فقليل له إنها في مصحف أبي، فسأله فقررها أبي وأغلظ لعمر"^٨.

(١) البحر المحيط ج٦/٢٥٧.

(٢) تفسير القرطبي ج١٤/١٣٢.

(٣) الآية رقم ٦ من سورة الأحزاب.

(٤) المحرر الوجيز ج٤/٣٧٠، وفتح القدير ج٤/٣٤٤.

(٥) نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن مسعود. ينظر: مختصر شواذ القرآن/١٢٠، ونسبت كذلك إلى ابن عباس.

ينظر: المحرر الوجيز ج٤/٣٧٠، وفتح القدير ج٤/٣٤٤.

(٦) البحر المحيط ج٧/٢٠٨.

(٧) هذا حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "إنما مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بـجـزكم وأنتم تـفـحـمون فيه ". واللفظ لمسلم من صحيحه/٩٦٥.

(٨) المحرر الوجيز ج٤/٣٧٠.

محتويات البحث

الأرقام	الموضوعات	الصفحات
١-	البسمة.	أ
٢-	استهلال.	ب
٣-	إهداء	ج
٤-	شكر وعرهان.	د
٥-	المقدمة.	هـ
٦-	أساسيات البحث.	و-ي
٧-	مستخلص البحث	ك-س
٨-	الباب الأول: مدخل الدراسة	***
٩-	تمهيد.	١١-١
١٠-	الفصل الأول: لمحة تاريخية عن القراءات الشاذة.	٣١-١٢
١١-	الفصل الثاني: صلة القراءات الشاذة بالدرس الصوتي والدلالي.	٣٦-٣٢
١٢-	الفصل الثالث: أبو حيان الأندلسي، وكتابه (تفسير البحر المحيط).	***
١٣-	المبحث الأول: أبو حيان الأندلسي، حياته وآثاره.	٦٣-٣٧
١٤-	المبحث الثاني: التعريف بتفسير أبي حيان الأندلسي.	٨٧-٦٤
١٥-	الباب الثاني: المستوى الصوتي.	***
١٦-	الفصل الأول: الصوامت في شواذ القراءات.	***
١٧-	المبحث الأول: الهمز بين التحقيق والتخفيف.	١٠٩-٨٨
١٨-	المبحث الثاني: الإبدال بين الصوامت.	١١٧-١١٠
١٩-	المبحث الثالث: المماثلة الصوتية بين الصوامت.	١٢٢-١١٨
٢٠-	المبحث الرابع: الفك والإدغام.	١٣٥-١٢٣
٢١-	الفصل الثاني: الصوائت في شواذ القراءات.	***
٢٢-	المبحث الأول: فتح الأصوات الحلقية وتسكينها.	١٤٤-١٣٦

١٥٠-١٤٥	المبحث الثاني: كسر أحرف المضارعة.	-٢٣
١٥٦-١٥١	المبحث الثالث: المماثلة بين الصوائت.	-٢٤
١٧٣-١٥٧	المبحث الرابع: الإبدال الحركي.	-٢٥
١٨٤-١٧٤	المبحث الخامس: الإشباع.	-٢٦
١٨٨-١٨٥	المبحث السادس: تقصير الحركة الطويلة.	-٢٧
٢٠٣-١٨٩	المبحث السابع: حذف الصائت.	-٢٨
٢٠٩-٢٠٤	المبحث الثامن: الإمالة.	-٢٩
٢٢٢-٢١٠	المبحث التاسع: الوقف.	-٣٠
٢٢٦-٢٢٣	المبحث العاشر: المعاقبة.	-٣١
٢٣٦-٢٢٧	المبحث الحادي عشر: التقاء الساكنين.	-٣٢
***	الباب الثالث: المستوى الدلالي	-٣٣
٢٣٧	تمهيد	-٣٤
٢٥٨-٢٣٨	الفصل الأول: الترادف في القراءات الشاذة.	-٣٥
٢٦١-٢٥٩	الفصل الثاني: التضاد في القراءات الشاذة.	-٣٦
	الفصل الثالث: الفروق الدلالية في القراءات الشاذة.	-٣٧
٢٨١-٢٦٢	المبحث الأول: الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف المادة.	-٣٨
٢٨٩-٢٨٢	المبحث الثاني: الفروق الدلالية الناتجة عن اختلاف الحركة.	-٣٩
٣٠٢-٢٩٠	الفصل الرابع: أثر تبادل أحرف المضارعة في تنوع المعنى.	-٤٠
٣١٥-٣٠٣	الفصل الخامس: قراءات شاذة لها صلة بالمعنى.	-٤١
٣١٩-٣١٦	الخاتمة	-٤٢
٣٤٠-٣٢٠	فهرس الآيات	-٤٣
٣٤١	فهرس الأحاديث	-٤٤
٣٤٤-٣٤٢	فهرس الأشعار	-٤٥
٣٧٠-٣٤٥	فهرس الأعلام	-٤٦

٣٧٤-٣٧١	فهرس الأماكن والبلدان	-٤٧
٣٧٧-٣٧٥	فهرس القبائل	-٤٨
٣٩٥-٣٧٨	المصادر والمراجع	-٤٩

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الموفق إلى معالم الخير والسداد، ثم الصلاة والسلام في أكمل صورهما على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فقد وفقني الله تعالى في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات، يمكن ذكر أهمها فيما يأتي:

أولاً: النتائج:

١- إن أبا حيان رائد، له باع طويل في مجالات عديدة، وبخاصة مجال اللغة، تأثر به كثير من أئمة التفسير واللغة، كابن عادل (ت ٨٨٠هـ) في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب)، والسيوطي (٩١١-٨٤٩هـ) في تفسيره (الدر المنثور)، والشوكاني (١٢٥٠-١١٧٣هـ) في تفسيره (فتح القدير)، والآلوسي (١٢٧٠-١٢١٧هـ) في تفسيره (روح المعاني)، وابن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ)، في تفسيره (التحرير والتنوير)، والشنقيطي (١٣٩٣-١٣٢٥هـ) في تفسيره (أضواء البيان).

٢- عُني أبو حيان بالقراءات القرآنية، وبخاصة الشواذ منها، سواء من ناحية جمعها وروايتها، أو من ناحية ضبطها وتوجيهها.

٣- لو حظ أن القراءات الشاذة تساعد على توضيح المراد من قراءة الجماعة المتواترة وفهمها.

٤- إن كثرة الاضطراب في رواية القراءة عن القارئ الواحد دليل على عدم الاستحكام في النقل عنه، وهو بذلك دليل آخر على شذوذ القراءة.

٥- إنه ينبغي حمل القراءة الشاذة التي حدث فيها مخالفة جملة لسواد ما أجمع عليه المسلمون على أنها تفسيرية، وبخاصة إذا كان السياق يوحي بذلك.

٦- كشف البحث عن بعض الأخطاء والاضطرابات. وبخاصة فيما يتعلق بالقراءات القرآنية، سواء من ناحية ضبطها أو عزوها أو العبارة المذكورة فيها.

٧- أكّد البحث على أن التصحيف والتحريف آفة، مما يستوجب على كل باحث أن يحتاط في عمله، وأن يكون حذراً في كل خطواته، وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم وقراءاته.

٨- أبرز البحث مدى الأهمية التي انطوت عليها القراءة الشاذة، سواء من الناحية الصوتية أو

الدلالية أو غيرها، وأكد على أنه لا ينبغي القدر في القراءة لمجرد كونها شذت عن التواتر، مادام لها وجه في العربية يسوغها، فهي وإن كانت قد شذت رواية وسندا إلا أنها يُحتج بها لغة، لا سيما وأن كثيراً منها يشتمل على العديد من خصائص لهجات العرب القديمة.

٩- كشف البحث عن تميّز أبي حيان في توجيهه القراءات الشاذة المتعلقة بالمستوى الصوتي، فقد دلّت تحليلاته لها، وتعقيباته عليها عن تمتعه بذوق لغوي عالٍ، وحسّ صوتي رفيع المستوى، وعقلية ناقدة فاحصة، وغوصٍ في أسرار العربية، وفهم عميق لأصولها ودقائقها، فمثلاً في ظاهرة الهمزة بين التحقيق والتخفيف كان ينص على تحقيق الهمزة وعلته، وكذلك تخفيف الهمزة وعلته، والحكمة من اختلاف العرب في همز الألفاظ المعربة سواءً من ناحية تحقيقها أو تخفيفها.

وفي ظاهرة الإبدال كان يذكر في الغالب العلاقة الصوتية التي سوغت وقوع الإبدال بين الأصوات المتبادلة، كما أنه كان يربط- في الغالب- القراءة باللهجات، كما فعل في تحليله قراءة (عتى) و (أنطيناك) وغيرها.

بل إن أبا حيان قد دلّ توجيهه لقراءة (فشرذ) على نبوغه ومهارته، وعمقه اللغوي، حيث أقر إبدال الذال من الدال؛ لكون (شرذ) غير محفوظة في لغة العرب، وهذا ما أقره علماء اللغة.

١٠- أثبت البحث أن قراءة (جَبْكَ) المعزوة إلى الحسن صوابها (جَبْكَ)، وأن الراوي لها لم يتثبت في سماعه من القارئ حقيقة ضبط الباء، فظن قلقلة الباء ضمة- وهماً منه- فرواها (جَبْكَ)، وقد أكد البحث ذلك بعدة أمور، كان من أهمها:

- إن من نُسبت إليهم قراءة (جَبْكَ) هم أنفسهم من نُسبت إليهم- كذلك- قراءة (جَبْكَ).

- ما ذكره ابن جني عند توجيهه (جَبْكَ) من أن ضم الباء فيها ورد سهواً.

- ما ذكره العكبري من أن الأشبه أنها غلط من القارئ.

- تشكك كثير من العلماء كالرضي وغيره في ورود (جَبْكَ) قراءة، إلى غير ذلك مما سبق ذكره مفصلاً في موضعه.

١١- كشف البحث عن أن الإشباع فضلاً عن معطياته الصوتية له أثر كبير في جانب الدلالة، فقد يأتي لإفادة معنى الاهتمام والتركيز على بعض المعاني كما هو الحال في قراءة (سأوريكم) حيث جاءت لمعنى الوعيد والتغليظ.

١٢- أفاد البحث أن الإمالة قد يؤول بها لأجل إمالة بعدها مُتَوَقَّعة، أو قد تعرض، أو متوهمةً في نفس الكلمة، اتضح ذلك من خلال تحليل قراءة (فاصطادوا) بإمالة فتحة الفاء نحو الكسرة.

كما أفاد تحليل هذه القراءة أن من فوائد الإمالة الدلالة على حركة الحرف المحذوف بعدها، فقد أميلت فتحة الفاء فيها للدلالة على حركة همزة الوصل المحذوفة لوقوعها في درج الكلام.

١٣- وصل البحث إلى الوقوف على فوائد قيمة للوقوف فضلاً عن كونه استراحة عن الكلال الذي يلحق المتكلم في كلامه من تتابع الحروف والحركات، ومن أهم هذه الفوائد ما يأتي:
- بيان الحركة التي قبله، وذلك في حالة الوقف بهاء السكت.

- الدلالة على حركة الإعراب، وذلك واضح في حالة الوقف بالنقل، أو الوقف بالروم.

- التخلص من التقاء الساكنين، وذلك في حالي الوقف بالنقل والروم.

١٤- أوضح البحث أن القراءات الشاذة المتمثلة لظاهرة تقصير الحركة الطويلة والاجتزاء عنها بالحركة القصيرة لم تقتصر على الضم والكسر فقط، وإنما تناولت الحركات الثلاث.

١٥- أوضح البحث اشتمال القراءات الشاذة على فروق دلالية ناتجة عن اختلاف المادة، وأخرى عن اختلاف الحركة، وهي على الرغم من اختلافها إلا أن بعضها يجمعها قرب المعنى، وبعضها يتسم بالتلاقي، وبعضها الآخر يظهر قيمة القراءات الشاذة في تعدد المعنى وتنوعه.

١٦- كما أوضح البحث أهمية القراءات الشاذة في تصوير لون من ألوان جمال المعنى النابع من الانتقال من أسلوب إلى آخر، حيث اشتملت قراءات شاذة عديدة على جماليات هذا النوع وأثره في المعنى.

١٧- أكد البحث على أن الزيادة المدرجة من قبيل الصحابة رضي الله عنهم على النص القرآني لها فائدة في بيان المعنى، غير أنه لا تجوز القراءة بها، لأنها في الحقيقة ليست بقراءة، وإنما هي مدرجة للبيان والتفسير.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي بتضافر جهود العلماء والباحثين في كل المجالات لخدمة القرآن الكريم وعلومه، لا سيما في هذا العصر الذي نعيش فيه، حيث كثر أعداء الإسلام فيه عن أنيابهم، مما يجعل على علماء القراءات واللغة بخاصة- أولئك الذين هم من ضمن مَنْ قيصهم الله ليكونوا جنوداً بمقتضى قوله ﷺ (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)- أن يحملوا لواء الذود عن القرآن الكريم وقراءاته، التي أمرت الأمة بالتعبد بها.

٢- كما أوصي بتدريس القراءات- بخاصة القراءات الشاذة- ضمن موضوعات الدراسة بأقسام اللغة العربية، لتأهيل جيل من الباحثين في مجال القراءات، وهذا يعمل على إثراء الدرس اللغوي بعامته، والدرس الصوتي والدلالي بخاصة، بالشواهد القرآنية المستخرجة من قراءاته.

وبعد، فهذه هي أهم النتائج والتوصيات التي وفقني الله تعالى للوقوف عليها، فما كان من توفيق فمن الله وحده- وله الحمد والمنة- وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه، ورسول الله ﷺ وكتاب الله بريئان منه، والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

١	الإبانة عن معاني القراءات لمكي: العلامة المقرئ، أبي محمد، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم القرطبي (٤٣٧-٣٥٥هـ). دار نهضة مصر للطبع والنشر، من دون تاريخ.
٢	أبحاث في قراءات القرآن الكريم للشيخ/عبد الفتاح القاضي ط مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، من دون تاريخ.
٣	إبراز المعاني من حرز الأمامي في القراءات السبع لأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم عطوه عَوْض، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨.
٤	اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ((المسمى)) منتهى الأمامي والمسرات في علوم القراءات للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنّا (ت١١١٧هـ)، تحقيق الدكتور/شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
٥	الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٩١١-٨٤٩هـ) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي. تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط، تعليق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
٦	أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي للدكتور/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.
٧	الإحاطة في أخبار غرناطة. لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
٨	أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦-٢١٣هـ)، تحقيق محمد الدالي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
٩	آراء النحاة في بعض قراءات القرآن الكريم للدكتور/حسن سيد أحمد الناطق، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، من دون تاريخ.

١٠	أزهار الرياض في أخبار عياض للشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شبلي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.
١١	أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، من دون تاريخ.
١٢	الأصوات اللغوية للدكتور/إبراهيم أنيس، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠م.
١٣	الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (٣١٦هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
١٤	الإضاءة في بيان أصول القراءة للعلامة المقرئ علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
١٥	الأضداد في اللغة لابن الدهان، تحقيق د/ محمد حسين آل ياسين، طبعة مكتبة النهضة ببغداد، من دون تاريخ.
١٦	إعراب القراءات السبع وعللها لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني (٣٧٠هـ)، تحقيق الدكتور/عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
١٧	إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق محمد السيد أحمد عزّوز، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
١٨	إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق د/زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٤٠٥ = ١٩٨٥م.
١٩	إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٢٠	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

٢١	الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) تعليق الدكتور/ محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية ١٤٢٦هـ.
٢٢	إكمال الإعلام بتثليث الكلام لمحمد بن عبد الله بن مالك الجياني (٦٧٢-٥٩٨هـ)، تحقيق ودراسة سعد بن حمدان الغامدي، ط ١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤.
٢٣	الانتصار للقرآن للقاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلائي (٤٠٣هـ)، تحقيق الدكتور/ محمد عصام القضاة، درا ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
٢٤	الإنصاف في مسائل ال ٢٥ خلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات ابن الأنباري النحوي (٥٧٧-١٢٦٣هـ). تحقيق ودراسة جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى من دون تاريخ.
ب	
٢٥	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.
٢٦	البدور الزهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، من دون تاريخ.
٢٧	البرهان في علوم القرآن: الزركشي (٧٩٤-٧٤٥هـ ١٣٤٤-١٣٩٢م) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث بالقاهرة، من دون تاريخ.
٢٨	بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال لأبي جعفر اللبلي، تحقيق جعفر ماجد، الدار التونسية للنشر، من دون تاريخ.
٢٩	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٣٠	بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب) لشمس الدين أبي الثناء محمود بن جمال الدين، أبي القاسم عبد الرحمن بن مجد الدين أحمد بن أبي بكر بن علي الأصفهاني (٦٧٤-٧٤٩هـ). تحقيق د/محمد مظهر بقا، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
٣١	البيان في غريب إعراب القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله مصغر بن أبي سعيد كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري النحوي (٥٧٧-٥١٣هـ) تحقيق د/طه عبد الحميد طه وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
	ت
٣٢	تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٣٣	تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور/ شوقي ضيف، دار الهلال، من دون تاريخ.
٣٤	تاريخ اللغات السامية للدكتور/إسرائيل ولفنسون، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م.
٣٥	التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البخاري، مكتبة الدعوة بالقاهرة من دون تاريخ.
٣٦	تثقيف اللسان وتلقيح الجنان للإمام الفقيه أبي حفص عمر بن خلف بن مكّي الصقلي النحوي اللغوي (ت ٥٠١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
٣٧	التجويد والأصوات د/إبراهيم محمد نجا، من دون طبعة ولا تاريخ.
٣٨	التذكرة في القراءات: الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩هـ): تحقيق/ د. سعيد صالح زعيمة. دار ابن خلدون، الإسكندرية. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٣٩	تفسير البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين أبو حيان الغرناطي (٧٤٥-٦٥٤هـ). دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وآخرين. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.	
تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٨٧٥-٧٨٦هـ)، تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض ، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.	٤٠
تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين (٦٠٤-٥٤٤هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ=١٩٨١م.	٤١
تقريب المعاني في شرح حرز المعاني لسيد لاشين أبي الفرج، ود/خالد بن محمد العلمي.	٤٢
التكملة في تصريف الأفعال لمحمد محيي الدين عبد الحميد، من دون تفاصيل.	٤٣
تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠-٢٨٢هـ)، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.	٤٤
ج	
جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠-٢٢٤هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، من دون تاريخ.	٤٥
جامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.	٤٦
الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦-١٩٤هـ). تحقيق وتخريج أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.	٤٧
الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور/عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة	٤٨

	الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.
٤٩	جمال القراءة وكمال الإقراء للإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي الشافعي (٦٤٣-٥٥٨ هـ). تحقيق وشرح وتعليق/مروان العطية، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
	ح
٥٠	حاشية الشهاب لابن عمر الحفاجي السّامة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.
٥١	حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.
٥٢	الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر ابن مجاهد لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧-٢٨٨ هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي وآخر، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
٥٣	الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث أ.د/ الموازي الرفاعي البيلي، مطبعة التركي بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.
	خ
٥٤	الخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) عثمان بن جني الموصللي، أبو الفتح. تحقيق/محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت من دون تاريخ.
	د
٥٥	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي (٧٥٦ هـ)، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق من دون تاريخ.
٥٦	دراسات في علم اللغة للدكتور/كمال بشر. دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة من دون تاريخ.

٥٧	دراسات في علوم القرآن تأليف أ.د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض - السعودية، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
٥٨	دراسات في فقه اللغة للدكتور/صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.
٥٩	درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر ١٩٧٥م.
٦٠	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق، دار الجليل، بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
٦١	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة من دون تاريخ.
٦٢	ديوان الأخطل التغليبي، شرح/مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ = ١٩٩٤.
٦٣	ديوان الراعي النمري. جمع وشرح وتحقيق د/محمد نبيل طريفني. دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٦٤	ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية من دون تاريخ.
٦٥	ديوان امرئ القيس، اعتناء وشرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعارف، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
٦٦	ديوان حسان بن ثابت، شرح الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
٦٧	ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع من دون تاريخ.
٦٨	ديوان عنتر، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي ١٩٦٤م.
٦٩	ديوان كثير عزة. شرح/عدنان زكي درويش، دار صادر-بيروت، ١٩٩٤م.

	ر	
٧٠	الرسم القرآني ضابط من ضوابط القراءة الصحيحة للدكتور/توفيق بن أحمد العبقري، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .	
٧١	رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/غانم قدوري الحمد، الجمهورية العراقية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.	
٧٢	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل محمود الألوسي البغدادي(ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت من دون تاريخ.	
	س	
٧٣	سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني(٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور/ حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.	
٧٤	سنن النسائي الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت ٣٠٣هـ)، تحقيق وتخرير حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.	
٧٥	سير أعلام النبلاء للدَّهبي، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة من دون تاريخ.	
	ش	
٧٦	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي (١٠٨٩-١٠٣٢هـ)، إشراف التحقيق والتخرير عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق وتعليق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.	
٧٧	شرح ابن عقيل لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، المصري، الهمداني(٧٦٩-٦٩٨هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد	

	محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
٧٨	شرح التصريح على التوضيح للرضي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٧٩	شرح المفصل لابن يعيش (٥٥٣ - ٦٤٣ هـ) يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، إدارة الطباعة المنيرية بمصر من دون تاريخ.
٨٠	شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
٨١	شرح طيبة النشر في القراءات العشر لشهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (٨٣٥هـ)، تعليق الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
	ص
٨٢	الصاحبي في فقه اللغة - ابن فارس (٣٩٥-٣٢٩هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، علق عليه ووضع حواشيه/أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
٨٣	الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
٨٤	صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذن القشيري النيسابوري، صاحب ((الصحيح)) (٢٦١-٢٠٤هـ). اعتنى به أبو صهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
	ط
٨٥	طبقات الشافعية الكبرى للإمام العلامة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١-٧٢٧هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد

	الحلو، دار إحياء الكتب العربية من دون تاريخ.
٨٦	طيبة النشر في القراءات العشر، تأليف إمام الحفاظ وشيخ القراء محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري، ضبط وتصحيح ومراجعة محمد تميم الزعبي. مكتبة دار الهدى ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
	ع
٨٧	العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ للقاضي أبي بكر ابن العربي (٤٦٨ - ٤٥٣ هـ) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، تخرّيج وتعليق محمود مهدي الإستانبولي، تحقيق وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف الدين محمد عبد الفتاح حجازي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
	غ
٨٨	غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
٨٩	غيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن علي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ)، دراسة تحقيق رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه)، إعداد الطالب/سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني، إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/شعبان بن محمد إسماعيل، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين ١٤٢٦هـ.
	ف
٩٠	فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢-٧٧٣هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية،

	الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٩١	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للعلامة محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تحقيق وتخرّيج الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء من دون تاريخ.
٩٢	الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني، تحقيق وتخرّيج وتعليق/أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
٩٣	الفروق اللغوية للأديب اللغوي الحسن بن عبد الله بن سهل أبي هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، بيروت من دون تاريخ.
٩٤	الفصول في العربية لأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق الدكتور/ فائز فارس، دار الأمل، ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
٩٥	فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤-١٥٧هـ). تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق-بيروت من دون تاريخ.
٩٦	فقه اللغة مفهومه-موضوعاته-قضاياها تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
٩٧	فن البلاغة للدكتور/ عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة من دون تاريخ.
٩٨	الفهرست لابن النديم (ت ٤٣٨هـ) محمد بن إسحق بن محمد بن إسحق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم. تحقيق/رضا، من دون طبعة ولا تاريخ.
٩٩	فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت من دون تاريخ.
١٠٠	في اللهجات العربية للدكتور/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٣م.
	ق
١٠١	القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي أبو الطاهر

مجد الدين (٨١٧-٧٢٩هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب من دون تاريخ.	
القراءات أحكامها ومصادرها للدكتور/شعبان محمد إسماعيل، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.	١٠٢
القراءات الشاذة دراسة لنشأتها ومعاييرها، أ.د. سامي عبد الفتاح هلال، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.	١٠٣
القراءات القرآنية في تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) دراسة لغوية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الأعراف، رسالة ماجستير للباحث/حمدي سلطان حسن أحمد.	١٠٤
القراءات القرآنية ورؤية لغوية معاصرة، مقال للدكتور/أحمد مختار عمر في مجلة دراسات عربية وإسلامية. العدد ٤، سنة ١٩٨٥م.	١٠٥
القراءات القرآنية وصلتها باللغات العربية د/رشاد محمد سالم. دار المنار سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.	١٠٦
القول الجاد لمن قرأ بالشاذ للنويري محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النويري (٨٠١ - ٨٥٧ هـ)، تحقيق عبد الفتاح السيد أبو سنة، مطبوع بداخل كتاب شرح الطيبة للنويري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.	١٠٧
ك	
كتاب أسرار العربية للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣-٥٧٧هـ)، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق من دون تاريخ.	١٠٨
كتاب التعريفات للسيد شريف الجرجاني: علي بن محمد الحسيني (٨١٦-٧٤٠هـ). مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.	١٠٩
كتاب التكملة لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق د/كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.	١١٠

١١١	كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، تصحيح أوتوبرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
١١٢	كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر من دون تاريخ.
١١٣	كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
١١٤	كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧-٣٥٥هـ)، تحقيق الدكتور/ محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
١١٥	كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي السجستاني المعروف ب(ابن أبي داؤد) (٣١٦-٢٣٠هـ). دراسة وتحقيق ونقد د/محب الدين عبد السبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م
١١٦	كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ)، مطبعة التقدم العلمية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ.
١١٧	كتاب المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥-٢١٠هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٤١٥هـ.
١١٨	الكتاب لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيوي (١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة من دون تاريخ.
١١٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨-٤٦٧هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ.
١٢٠	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم الفاضل الأديب والمؤرخ الكامل الأريب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان من دون تاريخ.
١٢١	الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني

الكفوي (١٠٩٤-١٠٢٨هـ)، تحقيق د/عدنان درويش، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.	
ل	
اللباب في علوم الكتاب تأليف الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة (٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.	١٢٢
لسان العرب: ابن منظور (٦٣٠- ٧١١هـ ١٢٣٢-١٣١١م) محمد بن مكرم ابن علي ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: الإمام اللغوي الحجة، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى ١٣٠٠هـ.	١٢٣
لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان، والدكتور/ عبد الصبور شاهين، القاهرة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.	١٢٤
اللهجات العربية في التراث د/أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.	١٢٥
اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/عبد الراجحي. طبعة دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥م.	١٢٦
اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري أ.د/عبد المنعم عبد الله حسن، مطبعة السامولي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ=١٩٩١م.	١٢٧
اللهجات العربية نشأة وتطورا للدكتور/ عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.	١٢٨
اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وأبنية تأليف صالحة راشد غنيم آل غنيم، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.	١٢٩
م	
متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للإمام القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (٥٩٠هـ)، ضبط وتصحيح ومراجعة محمد تميم الزعبي، مكتبة المورد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.	١٣٠

١٣١	المثلث لابن السيد البطليوس (٥٢١-٤٤٤هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، طبعة دار الرشيد للنشر ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
١٣٢	مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (٥١٨هـ)، تحقيق وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
١٣٣	المجمل في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
١٣٤	المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها من لغة العرب لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق علي الجدي ناصف، وآخرين، القاهرة ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
١٣٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٤٨١ - ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.
١٣٦	المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لابن سيده (٤٥٨-٣٩٨هـ) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن. تحقيق/عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.
١٣٧	مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه. مكتبة المتنبي، القاهرة من دون تاريخ.
١٣٨	المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان من دون تاريخ.
١٣٩	المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد. د/عبد الفتاح إسماعيل شبلي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.
١٤٠	مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق/إجننتس جولد تسهر، ترجمة د/ عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
١٤١	المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (٦٦٥-٥٩٩هـ). تحقيق ودراسة د/وليد مساعد الططباطي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

١٤٢	المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وآخر، مكتبة دار التراث، الطبعة الثالثة من دون تاريخ.
١٤٣	المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت-لبنان من دون تاريخ .
١٤٤	المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية من دون تاريخ.
١٤٥	معاني القراءات- تصنيف الشيخ الإمام العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ). تحقيق وتعليق الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م
١٤٦	معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخصس الأوسط (٢١٥هـ)، تحقيق الدكتورة/هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
١٤٧	معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
١٤٨	معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ)، دراقباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ١٩٩٨م.
١٤٩	معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
١٥٠	المعجزة الكبرى القرآن للإمام محمد أبي زهرة. ط دار الفكر بالعربي من دون تاريخ.
١٥١	معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي الرومي، تحقيق الدكتور/إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
١٥٢	معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
١٥٣	المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠-٢٦٠هـ)، تحقيق طارق

	بن عوض الله بن محمد، وآخرين، دار الحرمين ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
١٥٤	معجم القراءات للدكتور/ عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
١٥٥	المعجم الوسيط: جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجموعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
١٥٦	معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٣٩٥-٣٢٩هـ) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
١٥٧	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. تحقيق د/طيار آلي قولاج، استانبول ١٤١٩هـ=١٩٩٥م.
١٥٨	مفاتيح علوم الحديث وطرق تخريجه لمحمد عثمان الخشت ط مكتبة القرآن بالقاهرة من دون تاريخ.
١٥٩	المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت- لبنان من دون تاريخ.
١٦٠	المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية من دون تاريخ.
١٦١	مقدمة تحقيق كتاب خلاصة الأبحاث شرح نهج القراءات الثلاث للجعبري، تحقيق/د عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة، من دون طبعة ولا تاريخ.
١٦٢	مقدمة في قراءات القرآن الكريم ولهجات العرب في عصر النبوة، للدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ=٢٠٠١م..
١٦٣	مقدمة لدراسة القراءات القرآنية للأستاذ الدكتور/ الموافي الرفاعي البيلي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

١٦٤	المقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو الداني (٤٤٤-٣٧١هـ). أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم الأندلسي، القرطبي ثم الداني، تحقيق/محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة من دون تاريخ.
١٦٥	مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) محمد عبد العظيم الزرقاني. تحقيق فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
١٦٦	منجد المقرئين ومرشد الطالبين تأليف الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
١٦٧	الموضح في وجوه القراءات وعللها: ابن أبي مريم: نصر بن علي بن محمد، فخر الدين، صدر الإسلام، أبو عبد الله، الشيرازي، الفارسي الفسوي النحوي، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية-بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
	ن
١٦٨	الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر بن علي (ت ٤١٠هـ) أبي القاسم. مكتبة المتنبي، القاهرة من دون تاريخ.
١٦٩	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق الدكتور/إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
١٧٠	النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٦٠٦-٥٤٤هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان.
	و
١٧١	الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.